

MA
P
E

B
15
1
15
V
C



3 1142 01861 7442



**Elmer Holmes
Bobst Library**

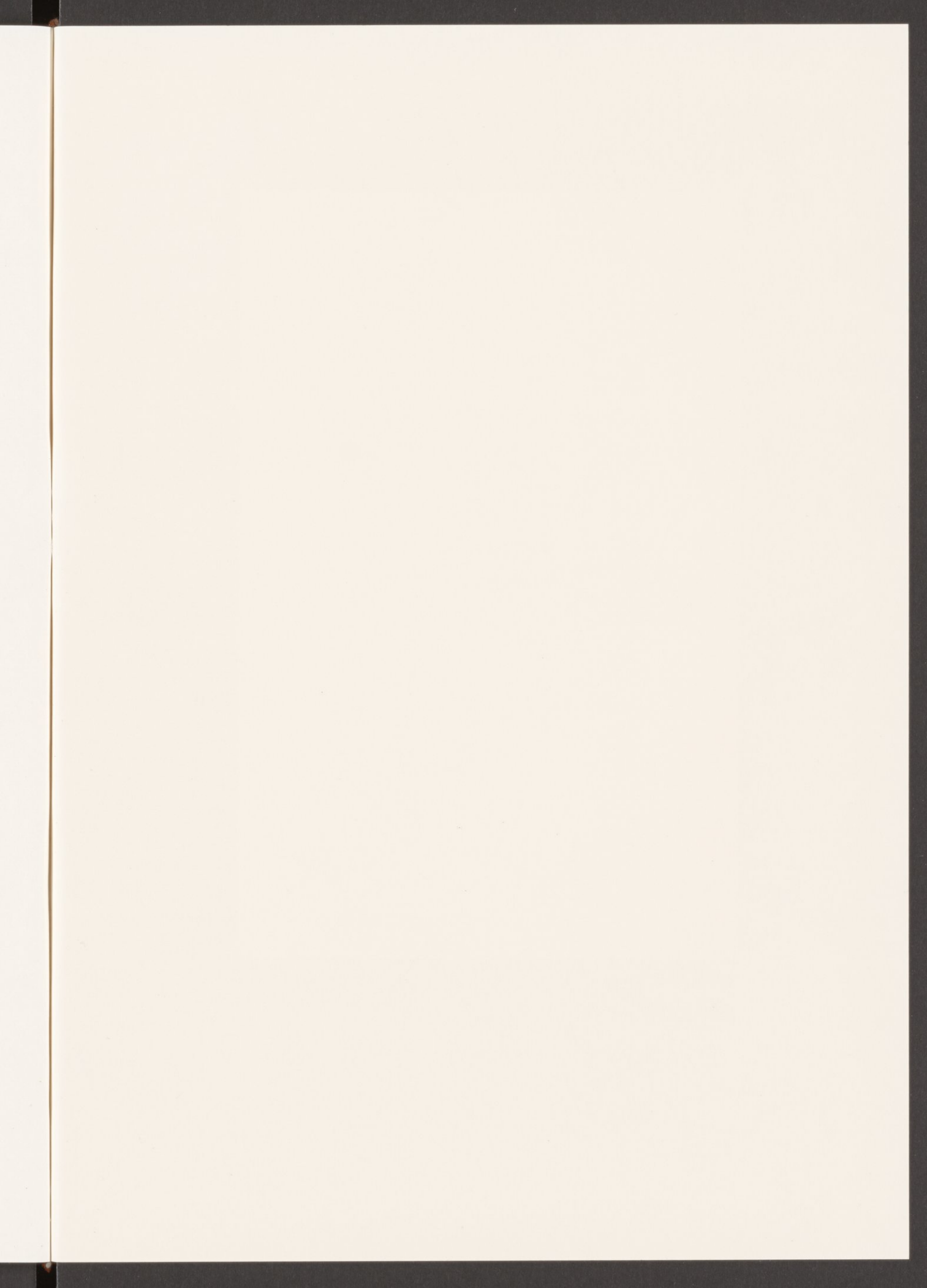
**New York
University**

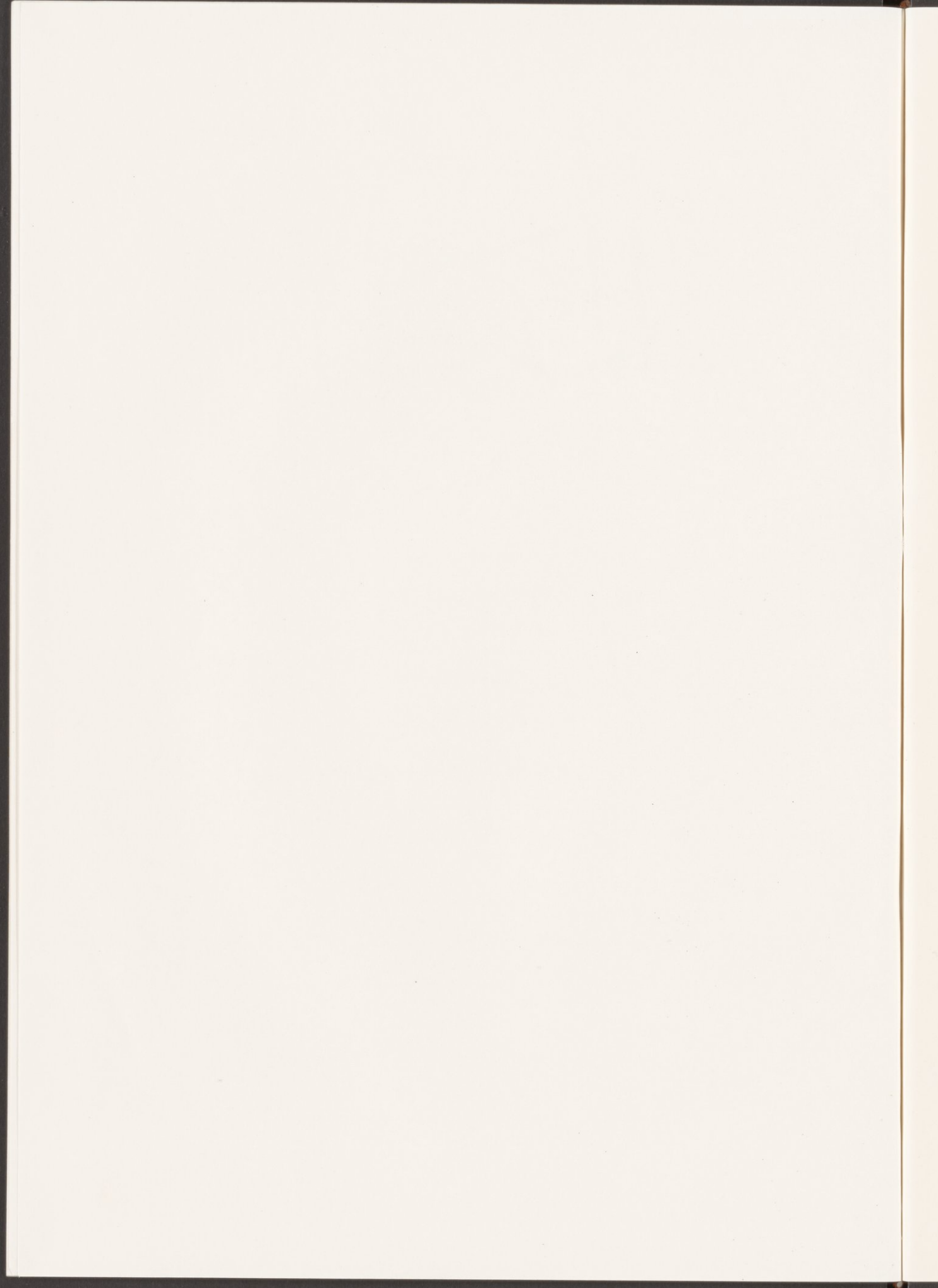
**Gaston Wiet
Collection**

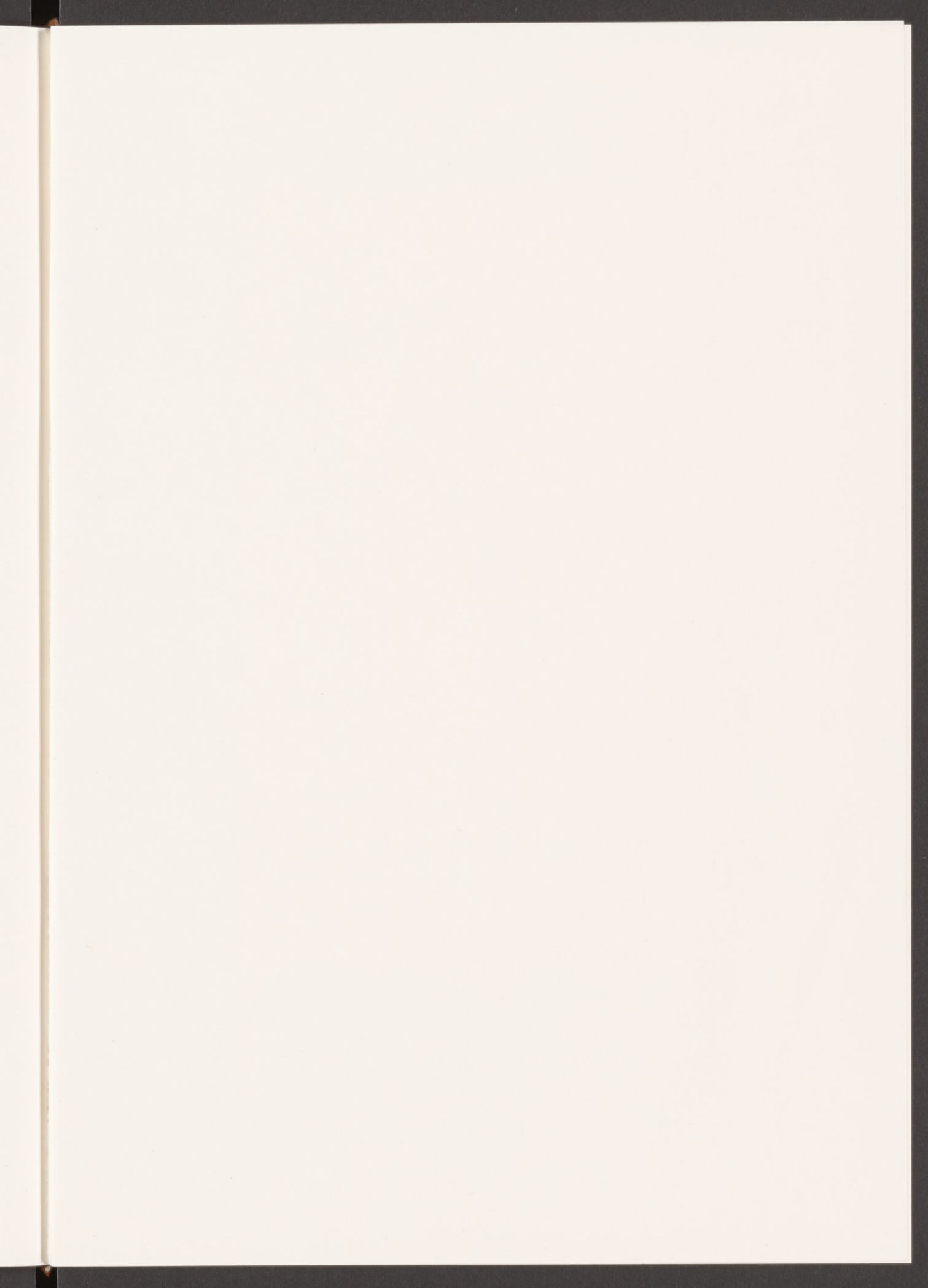


New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
	<p>DUE DATE DEC 28 2005 MAR 28 2006 BOBST LIBRARY CIRCULATION</p>	







Ibn al-Hayf, Muhammad ibn Muhammad

al-Hayf

المختار

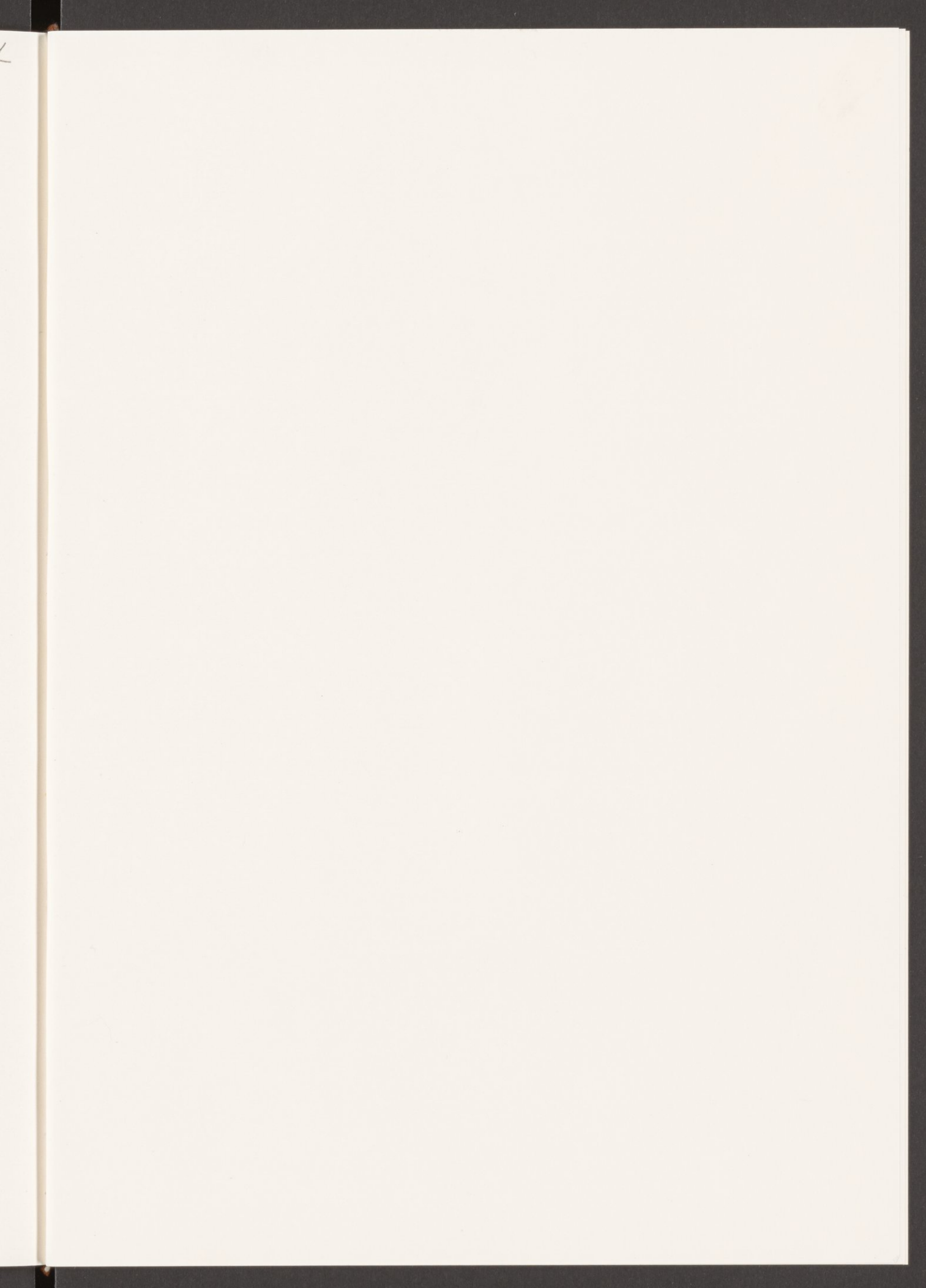
ابن حجة

المختار

الطبعة الأولى

الطبعة الأولى - ١٩٥٥ م

المختار



Ibn al-Hājī, Muḥammad ibn Muḥammad

/al-Madkhal/

المَدْخَلُ
مَكْرُوفٌ

لابن الحاج
مَكْرُوفٌ

الجزء الثالث

الطبعة الأولى

١٣٤٨ هجرية — ١٩٢٩ ميلادية

الطبعة الصرية بارزهر

أدارة محمد محمد عبد اللطيف

BP
154
T 15
1929
V. 3
C. 1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فصل في ذكر آداب المجاهد وكيفية نيته وهدية

قد تقدم رحمة الله وإياك آداب العالم وهدية وما احتوت عليه نيته فالمجاهد وغيره تبع له في ذلك كله إلا شيئاً قليلاً اختص به العالم وشيئاً قليلاً اختص به المجاهد يقع ذكره إن شاء الله تعالى . ولتعلم أن الجهاد ينقسم إلى قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر فالجهاد الأكبر هو جهاد النفوس لقوله عليه الصلاة والسلام (هبطتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) والكلام عليه يأتي إن شاء الله تعالى في ذكر آداب الفقير المنقطع . والكلام هنا إنما هو على الجهاد الأصغر وهو جهاد أهل الكفر والعناد وهو من أجل الطاعات وأعظمها . وقد تقدم أن أفضل الأعمال طلب العلم لأن به يعرف المجاهد فضيلة الجهاد وكيف يجاهد وبماذا يصح له الجهاد وبماذا يفسد وكذلك غيره من أمور الدين فكان أفضل الأعمال لما جاء في تفضيله في الحديث الصحيح والحديث ليس على عمومته لأن ذلك راجع إلى أحوال الناس فرب شخص ليس فيه أهلية لطلب العلم وهو قادر على الجهاد لما فيه من فضل القوة والشجاعة والاقدام فالجهاد في حق هذا يتأكد أمره وآخر يكون فيه ذكاء وفهم وحفظ وتحصيل للمسائل وهو ضعيف في نفسه ليس له قوة على الضرب والطعن فطلب العلم لمثل هذا يتعين وقد يتعين عليه الجهاد بحسب حال الوقت . وبالجملة فالجهاد فيه فضل كبير جاء به الكتاب العزيز والحديث الصحيح . لكن ينبغي للمجاهد أن لا يدخل في الجهاد حتى يسأل أهل العلم عما يلزمه في جهاده إن لم يعلمه . لقوله عليه

الصلاة والسلام (طلب العلم فريضة على كل مسلم) قال العلماء المحققون في معناه ماوجب عليك عمله ووجب عليك العلم به انتهى فيعرف أولا الأحكام اللازمة له وحينئذ يدخل فيه فيبدأ بما ذكره علماءنا رحمه الله عليهم من الأحكام اللازمة فمن ذلك أنهم قالوا شرط وجوب الجهاد سبعة وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغاً ذكراً حراً مستطيعاً بصحة البدن والمال وفرائضه ستة النية وطاعة الامام وترك الغلول والوفاء بالأمان والثبات عند الزحف وأن لا يفر واحداً من اثنين

فصل في الغنيمة

والغنيمة يستحقها من اتصف بعشرة شروط السبعة المتقدم ذكرها وأن يكون خرج للجهاد لا للتجارة ولا للاجارة وأن تكون الغنيمة حصلت بالقتال أو ما أوجف عليه بالخيال والركاب

فصل في حكم الاسارى

والامام مخير في الاسارى بين خمسة أشياء القتل والاسترقاق والمن والفداء والجزية

فصل في الأوصاف الموجبة للجزية

الجزية واجبة بعشرة أوصاف الكفر والاقامة عليه بدار الاسلام وأن يكون عاقلاً بالغاً ذكراً حراً غير معتق لمسلم قادراً على أدائها ولا يكون قرشياً ولا مرتدداً

فصل في حكم المرتدين

دار المرتدين تفارق دار الحرب من أربعة أوجه أحدها أنهم لا يهادنون على الاقامة بل يهدم الثاني أنهم لا يصلحون على مال يقرون به على ردتهم الثالث لا تسترق رجالهم ولا تسبي نساؤهم الرابع لا يملك الغانمون أموالهم وهي أيضاً تفارق دار الاسلام من أربعة أوجه أحدها أنه يجوز قتالهم مقبلين ومدبرين

كالمشركين الثاني اباحة دماءهم أسرى وممتنعين الثالث أن أموالهم تصير فيئاً للمسلمين
الرابع بطلان مناختهم

فصل في قتال الفئة الباغية

وهي التي تفارق الامام ورأى الجماعة وتنفرد بمذهب مبتدع وتعزل بدار ويفارق
قتالهم قتال المشركين من ثلاثة عشر وجهاً . أحدها أنهم يقاتلون بنية ردعهم ولا
يتعمد به قتلهم . الثاني يقاتلون مقبلين ويكف عنهم مدبرين . الثالث لا يجز على
جريحهم . الرابع لا تقتل أسراهم . الخامس لا تسبي نساؤهم . السادس لا تسبي
ذراريهم . السابع لا تغنم أموالهم . الثامن لا يهادنون على الإقامة ببلدهم . التاسع
لا يصالحون على مال يقرون به على بدعتهم . العاشر لا يستعان على قتالهم بمشرك
الحادي عشر لا ينصب عليهم الرعادات . الثاني عشر لا تحرق عليهم بيوتهم . الثالث
عشر لا تقطع أشجارهم

فصل في حكم المحاربين

قتال المحاربين كقتال الفئة الباغية في عامة أحوالهم الا في خمسة أشياء يخالفونهم
فيها . أحدها أنهم يقاتلون مقبلين ومدبرين . الثاني يجوز أن يتعمد في الحرب
قتلهم . الثالث أنه يجوز حبس أسراهم لاستبراء حالهم . الرابع أنهم ضامنون لما
استهلكوه من دم أو مال في الحرب وغيره ولا يجوز ذلك في الفئة الباغية بعد
انجلاء الحرب . الخامس أن ما أخذوه من خراج وصدقات فهو كالمأخوذ غصبا
فعلى من أخذه من يده غرمه . فاذا تحصل عنده معرفة ما ذكر فليكن عالماً
بأحكام صلاة الخوف في الحالتين من قتال وغيره وكيفية ما يلزمه من ذلك كله
وكذلك يتعين عليه معرفة أحكام التيمم وفي أي وقت يلزمه وفي أي وقت
يحرم عليه ومسائله . وقد تقدم بيان هذا عند ذكر غسل المرأة في بيتها وكذلك

ينبغي له أن يعرف أحكام صلاة المسافر وفي أي وقت يقصر وفي أي وقت يتم وذلك كله موجود في كتب الفقهاء متيسر على ألسنتهم لمن جاء اليهم مستفتيا لأن الصلاة هي عماد الدين وبها قوامه فاذا كان المجاهد يخل بها أو يركن من أركانها كان تركه للجهاد أولى به بل أوجب عليه اذا لم يتعين. فاذا تعين والحالة هذه كان عاصيا وان كان مجاهدا . وهذه مسألة قد عمت بها البلوى لأننا نرى ونباشر من يخرج الى الجهاد وغالب أحوالهم عدم الفقه وعدم المعرفة بكل ما ذكر أو باكثره وقل من تجده منهم يجتمع بأحد من أهل العلم ويسأل عما يلزمه من الاحكام فيما ذكر سيما صلاة الخوف التي ما بقيت تعرف عندهم في الغالب ولا تذر الا في كتب الفقهاء كأنها حكاية تحكى سيما صلاة المسايقة فانها كادت لا تعرف أيضا لعدم فاعلها وقلة السؤال عنها فيخرج المجاهد وهو عند نفسه أنه في طاعة وهو يقع في مخالفات جملة لعدم التلبس بمعرفة ما ذكر وقد يكون سببا الى وقوع الرعب في قلبه من العدو وانهمزاه عند رؤيته فان العدو انما يستعدله باقامة هذا الدين . قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تصروا الله يصركم ويثبت أقدامكم﴾ قال علماءنا رحمة الله عليهم نصر العبد لربه هو اتباع أمره واجتناب نهيه فاذا فعل ذلك كان سببا لنصرة الله تعالى له وأمنه مما يخاف سيما والمجاهد انما يجاهد لأجل الدين والصلاة هي عماده وبها قوامه وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه جاءه كتاب من بعض جيوشه بالشام وهم يخبرونه فيه بأنهم قد افتتحوا البلدة التي نزلوا بها وكان الحرب بينهم وبين أهلها من أول النهار الى الزوال فبكى حتى بليت دموعه لحيته فقيل له أتبكي والنصر لنا فقال والله ما الكفر يقف أمام الاسلام من غدوة الى الزوال الا من أمر أحدثتموه أنتم أو أنا . فانظر الى ما قرره عمر رضی الله عنه فانظر في النصر وعدمه الا بصلاح الحال وفساده فيما بين العبد

وربه فأين هذا الحال الذي ذكر من حال أكثر الناس اليوم في كونهم يخرجون الصلاة عن وقتها ويقضونها بعد ذلك ولا قائل به من المسلمين أعنى جواز اخراجها عن وقتها عمدا من غير عذر شرعي والعذر الشرعي إنما هو زوال العقل أو استتاره . ألا ترى أن المساييف تجب الصلاة عليه وهو يضارب ويجوز له أن يتكلم ان اضطر الى ذلك وهو يصلي ويجوز له أن يصلي لأي جهة كانت ويكبر ويقرأ وكذلك الغريق تجب الصلاة عليه في حال غرقه والمصلوب الى غير ذلك فكل هؤلاء صلاتهم إنما هي بالايام واللسان واعتذر في حقهم ومن شابههم ترك فرائض الصلاة جملة في حال صلاتهم اذ ذاك خيفة على الوقت أن يخرج فلو ترك أحدهم ما لزمه من الاتيان بالصلاة في الوقت على الصفة المذكورة كان عاصيا وان قضاها بعد خروج وقتها لأن علماءنا رحمة الله عليهم قد اختلفوا فيمن أخرج الصلاة عن وقتها متعمدا هل عليه قضاء أم لا فالمشهور أن القضاء واجب عليه وأنه آثم فيما فعله من التأخير وذهب بعضهم الى أنه لا قضاء عليه بناء منهم على أنه مرتد وحكمه معروف . وما ذكر في حق المجاهد من تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها هو موجود بعينه في كثير من الحجاج كما هو مشاهد من أحوالهم وأنهم يحصلون الزاد والراحلة وما يحتاجون اليه من ضروراتهم بخلاف ما يحتاجون اليه من أمور دينهم فقل من يسأل عن مسائل التيمم وقصر الصلاة واتمامها وأحكام الحج ومناسكها وان وجد ذلك من بعضهم فالغالب منهم أنهم يعتنون في المناسك بأدعية معلومة على قانون معروف فيقولون عليها ويتركون ذكر الأحكام في الغالب . وقد كره مالك رحمه الله تعيين الدعاء لبعض الأركان وقال هذه بدعة إنما يذكر الله ويدعو بما يمر به الله أو كما قال . ثم نرجع الى ما كنا بسبيله من أمر الجهاد فنأهم ما يقدم فيه قبل الخروج اليه وعنده حسن النية واهتمامه بها والتعويل عليها . وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم يانها أتم بيان

حين جاءه الأعرابي فقال له يا رسول الله ما القتال في سبيل الله فإن أحدنا يقاتل
 غضبا ويقا تل حمية فرفع اليه رأسه قال وما رفع اليه رأسه الا أنه كان قائما فقال
 (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) فقد اتضح وبان ما ينوي
 المجاهد حين خروجه وتلبسه بالقتال. وأما ما يقع له بعد تصحيح نيته فغير مانواه
 لا عبرة به ولا يؤاخذ به لأن الأعرابي قال فإن أحدنا يقاتل غضبا ويقا تل حمية
 فأجابه عليه الصلاة والسلام بما تقدم ذكره فدل على أنه اذا نوى أن يقاتل
 لتكون كلمة الله هي العليا لا يضره ما اعتراه بعد ذلك من قتاله غضبا أو حمية أو
 ما أشبههما لأن هذا كله من وساوس الشيطان ونزغاته وهو اجس النفوس التي لا تملك
 والله عز وجل قد رفع ذلك عنا ومن علينا بترك المحاسبة عليه ببركة هذا النبي
 الكريم على ربه عز وجل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه لما نزل
 قوله تعالى ﴿وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ الآية ضج الصحابة
 رضى الله عنهم وأتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله كلفنا
 الصلاة والصوم والزكاة والحج فقبلناه وأما ما يقع في نفوسنا فلا نقدر عليه
 أو كما قالوا فعلمهم عليه الصلاة والسلام الأدب مع الربوبية فقال أتقولون
 مثل ما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا
 وأطعنا فأنزل الله تعالى ﴿لا يكلف الله نفسا الا وسعها﴾ الى آخر السورة فرفع الله
 تعالى الاصر عنهم وعدم المؤاخذة بالوساوس والهواجس. ولأجل هذا المعنى
 الذى نحن بسبيله) قال عليه الصلاة والسلام لما أن جاءه أصحابه يشكون له بما
 وقع لهم من هذا المعنى فقالوا انا نجد في أنفسنا ما يتعاضم أحدنا أن يتكلم به فقال
 صلى الله عليه وسلم أوجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان الحمد لله الذى
 رد كيده لهذا) فقول له عليه الصلاة والسلام ذلك صريح الايمان يعنى في دفعة
 وتعاظم الأمر عندهم لاني نفس وقوعه وقوله عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى

رد كيد هذذا وذلك أن ابليس اللعين لم يقنع منهم فى الجاهلية حتى جعلهم ينشرون خشبا وينحتون حجارة وىجعلونها صورا يسجدون لها وىعبدونها من دون الله عز وجل وهم قد صنعوها بأيدىهم فلما أن جاء الاسلام وظهر أمره وانتشر أيس ابليس اللعين أن ىردهم الى ما كانوا عليه فلم تقوله الالهة الالوسواس والهواجس المشوشة على قلوب المؤمنى فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى رد كيد هذذا . فحمد صلى الله عليه وسلم ربه على كون اللعين عجزت قدرته عن جمىع الحيل اذ أن ما بقى له من الحيل الالوسواس والهواجس وذلك غير مؤاخذبه من وقع له ولو وقف المكلف مع ما يقع له من الهواجس قل أن ىتأق له أداء عبادة بسبب تسليطه . فالحاصل أنه ىقاتل أو لا بنية أن تكون كلمة الله هى العليا كما تقدم وأن ىحتسب نفسه وماله لله عز وجل لقوله تعالى ﴿ ان الله اشترى من المؤمنى أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ الى آخر الآفة وقوله تعالى ﴿ ان الله ىحب الذىن ىقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنىان مرصوص ﴾ وقد نقل الشىخ الامام أبو محمد عبد الحمىد الصدفى المشهور بابن أبى الدنيا قال روى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال عباانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ىبدر لىلا والتعبفة هى تسوية الصفوف وتقدمة العمل الصالح بىن ىدى القتال من الامام والناس من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لىرجى به الظفر والنصر قال الله تعالى ﴿ ولىنصرن الله من ىنصره ﴾ ثم الادارة على العدو والخذفة له من أسباب الظفر . أخرج مسلم بن الحجاج فى صحىحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد غزوا ورى عنه بغيره . ومن الخدع فى الحرب ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأحزاب . روى أن رجلا من المسلمىن كان لا ىكتم الحديث وكان مع المشركىن عام الأحزاب وكان ىأتى

النبي صلى الله عليه وسلم فقال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم ان بنى قريظة قد مالوا عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلنا أمرناهم بذلك فأتى الرجل أبا سفيان فقال هل علمت محمدا يقول ما ليس هو قال لا قال فانه يقول في بنى قريظة لعلنا أمرناهم بذلك قال سننظر فأرسل الى بنى قريظة قال نحب أن تعطونا رهائن ووافق ذلك أن كان ليلة السبت للمقدور فقالوا نحن في السبت فان انقضى فعلنا فقال أبو سفيان نحن في مكر بنى قريظة فألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب وأرسل عليهم ريحا وجنودا لم يروها ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكنى الله المؤمنين القتال . وكانت هذه من الخدع التي خدعهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنه عن ابن أبى أو فى قال سمعته يعنى النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على الأحزاب اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم فهذا الدعاء ينبغى أن يدعى به عند ملاقات العدو اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنه عن المهلب بن أبى صفرة عن سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (ان يأتكم العدو فقولوا حم لا ينصرون) ومنه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض . ومنه عن أبى الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (ابغونى فى ضعفاتكم فانما ترزقون وتنصرون بضعفاتكم) ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ابغونى فى ضعفاتكم أى اطلبونى أى انه يكون معهم . ويؤيد ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى (أنا مع المنكسرة قلوبهم من أجلى) فاذا كان الله معهم فهم منصورون ويريد بالضعفاء والله أعلم الذين لم يكن لهم ظهور فى الدنيا ولا هم طالبون لها وهم زاهدون فى دنياهم راغبون فى آخرتهم طائعون لله تعالى ناصرون لدينه فهم منصورون . قال الله تعالى ﴿ ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ وقال ﴿ والله مع الصابرين ﴾ أى بالنصر والمعونة أى

مع الصابرين عن المشتهيات من المحرمات والصابرين على الطاعات وجهاد الكفار فالله ناصرهم ومعينهم . روى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال لخالد بن الوليد حين بعثه لقتال أهل الردة احرص على الموت توهب لك الحياة . ووجه أبو مسلم قوما الى الغزو فقال ألزموا قلوبكم الصبر فانه سيف الظفر واذكروا كثرة الضغائن فانها تحض على الاقدام والزمو الطاعة فانها حصن المحارب . ومن الحكمة قوة النفس فى الحرب علامة الظفر . ومنها تقحم الحرب ينجح القلب . ومنها الهزيمة تحل العزيمة . ومنها الحيل أبلغ من العمل . ومنها الرأى السديد أجدى من الأيد الشديد . ومنها شدة الصبر فاتحة النصر . وينبغى المشورة فى القتال وفى كل أمر يعرض . وفى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال (مارأيت أحدا أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم) الا أنه يذغى مشورة من له عقل ودين وتجارب . من كلام الحكمة توق مشورة الجاهل . ومنها لا تشاور من تميل به رغبته أو رهبته . أخرج مسلم ابن الحجاج فى صحيحه بالاسناد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله) ومنه عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لن يبرح هذا الدين قائما تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة) ومنه عن سعد ابن أبى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) قال البخارى رضى الله عنه ورحمه هذه الطائفة هم أهل العلم وقال القاضى عياض هم أهل السنة والجماعة انتهى كلامه بلفظه . ثم نرجع الى ذكر بعض فضيلة الجهاد . فمن ذلك ما تقدم من قوله تعالى ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده

من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴿ قال الشيخ أبو محمد عبد الحميد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال جعل الله تعالى للجهاديين في سبيله الصفقتين جميعا . بيانه قول الحسن رضى الله عنه أنفسا هو خلقها وأموالها هو رزقها ومع ذلك أقول أيضا هو خالق فعل المجاهد في قدرته وعزه على الجهاد في سبيله ورغبته فكل ذلك فضله ونعمته ومنته قل كل من عند الله تبارك وتعالى يسدى على أيدينا الخير ويمنح عن أيديه الجزاء وروى في معنى الآية أن الانصار رضى الله عنهم حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع قالوا لا نقييل ولا نستقييل . ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابى وهو يقر أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية فقال الاعرابى كلام من قال كلام الله تعالى قال يبع والله صريح لانقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد رحمه الله تعالى . فقوله تعالى وعدا عليه حقا قال هذا وعد مؤكد أخبر الله تعالى أن هذا الوعد الذى وعده للجهاديين فى سبيله وعد ثابت وقد أثبتته فى التوراة والانجيل كما أثبتته فى القرآن . وعن الجوهرى رحمه الله تعالى ناهيك من صفقة البائع فيها رب العالمين والثمن الجنة المأوى والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى ذلك قيل

أكرم بها صفقة فالرب عاقدها	على لسان رسول الله من مضر
أثمانها جنة ناهيك من نزل	دار بها نعم تحفى عن البشر
أنواع مطعمها من كل شهوتنا	شراها غسل صاف من الكدر
من كل مالذة طابت مواردها	وحورها درر تزهو على القمر

أنى لها ثمن دنيا بها نحن لم يصف مشربها يوماً لمعتبر
ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لأن اخلاف الوعد انما يطرأ على البشر
لأحد أمور أو مجموعها وذلك لبخل أو شح خوف الفقر أو محبة الازدياد من
الشهوات أو لعجز أو لنسيان وذهول أو غير ذلك من الآفات وكل ذلك محال
على خالق الأرض والسموات. فهذه الآية اذا فهمت معانيها وحضرت بخلو
القلب وشروط الاستماع لتاليها لا تطالب في الترغيب في الجهاد زيادة عليها
ولا انضمام شيء من المؤكدات اليها وذكر بسنده الى مالك بن أنس في موطنه
عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
(مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الذي لا يفتر عن صلاة ولا صيام
حتى يرجع) وقال الله تعالى ﴿وائن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة
خير مما يجمعون﴾ فهذا وعد من الله سبحانه مؤكداً بالقسم اذ أن القتل في
سبيله أو الموت مقترن بهما المغفرة والرحمة وخبره تعالى ووعدده حق وتأكيده
بالقسم للترغيب في الجهاد وتحقيق لفضله في قلوب العباد. أخرج مسلم في صحيحه
باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تضمن الله لمن
خرج في سبيله لا يخرج به الاجهادا في سبيلي وإيمانا بي وتصديقا برسولي فهو
على ضامن أن أدخله الجنة ان مات أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلاً
مانال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله
الا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي
نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو في
سبيل الله أبداً ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيشق عليهم أن
يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لو ددت أنى أغزو في سبيل الله فأقتل
ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) قوله صلى الله عليه وسلم لا يخرج به الاجهادا في

سبيل وإيماناً بي وتصديقاً برسولي في هذا حض على النية وتخليصها من الشوائب
الدينية والمأوربه من النية أن تكون كلمة الله هي العليا وهي الشهادتان وعلو
المستمسك بهما من أهل الايمان لأن الكفر اذا علا بالضرورة تكون الشهادتان
وشريعة الاسلام السفلى فيقصد بالخروج من بيته هذا مخلصاً ويبيع نفسه
من الله تعالى بالجنة التي وعداها في القرآن أو بمجرع الأمرين ابتغاء الجنة وعلو
الكلمتين فاذا صح قصده نال من الله ما وعده. وقوله فهو على ضامن قيل
معناه مضمون. وقوله أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلاً مانال من
أجر أو غنيمة أو بمعنى الواو ورواه أبو داود من أجر و غنيمة. والكلم المجرح
وباسناده الى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال (لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله
الاجاء يوم القيامة وجرحه يشعب (١) دما اللون لون الدم والريح ريح المسك)
في هذا تنبيه على النية. ومنه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها) وفي حديث أبي أيوب
خير مما طلعت عليه الشمس. الغدوة بفتح الغين السير الى الزوال مرة واحدة
والروحة السير من الزوال الى الغروب مرة واحدة. فالمعنى أن ثواب هذه
الغدوة والروحة الواحدة وفضلها ونعيمها على قلتها ويسارتها وخفتها خير من
نعيم الدنيا كلها على كثرتها فان نعم الدنيا زائلة فانية ونعم الآخرة دائمة باقية أو المعنى
أن الدنيا لو نالها ملك بأسرها وأنفقها لثواب الآخرة وأجرها لكان جزء هذه
الغدوة والروحة أكثر وفضلها أعظم وأكبر. ومن صحيح مسلم متصلاً عن أبي سعيد
الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يا أبا سعيد من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً
وبمحمد نبياً وحبته الجنة فعجب لها أبو سعيد فقال أعدها على يا رسول الله ففعل

(١) يشعب بفتح الياء والعين المهملة بينهما مثلثة ساكنة معناه يسيل

ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله (الجهاد في سبيل الله) الدرجات المنازل في الجنة بعضها فوق بعض على ما ورد به القرآن والسنة قال تعالى ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية﴾ ومنه عن النعمان بن بشير قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لأعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج وقال آخر ما أبالي أن لأعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمار المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله تعالى أفضل مما قلتهم فزجرهم عمر رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت لأستفتيه فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله﴾ الآية. وعن أبي سعيد الخدرى (أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال أى الناس أفضل فقال رجل يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه قال ثم من قال مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره) ومنه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيفة أو فرعة طار عليه يتبغى القتل والموت مظانه أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة يعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير) فظهر من هذا الحديث فضل الجهاد وشرفه والمواظبة عليه وأن الاكتساب منه خير كسب اذا خمس المغنم ولم يستأثر على الغازين بشيء إلا ما الضرورة داعية اليه مثل الطعام والشراب وشبههما مما هو مقرر في السنن المأثورة والكتاب العزيز. والهيعة

الصوت المفزع . والطيران هو اغائه المستغيث بأهني الممكن في الفعل المسرع والشعفرؤس الجبال . وفيه حض على الانزواء عن الناس والاعتزال لما في المخالطة من آفات القيل والقال وهذا الانزواء والاعتزال انما يحمدا اذا لم يتوجه فرض الجهاد والقتال أو فرض من الفروض على حسب الاحوال . ومنه عن أبي بكر ابن عبد الله بن قيس عن أبيه قال سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف فقام رجل رث الهيئة فقال يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا قال نعم قال فرجع الى أصحابه فقال اقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه وألقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل) قال القاضي عياض رحمه الله يعني أن الجهاد وحضور المعارك سبب لدخولها ومقرب اليها ويظهر والله أعلم أن مكان المعركة وجلاد الكفار منه تنقل روح الشهيد حين الشهادة، وتدخل الجنة كما جاء في القرآن وصحيح الأخبار . ومن صحيح مسلم ابن الحجاج عن ثابت قال قال أنس عمي الذي سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال فشق عليه قال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبت عنه ولئن أشهدني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فهاب أن يقول غيرها قال فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا قال واستقبله سعد بن معاذ فقال له أنس يا أبا عمرو أين قال واهأ لريح الجنة أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل قال فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية قال وقالت أخته عمى الربيع بنت النضر فما عرفت أخي الا بيناته ونزلت هذه الآية ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه . قوله واهالريح الجنة كلمة تلهف وحنين وتشوق الى الجنة وتمن لا جرم لما صدق أعطى

سؤله وبلغ مما تمنى مأموله وأوجده الله ريح الجنة كما ورد في الخبر الصحيح أنها توجد من مسيرة خمسمائة سنة وذلك تشرىف من الله تعالى لأهل السعادة وتكرمة لمن كتبت له الشهادة. ومن مسند النسائي عن فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أنا زعيم والزعيم الجميل لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله يبيت في ريض الجنة ويبيت في وسط الجنة ويبيت في أعلى غرف الجنة من فعل ذلك لم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً يموت حيث يموت) ومن مسند أبي داود عن أبي أمامة أن رجلاً قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة قال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله . ومن الترمذي عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعائة ضعف) ومنه عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا) ومنه عن يزيد بن أبي مرثد قال لحقني عباية بن رفاعه بن رافع وأنا ماش الى الجمعة فقال أبشر فان خطاك هذه في سبيل الله سمعت أبا عبيس يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار) انتهى كلام الصدفي رحمه الله قال الترمذي في جامعه أبو عبيس هذا اسمه عبد الرحمن بن جبر ويزيد ابن أبي مرثد هو رجل شامي روى عنه الوليد بن مسلم ويحيى بن حمزة وغير واحد . ثم قال الصدفي رحمه الله ومنه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يبلغ النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم)

فصل في الرمي وفضيلته

أخرج الترمذي وأبو داود والنسائي عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول (ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاث نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله) وفي الترمذى (كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل الارميه بقوسه وتأدييه فرسه وملاعبته أهله) ومن مسند الترمذى عن أبي نجيح الأسلمى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محرر) وروى البخارى عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر ينتضلون فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان راميا وأنا مع بنى فلان قال فأمسك أحد الفر يقين بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم لا ترمون قالوا كيف نرمي وأنت معهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم) ومن صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه) ومنه عن عبد الرحمن بن شماسه أن نعيما اللخمي قال لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وأنت كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه فقيل لابن شماسه وما ذاك قال إنه قال (من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصي) وقوله صلى الله عليه وسلم فليس منا أى ليس متبعا لنا ولا مهتديا بهدينا تارك الرمي. وكتب عمر رضى الله عنه لأهل حمص علموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية والاحتفاء بين الاغراض وقال احتفوا وتجردوا واخشوشنوا وتمعددوا (١) واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نوا وارموا الاغراض واياكم ولباس العجم البسوا الأزر

(١) قوله وتمعددوا قيل أنه من التشبه بعيش معد وكانوا أهل شظف وغلظ في العيش يقول كزوا مثلهم ودعوا التنعم وزى العجم كما هو في حديث (عليكم باللينة المعدية) وقيل إنه من قولهم للغلام اذا شب وغلظ قد تمعدد

والأردية وألقوا السراويلات واستقبلوا حر الشمس بوجوهكم فانها شامات
العرب واطرحوا الخفاف والبسوا النعال

فصل في الرباط وفضله وذكر الخيل وفضلها

أخرج البخارى فى صحيحه عن سهل بن سعد أنه قال (رباط يوم فى سبيل الله
خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها والروحة
يروحها العبد فى سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها) وروى الترمذى
عن فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كل ميت يتختم
على عمله الا الذى يموت مرابطا فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة
ويأمن من فتنة القبر) أخرج مالك فى موطئه وغيره عن أبى هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال (الخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما
الذى همى له أجر فرجل رباطها فى سبيل الله فأطال لها فى مرج أو روضة
فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها
قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواها حسنات
له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقى به كان ذلك له حسنات
ففى له أجر ورجل رباطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى رقابها
ولا ظهورها ففى لذلك ستر ورجل رباطها نخرا ورياء ونواء لأهل الاسلام
ففى على ذلك وزر) ومنه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال (الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة) ومنه عن يحيى بن سعيد أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى يمسح وجه فرسه بردائه فسئل عن ذلك
فقال (انى عوتبت الليلة فى الخيل) ورؤى العتبي عن مالك أنه سأله بعض
أهل ثغر الاسكندرية هل الرجوع لثغرهم والسكون فيه للحرس وسده أفضل

أم المقام بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحيات لطلب العلم أفضل فرجع لهم الرجوع الى الاسكندرية والكون فيها على ذلك . وروى عن ابن عمر أنه كان يقول الحرس أفضل من الغزو لان الحرس فيه حفظ دماء المسلمين والغزو فيه اراقة دماء المشركين فحفظ دماء المسلمين أولى . أخرج الترمذى فى صحيحه عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله) ومن الترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لقي الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثلثة) ومنه عن أبى صالح مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت عثمان وهو على المنبر يقول انى كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية نفوركم عنى ثم بدالى أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بداله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح . ومنه عن أبى أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ليس شئ أحب الى الله عز وجل من قطرتين وأثرين قطرة دموع من خشية الله تعالى وقطرة دم تهراق فى سبيل الله تعالى وأما الأثران فأثر فى سبيل الله تعالى وأثر فى فريضة من فرائض الله تعالى) قال ابن حبيب الرباط شعبة من شعب الجهاد . وقيل من رباط فواق ناقة حرمه الله على النار قال ابن حبيب فواق ناقة قدر ماتحلب وقال غيره قدر ما بين الحلبتين . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال لحرس ليلة أحب الى من صيام ألف يوم أصومها وأقوم ليلها فى المسجد الحرام وعند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وعن مالك بن أنس رحمه الله تعالى ينبغى لكل قوم أن يربطوا فى ناحيتهم وأن يمسكوا سواحلهم الا أن يكون مكانا مخوفا يخاف فيه على العامة يريد فليذهب اليه . ومن الحرس

في الثغور حفر الخنادق والاحتساب في حفرها مستنين في ذلك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعه عليه الصلاة والسلام للحجر الذي أعيت الصحابة الحيلة في كسره . أخرج النسائي عن البراء بن عازب قال لما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذه المعول فاشتكيننا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقى ثوبه وأخذ المعول وقال (بسم الله ثم ضرب ضربة فكسرت ثلث الصخرة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله اني لأبصر الى قصرها الأحمر الآن من مكاني هذا قال ثم ضرب أخرى وقال بسم الله فقطع ثلثا آخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله اني لأبصر خضراء المدائن والى القصر الأبيض ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله اني لأبصر باب صنعاء من مكاني الساعة)

فصل في فضل الشهادة

أخرج مسلم في صحيحه عن مسروق قال سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ قال أما انا قد سألتنا عن ذلك فقال (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل) ومنه عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال (ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وان له بها ما على الأرض من شيء غير الشهيد فانه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة . ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا) ومن الموطأ عن معاذ ابن جبل رضى الله عنه أنه قال الغزو غزوان فغزو تنفق فيه الكريمة ويياسر

فيه الشريك ويطاع فيه ذو الأمر ويحْتَنَبُ فيه الفساد فذلك الغز وخير كله وغزو لا تنفق فيه الكريمة ولا يياسر فيه الشريك ولا يطاع فيه ذو الأمر ولا يحتنب فيه الفساد فذلك الغز ولا يرجع صاحبه كفافاً. ومن صحيح البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها قالوا يارسول الله أفلا ننبيء الناس بذلك قال ان في الجنة مائة درجة أعدتها الله تعالى للجهاديين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وفوقه عرش الرحمن) ومن صحيح الترمذى عن المقدم بن معديكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (للشهيد عند الله ست خصال يغفر الله له في أول قطرة تقطر من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب. ومنه عن أبي هريرة قال مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عين من ماء عذب فأعجبته لطيبها فقال لو اعتزلت عن الناس فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة (اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة) ومنه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله تعالى ونصح لمواليه) ومنه عن أبي ادريس الخولاني أنه سمع

فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك الذى يرفع الناس اليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته قال فما أدري أقلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبي صلى الله عليه وسلم قال ورجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلع من الجبين أتاه سهم غرب فقتله فهو فى الدرجة الثانية ورجل مؤمن خالط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك فى الدرجة الثالثة ورجل مؤمن أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك فى الدرجة الرابعة) وفضيلة الجهاد قد جاء فيها ما هو أكثر من هذا . ولكن ذلك متعذر على المرء وحده اذ لا بد فيه من جماعة وامام تنعقد كلمتهم عليه ولا يخالفونه . وقد ذكر العلماء رحمة الله عليهم ذلك وشرطوا له شروطا وبينوا حال الامام وحال الجماعة التى تكون معه وصفة هديهم وطريقتهم وآدابهم وما يتجنبون فيه من المفساد وهذا النوع كثير قل أن يحصر أعنى ما أحدث فيه من المفساد شرقا وغربا فمن أراد الجهاد فليتوقف حتى يسأل أهل العلم والنهى عما يجب عليه فيه وما يندب له وما يحرم عليه أو يكره وما يتجنب فيه من المفساد فانها مختلفة بحسب اختلاف الاقاليم والائمة والجماعة والعصر فلا يمكن الكلام على معنى من معانيها الكثيرتها واختلاف الأحوال والازمان فبالسؤال يتبين له ما يصلح به فان رأى أنه لا بد من خلل يرتكبه بسبب جهاده فالترك له أولى اللهم الا أن يتعين الجهاد فلا سؤال اذذاك لأنه لا ينتظر فيه اذن الامام ولا حضور الجماعة ولا اذن الوالد ولا اذن الوالدة ولا اذن السيد اذ أن النفير واجب متعين على كل من كانت له قدرة بوجه ما ثم الأصل الذى يعول عليه فى جهاده ويعتقد النصر من جهته هو التعلق بجناب أولياء الله تعالى والرجوع اليهم والصدور عن رأيهم . ألا ترى الى ما حكى

عن عبد الملك بن مروان لما أن خرج لبعض غزواته قال انظروا الى محمد ابن الحنفية فذهبوا اليه ثم رجعوا فقالوا وجدناه في المسجد يصلي فقال اذهبوا فقد نصرنا سبأته في القبلة عندى خير من كذا وكذا ألف فارس فمضوا لما كانوا بسبيله فنصر واوغنموا. وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام (ابغوني في ضعفائكم) ومع ذلك فلا ينبغي أن يتمنى المرء لقاء العدو امثالاً للسنة لقوله صلى الله عليه وسلم (لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) خرجه البخارى وغيره فشان المكاف امثال الأدب بترك دعاوى وغيرها حتى اذا تعين عليه الأمر استعان بربه تعالى وامثل أمره مبتغياً بذلك مرضاته وما وعد عليه من جزيل الثواب لفاعله. وهذا عام في كل الأحوال دقيقها وجليلها فيمكن المرء متيقظاً لها فانه يحشر يوم القيامة على مامات عليه والجهاد مظنة الموت غالباً. ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. قال علماؤنا رحمة الله عليهم معناه أن روح المؤمن تنقل من ذلك الموضع الى الجنة والتعلق بالله تعالى هو الأصل لهذا الأصل المتقدم ذكره وانما هى أسباب وبقى الأمر الى الله تعالى ماشاء فعل فهو عز وجل القادر على النصر بسبب وبغير سبب. ألا ترى الى قوله تعالى ﴿وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾ ففي الرمي عن نبيه عليه الصلاة والسلام أو لا بقوله وما رميت ثم أثبتله بقوله اذ رميت فانه عز وجل جمع لنبيه عليه الصلاة والسلام في ذلك بين الحقيقة والشريعة. أما الشريعة فلكونه عليه الصلاة والسلام أخذ كفا من تراب بيده الكريمة ورمى به في وجوههم وقال شامت الوجوه. وأما الحقيقة فلوصول ذلك التراب لعين كل واحد من العدو حتى أنه لم يقدر أحد منهم أن يفتح عينه ملئها بالتراب وهذا شيء يعجز البشر عنه وكذلك كانت أفعاله عليه الصلاة والسلام لا يبد فيها من امثال الحكمة ثم يظهر

الله سبحانه قدرته عيانا للخلاق على يديه صلى الله عليه وسلم. ألا ترى الى ما جاء في نبع الماء من بين أصابعه الكريمة فانه عليه الصلاة والسلام لم يفعل ولم يمد يده دون ماء بل امتثل الحكمة بوضع يده الكريمة في اناء فيه ماء ثم أمرهم أن يسقوا ويشربوا ويملأوا والماء يتفجر من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام من غير نقص من ذلك الماء. ومن ذلك أمره عليه الصلاة والسلام بجمع ما بقى مع أصحابه من الأزواد حين فنيت فجمعت وبارك فيها فأكل الجميع منها حتى شبعوا ومن ذلك فعله عليه الصلاة والسلام في قصة جابر بن عبد الله رضى الله عنه في الداجن الذى ذبحه والعجين الذى خبزه وكونه عليه الصلاة والسلام بصق فيهما وبارك ثم أذن لعشرة فى الأكل ثم عشرة من بعدهم من كان يعمل فى الخندق حتى أكل الجميع وشبعوا وكانوا ألفا والبرمة تفور كما هى والعجين يخبز كما هو. ومن ذلك خروجه عليه الصلاة والسلام الى الجهاد فانه كان يعتدل ذلك بجمع أصحابه وبتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاجون اليه من آلات الجهاد والسفر ثم اذا رجع عليه الصلاة والسلام تخلى من ذلك ورد الأمر كله لمولاه عز وجل لا لغيره بقوله (آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده) فانظر رحمتنا الله واياك الى قوله عليه الصلاة والسلام وهزم الأحزاب وحده فبنى عليه الصلاة والسلام ما تقدم ذكره وهذا هو معنى الحقيقة لأن الانسان وفعله خلق لربه عز وجل فهو سبحانه وتعالى الذى خلق ودبر وأعان وأجرى الامور على يد من شاء واختار من خلقه فكل منه وكل اليه راجع. ولو شاء الله عز وجل أن يبيد أهل الكفر من غير قتال لفعل وقد نطق به القرآن العزيز قال سبحانه وتعالى ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضهم ببعض ﴾ فيثيب سبحانه وتعالى الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين وقال تعالى ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ فعلى

المكلف الامتثال في الحالين أعني في امتثال الحكمة والرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والسكون اليه والنزول بساحة كرمه ﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ الى غير ذلك مما جاء في هذا المعنى وهو كثير فتجده عليه الصلاة والسلام في كل ذلك يمثل الحكمة أو لا تأدبا مع الربوبية وتشريعا لأئمة ثم يظهر الله تعالى على يديه قدرته الغامضة الخبأة التي ادخرها له عليه الصلاة والسلام. وما جرى له عليه الصلاة والسلام مما تقدم ذكره فهو جار لأئمة ببركة اتباعه صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما قد وقع مثل هذا كتكثير القليل وقلب الأعيان والمشى على الماء والطيران في الهواء وما أشبه ذلك مما هو معروف مشهور يقطع العذر ويوجب القطع بوجوده. وقد قال علماءنا رحمة الله عليهم كل كرامة ظهرت لولى فهي معجزة لنبيه عليه الصلاة والسلام اذ أنه ما حصلت له تلك الكرامة الا ببركة اتباعه عليه الصلاة والسلام والحمد لله الذى بقيت هذه البركات في هذه الأمة لا تنقطع وكيف لا والله تعالى يقول في كتابه العزيز ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام (لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) وهذا عام فيما نحن بسبيله وفي غيره

﴿ فصل ﴾ وينبغي للجهاد أن لا يقاتل بنية اراقة دماء الكفار ليس الابل يجاهد في سبيل الله لما تقدم ذكره من نية اعلاء كلمة التوحيد واطهارها واطماد كلمة الكفر وابطالها . وينبغي للجهاديين اذا كانوا مع الامام أو في سرية وأدربوا بلاد العدو أنهم اذا صلوا الخمس يرفعون أصواتهم بالذكر ليرهبوا العدو بذلك وليقتدوا فيه بالسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين وفعل ذلك في غير هذه الحالة على هذه الصفة بدعة . وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية والله الموفق والناصر والهادى لارب سواه ولا مرجو الاياه

فصل في آداب الفقير المنقطع التارك للأسباب

وكيفية نيته وهدية

قد تقدم أن الجهاد ينقسم على قسمين جهاد أصغر و جهاد أكبر . وقد تقدم الكلام على الجهاد الأصغر وبقى الكلام على الجهاد الأكبر وهو عام في كل الناس الا أن الفقير أحوج الناس اليه اذ أنه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على آخرته لشغله بربه واقباله على اصلاح نفسه وتنظيفها من الغير فكل قلب فيه غير الله تعالى كان في حيز المتروك المطروح وكل قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقع له الفتح والتجلى والمخاطبة في سره بما يليق بحاله . وهذا مقام لا يعرفه الا أهله المختصون به . واذا كان ذلك كذلك فيحتاج المرید الى مجاهدة عظيمة لكي يصفو قلبه ويتجهز لتحصيل الفوائد الربانية لعله أن يظفر بها أو بشيء منها فيحصل بذلك في جملة السابقين وقاعدة الفقير أبدا لا يزال في جهاد . فأول جهاده جهاد الشيطان ثم جهاد نفسه . وقد قال علياؤنا رحمة الله عليهم ان الجهاد ينقسم على أربعة أقسام جهاد بالقلب و جهاد باللسان و جهاد باليد و جهاد بالسيف . وقد تقدم الكلام على الجهاد بالسيف وبقى الكلام هنا على باقى أقسام الجهاد . فالجهاد بالقلب جهاد الشيطان و جهاد النفس عن الشهوات والمحرمات . قال الله تعالى ﴿ ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ﴾ و جهاد اللسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ومن ذلك ما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام به من جهاد المنافقين لأنه عز وجل قال ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين و اغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ فجاهد صلى الله عليه وسلم الكفار بالسيف وجاهد

المنافقين باللسان لأن الله عز وجل نهاه أن يعمل بعلمه فيهم فيقيم الحدود عليهم وكذلك جهاده صلى الله عليه وسلم المشركين قبل أن يؤمر بقتالهم بالقول خاصة وجهاد اليد زجر ذوى الأمر أهل المناكر عن المنكر والباطل والمعاصى والمحرمات وعن تعطيل الفرائض الواجبات بالادب والضرب على ما يؤدي إليه الاجتهاد فى ذلك . ومن ذلك اقامتهم الحدود على القذفة والزناة وشربة الخمر ثم أول ما يحتاج إليه فى مجاهدته الزهد فى الدنيا لأن محبتها والعمل على تحصيلها مع وجود شغف القلب بها يعمى عن أمور الآخرة ويطمس القلب ويكثر فيه الوسوس والنزغات لأن الشيطان وجد السبيل الى ذلك بسبب ما شغف قلبه بما تقدم لأنها رأس كل خطيئة . وقد مر عيسى عليه الصلاة والسلام برجل نائم فى السحر فوكزه وقال له يا عبد الله قم فقد سبقك العابدون فقال ياروح الله دعنى فقد عبدته بأحب العبادات اليه قال له عيسى عليه الصلاة والسلام وما ذاك قال بالزهد فى الدنيا قال له عيسى ثم نومة العروس فى خدرها انتهى ثم ان الزهد لا يقتصر فيه على الزهد فى الدنيا ليس الا بل هو عام فى كل الحركات والسكنات وضابطه أن كل حركة وسكون ونفس الى غير ذلك ينظر فيه فما كان لله تعالى فليمضه وما كان لغيره فليدعه . وقد قالوا الزهد فى فضول الكلام أفضل من الزهد فى غيره يشهد لذلك قوله عليه الصلاة والسلام جوابا لأصحابه رضى الله عنهم لما أثنوا على رجل قد مات فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو كما قال عليه الصلاة والسلام . وقد قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى أقل فائدة فى السكوت تسبيح الاعضاء انتهى . فاذا كانت هذه أقل فوائده فما بالك بما هو أكبر منه ولولم يكن فيه الا السلامة من عثرات اللسان لكان غنيمة عظيمة . وقد تقدم فى أول الكتاب أن الاعضاء تصبح فى كل يوم تناشد اللسان أن يسلبها من آفاته

لأنه اذا عطب لم يعطب وحده بل تعطب كل الأعضاء بسببه . وقد ورد أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه دخل على أبى بكر الصديق رضى الله عنه فوجده ممسكا لسانه فقال له عمر رضى الله عنه ما هذا قال هذا الذى أو ردى الموارد فاذا كان الصديق رضى الله عنه يقول مثل هذه المقالة فما بالك بغيره . واذا كان ذلك كذلك فليشمر الفقير الى سلوك هذه المفازة ليقطعها فانها عقبة كئود لا يجاوزها الا المشمرون أعاد الله علينا من بركاتهم . ثم ان الزهد فى الرياسة أعظم من الزهد فى كل ماتقدم ذكره لأن النفس والمال ينفقان فى الرياسة والرياسة لا تنفق فيهما فالزهد فيها متعين . ثم لا يظن ظان أن الرياسة انما هى فى رتب الدنيا ليس الابل هى عامة فى رتب الدنيا والآخرة فمن كان عند نفسه شىء فهو عند الله لاشىء ومن كان عند نفسه لاشىء فهو عند ربه شىء ولاجل هذا المعنى قال بعض الشيوخ نفغنا الله تعالى به من رأى أنه خير من الكلب فالكلب خير منه وماقاله بين ألا ترى أن الكلب مقطوع له بأنه لا يدخل النار بخلاف من لم يقطع له من الآدميين فانه محتمل لاحدى الدارين فان كان هذا الآدمى من أهل النار والعياذ بالله فالكلب خير منه وان كان من أهل الجنة فلا شك أنه خير من الكلب . ولاجل هذا المعنى حكى عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله وأعاد علينا من بركاته أنه كان جائعا ووجد فضلة طعام على سزبة فجعل يأكل منه واذا بكلب قد جاء فأكل من الناحية الاخرى ثم نبج الكلب على ابراهيم فقال ابراهيم لا تنبح على ولا أنبح عليك كل من جهتك وأنا اكل من جهتي ان دخلت أنا الجنة فأنا خير منك وان دخلت النار فأنت خير منى تصرىحا منه رحمه الله تعالى بالمعنى المتقدم ذكره . وقد قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله تعالى ان كانت نفسك فى هذه الأرض فسرك فى سماء الدنيا فانزلت الى الأرض الثانية فسرك فى السماء الثانية فانزلت الى الأرض الثالثة فسرك فى السماء الثالثة فان

نزلت الى الارض الرابعة فسرك في السماء الرابعة فان نزلت الى الارض الخامسة فسرك في السماء الخامسة فان نزلت الى الارض السادسة فسرك في السماء السادسة فان نزلت الى الارض السابعة فسرك في السماء السابعة فان نزلت عن الارض السابعة الى ظهر الثور الذي عليه قرار الأرضين فسرك ناظر الى العرش انتهى فقرر رحمه الله أنه بسبب التواضع وعلى قدر نزول النفس يسمو أمره و يعلو قدره فمن أراد الفوز فليعمل على اشارته يحظ بالسلامة . وأعنى بالزهد في مراتب الآخرة أنه يعبد الله تعالى لوجهه الكريم لا ليعوض قال الله تعالى ﴿ يريدون وجهه ﴾ وصاحب هذا الحال يرى نفسه أنها ليست أهلاً لشيء لاستحقاقه نفسه وترك النظر اليها وصغارتها عنده لعظيم ما هي فيه من الخطر . وقد روى أنه كان في بني اسرائيل رجل عابد مجتهد وكانوا يفضالونه على أنفسهم أعنى من كان في وقته من العباد فأوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أن قل لفلان يعبدني ماشاء فهو من أهل النار فأصبح موسى عليه الصلاة والسلام فأخبرني اسرائيل بذلك فتعجبوا وقالوا ليس فينا أحد مثله في العبادة والخير فينا هم كذلك واذا بالرجل قد أتى فسلم وجلس فأخبره موسى عليه الصلاة والسلام بما قد وقع فقال أهلاً بقضاء ربي ومضى لسبيله فلما جن الليل تطهر وصلى ركعتين وقال اللهم انى سنت أعبدك ولست عند نفسى أهلاً لشيء والآن قدمنت على وجه لنتى أهلاً لنارك فوعزت لك لازل هذا مقامى بين يديك شكرا لك على هذه النعمة حتى ألقاك فلما أصبح من الغد جاء الى موسى عليه الصلاة والسلام فقال له موسى عليه الصلاة والسلام ان الله قد أوحى الى أن قل لفلان يفعل ما يشاء فهو من أهل الجنة لآزدرائه بنفسه . وقد حكى أن ابراهيم بن آدم رحمه الله ونفع به عدله بعض الناس في كونه لم يجلس اليهم ويحدثهم حتى يأخذوا عنه العلم لانه رحمه الله من أفاضل العلماء والمحدثين فقال شغلنى أربع لو فرغت منها لجلست اليكم

وحدثكم فقالوا له وماهى فقال افكرت فى نزول الملك لتصويرى فى الرحم
وندائه يارب أشقى أم سعيد فما أعرف كيف خرج جوابى الثانية أنى افكرت فى
نزول ملك الموت لقبض روحى وندائه يارب أقبضه على الاسلام أم على الكفر
فما أعرف كيف خرج جوابى الثالثة أنى افكرت فى قوله تعالى ﴿وامتازوا اليوم
أيها المجرمون﴾ فما أعرف فى أى الفريقين أمتاز الرابعة أنى افكرت فى المنادى
الذى ينادى حين حصول أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يا أهل الجنة
خلود لاموت فيها ويا أهل النار خلود لاموت فيها فما أعرف فى أى الدارين
أكون انتهى . فمن كان يتقلب بين هذه الأحوال كيف يقرله قرار أو يأوى الى
عمران وانما هى غفلات والمريد مبرأ من الغفلات متيقظ لما بين يديه من
الأمور القاطعات ناظر للناس نظر عموم يراهم هلكى فيرحمهم ويستغفر لهم
قدشمر عن ساعده خوفاً منه أن يلحقه ما لحقهم اذ أن الدنيا لولا الحقى ما عمرت
وطول الأمل فى الإنسان من أكبر الحق والمريد ناظر الى زمانه وهو ينقسم
على ثلاثة أقسام ماض ومستقبل وحال فان نظر الى الماضى فهو كندب الاطلاع
بطالة لا تغنى ولا فائدة فيها وان نظر الى المستقبل فالقدر ليس بيده والحياة
ليست بحكمه فلم يبق الا النظر فى الحال والنظر فى الحال هو ما قاله بعض الشيوخ
رحمه الله تعالى الفقير ابن وقته . لأن الموت متوقع مع الحركات والسكنات
والانفاس فاذا خرج منه نفس فقد لا يرجع اليه واذا رجع اليه فقد لا يخرج منه
واذا كان ذلك كذلك فقد ارتفعت عنه الكلف والنظر فى الملبس والقوت والمسكن
وغير ذلك من الضرورات البشرية اذ أن نفساً واحداً لا ثمن له ولا يعتبر أمره
فى الإقامة فى الدنيا اذ أن من صار حاله الى ما تقدم ذكره وهو أن الموت نصب
عينه فقد انقطعت فكرته وهمومه وحسراته فى كيفية موته على الاسلام وفى قبره
ووحشته وجوابه حين السؤال فيه وما بعده من الأحوال العظام فأى راحة

تبقى لمن هذا حاله وفكرته . حكي أن انسانا جاء لبعض اخوانه يزوره فوجده وحده وهو يلتفت يمينا وشمالا وخلفا وأماما فقال له الزائر لمن تلتفت فقال أنظر لملك الموت من أى ناحية يأتيني . وقد جاء بعضهم الى شيخ له ليزوره وكان قد لقيه بعض أصحابه فعزم عليه فقال اني صائم فأعطاه سبع تمرات أو لوزات على أنه يفطر عليها فربط ذلك في طرف كسائه فلما دق الباب وخرج له شيخه ليسلم عليه قال له الشيخ ما هذا الذي في طرف كسائك فأخبره بما جرى فقال له الشيخ وأنت تظن أنك تعيش الى الغروب والله لا كلمتك بعدها أبدا ولاجل هذا المعنى قال سيدى أبو مدين رحمه الله تعالى ونفع به عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لاعليك انتهى . وهاهو ظاهرين فمن كان حاله على ما تقدم وصفه فلا راحة له دون لقاء ربه . وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنص الصريح على ما نحن بسبيله حيث قال عليه الصلاة والسلام (لاراحة للمؤمن دون لقاء ربه) ومعنى ذلك والله تعالى أعلم أن المؤمن طالما هو في دار التكليف لا يزال في مكابدات وأهوال وأخطار حتى يخرج منها فيلقى ربه عز وجل فيرى ماله عنده من الكرامات فينبذ تحصل له الراحة الحقيقية الدائمة التي لا انفصام لها . وقد ذكر الشيخ الامام القدوة المحقق يمن بن مرزوق رحمه الله تعالى ونفع به في حال الفقير وزهده ما هذا لفظه اعلم أن الناس في الزهد على طبقات فمنهم آخذ وهو تارك ومنهم تارك وهو آخذ وإنما يحمد ويصح هذا الأمر لمن ترك الدنيا وزهد فيها بعد قدرته عليها . ومن الناس من يكون مصليا نائما وآخر نائما مصليا ومفطرا صائما وصائما مفطرا وكاسيا عاريا وعاريا كاسيا وإنما ذلك كله على تصرف ارادة القلب وتصحيح النية وفساد ارادة القلب وفساد النية والسلامة من الكسب الخبيث والقول الخبيث وفي هذا كلام كثير الأأن

من صدق أبصر وتحقق ذلك . وينبغي للعالم بالله وبما أمره الله تعالى به ونهاه عنه أن يكون قد ملأت قلبه عظمة الله تعالى فاشتغل بالقيام بحقوق الله تعالى عن كل فضول الدنيا من الأكل والشرب واللباس والبنيان والمركب والازواج والاولاد والخدم وان كان فيهم من له الزوجة والولد وأشياء مما ذكر لم يأخذ ذلك على الرغبة ولم يشغله عن فهم وعد القرآن ووعيده واعلم أن القوم لما وصلوا الى ما وصلوا اليه لم يغتروا بدار الغرور ولم تكن لهم رغبة الا خوف فوات ماشوق اليه وعد القرآن ووعيده من الخلود في دار النعيم أو دار الهوان ﴿ان في هذا لبلاغاً لقوم عابدين﴾ انما دعا الى دار السلام من خلقها وزينها وجلاها بنقض أيها المرید الغمرات شوقاً الى نعيمها وأجب الداعي الصادق الوفي الى ما وعد ودعاك اليه فانه قد حذرک نفسك وهوأك وأندرك حلول دار سخطه والتخلص من ذلك كله والوصول الى نعيم دار الخلود رفض المحبوب من اتباع الهوى فارفضه واجعل الموت ضجيعك والزهد قرينك والجدسلاحك والصدق مركبك والاخلاص زادك والخوف من الله على مقدمتك والشوق الى الجنة صاحب لوائك والمعرفة على يمينتك واليقين على يسرتك والثقة على ساقتك والصبر أمير جنديك والرضا وزيرك والعلم مشيرك والتوكل درعك والشكر خليلك ثم انفر الى عدوك وصافقه بجميع ما ذكرت لك وطب نفسا عن دار الهموم والاحزان الى دار البقاء والسرور مع الخيرات الحسان والله المستعان والحمد لله رب العالمين

﴿فصل﴾ ثم قال رحمه الله فلينظر العبد الى الله تعالى في كل أمره فانه من نظر الى نفسه أو الى أحد من المخلوقين بأمل رجاء منفعتة كان عزو با لقلبه عن الله وكان منقوصا عن منزلة الواثقين المؤيدين . وقد قال الله عز وجل لداود عليه السلام ﴿ياداود انى قد آليت على نفسى أن لا أثيب عبدا من عبادى الا

عبدا قد علمت من طلبته و ارادته والقاء كنفه بين يدي أنه لا غنى له عني وأنه لا يطمئن الى نفسه بنظرها وفعالها الا وكنته اليها أضف الأشياء الى فاني أنا مننت بها عليك ﴿ و اعلم أن العباد انما تفاوتوا وتباينوا فباختيارهم نظر الله تعالى على اختيار أنفسهم زادهم ذلك سرعة وقربا من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم وبالسهو عنه واختيارهم أنفسهم على نظر الله تعالى زادهم ذلك بطأ وبعدا من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم فكان في نظرك الى ربك ناظرا بأن لا تؤمل غير صنعه ولا ترجو غير معونته واثقا باختياره فان ذلك أقرب وأسرع في معونته لك فان الذين قلدوا أمورهم ربهم ووثقوا به ولجؤا اليه قد أماتوا من قلوبهم تدبير أنفسهم وجعلوا الامور عندهم أسبابا مع قيامهم بها والمحافظة عليها فأولئك ذهبوا بصفو الدنيا والآخرة لسكون قلوبهم اليه فوجدوا بذلك الروح والراحة فهم حماة الدين والعلماء بالله قد فاقوا على من سواهم باطمئنانهم به وسكونهم اليه فأوجب لهم صنعه وأقام قلوبهم على منهاجه فما تقلبوا فيه من الأمر فعلى الرضا والطمأنينة ومن سواهم من الخلق في مؤنة وتعب من أنفسهم حيث اختاروها وتوكلوا عليها فأورثتهم الهم والغموم وأما أهل العبودية لله فهم الذين قلدوه وأمورهم وخرجوا عن طباع العباد لما تبين لهم من خطأ من اختار نفسه فجعلوا اختيارهم الرضا بما صيرهم اليه مولاهم من أمورهم فزال الغموم عن قلوبهم فأوجب لهم الصنع والتوفيق في أحوالهم وأورثهم الغنى والعز في قلوبهم وسد عنهم أبواب الحاجات الى المخلوقين وأتتهم لطائف الله من حيث لا يحتسبون وقام لهم بما يكتفون به ونزه أنفسهم عما سوى ذلك اكراما لهم عن فضول الدنيا وطهارة لقلوبهم عن التشاغل بما أغناهم عنه فخصهم من كل دنس وأمشاهم في طرقات الدنيا طيبين موالين له فهم في السموات أشهر منهم في الأرض ولاصواتهم هناك دوى ونور يعرفون به ويحيون عليه وقد رفع أبصار قلوبهم

اليه فهي ناظرة اليه بتلك القلوب غير محجوبة عنه بلا ادراك منهم لصفة ولا صورة ولا احد ولا احاطة منهم به سبحانه ولكن كيف شاء لهم ذلك فأحبهم وحبيهم الى ملائكته وسائر خلقه وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿ياد اود تفضل على عبادي اكتبك من اوليائي واحبائي واباهي بك حملة عرشى وارفع الحجب بيني وبينك فتنظر الى يبصر قلبك لا احجبك عن ذلك ما كنت مستمسكا بطاعتي﴾ وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال ﴿قل لاهل محبتي يشتغلوا بي فاذا علمت أن الغالب على قلوبهم الاشتغال بي والانقطاع الى كان حقا على أن ارفع الحجب بيني وبينهم ينظرون الى بأبصار قلوبهم فهم يتنعمون بذكرى قد أغناهم ذلك عن كل نعيم من نعيم الدنيا والآخرة﴾ فهوؤلاء قد ملأ الله أسماعهم وأبصارهم وجوارحهم من حبه فأدبوا أنفسهم بالعبودية له والدخول في محبته وذلك أن تأديب الرجل نفسه في مطعمه ومشربه وملبسه يزيد في صلاح قلبه وتنقاد جوارحه لقلبه ويقوى عزمه ويقهر هواه فيقوم عند ذلك مقام أهل القوة الى أن يرفعه الله الى منزلة فوقها حتى يستوى عنده الأخذ والترك فلا يأسفوا على ما فاتهم ولا يفرحوا بما آتاهم للغنى الذى وقر في قلوبهم يزدادون له محبة ومودة وشكرا له فى العلم به والمعرفة به فعند ذلك رقت قلوبهم وانقادت أهواؤهم الى ما قل من الدنيا وكفى فهي لا تطلع الى غير ذلك ناظرين الى ربهم فى أمورهم كلها لا الى الأسباب نظرهم من غير تفریط فى اقامة الأسباب الخالصة من أعمال البر فان لبسوا خشنا أو لبنا أو حسنا أو قبيحا أو أكلوا طيبا أو كرمها أو حلوا أو مرا أو حامضا أو قليلا أو كثيرا لم يغير ذلك من قلوبهم عن الحال التي هي عليها من ذكر ربهم وتعظيمه وذلك أن قلوبهم عامرة من ذكر الخالق وليس لشيء سواه فى قلوبهم ثبوت الا بالخاطر من غير أن يرسخ أو يثبت فلم يقيم الناس مقاما أشرف من أن يعلقوا

قلوبهم برهم ولا أولى بهم من ذلك لأنهم أشد الناس محافظة على جمع همومهم في صلاتهم وجمع ما يتقربون به من ربهم ان قاموا عرفوا بين يدي من هم قيام له وكذلك ان ركعوا أو سجدوا أو تلاوا القرآن أو دعوا ربهم لا تعزب قلوبهم عن ذلك . فيه زكات أعمالهم وصوبت عقولهم فهو يتعاهدهم بلطفه ويسوسهم بتوفيقه فقل عند ذلك خطوهم وكثر صوابهم فمن كان يريد الدخول في محبة طاعة الله فلا يكن له ثقة الا الله ولا غنى الا به ولا أمل غيره يرجوه ويتخذة وكلا في أموره كلها راضيا بقضائه فيما نقله اليه من أموره راضيا باختيار الله له متهما رأيه ولما تسول له نفسه مسلما راضيا عن الله غير متجبر ولا متملك فيما أحدث الله من مرض أو صحة أو رخاء أو شدة مما أحب أو كره وليكن قلبه بذلك راضيا لموضع الثقة بربه وحسن الظن به . فاذا كان العبد كذلك ورث الله قلبه المحبة له والشوق اليه وصار الى منزلة الرضا بما كفاه وحماه من الدنيا وان قل وأخرج من قلبه مطامع المخلوقين فاستغنى بالله فجعله الله من أولى الألباب ثم ألهمه مولاة علما من علمه فعرفه مالم يكن يعرفه وعلمه مالم يكن يعلمه فعن الله أخذ عليه وبأمر الله جل ذكره تأدب فظهرت أخلاقه لما آثر أمر الله ولجأ اليه فتمت عليه نعمة الله في الدنيا والآخرة فأولئك المحبوبون في أهل السموات المعروفون فيها خفي أمرهم على أهل الأرض وظهر أمرهم لأهل السموات لكلامهم هناك دوى ولبكائهم حين تقعقع له أبواب السماء من سرعة فتحها اجابة لدعائهم فأعظم بهم عند الله جاهها ومنزلة وأعظم بهم خوفا من الله وحسن ظن به فهم مسرورون برهم قريرة أعينهم طربة قلوبهم بذكره مشتاقة ساكنة مطمئنة اليه قد تقدموا الناس وانقطع الناس عنهم وأشرفوا على الناس واشتغل الناس عنهم فعجبوا من الناس وعجب الناس منهم انقطعوا الى الله بهمومهم وأهوائهم وعلقوا به قلوبهم ولجؤا الى الله لجأ المستغيثين به المتوكلين عليه قد تخلصت اليه عقولهم بالمودة فأنزلوا نسيانه

معصية محرمة عليهم فقبلهم واجتباهم ونعمهم وخصهم وكفاهم وآواهم وعلهم
وعرفهم وأسمعهم وبصرهم وحجبهم عن الآفات وحجب الآفات عنهم وأقامهم
مقام الطهارة وأنزلهم منازل السلامة وأقام قلوبهم بذكره فلم يريدوا به بدلا ولا
عنه حولا صيانة لديه وطربا واشتياقا اليه قد أذاقهم من حلاوة ذكره وألعمهم
من لذاتة مناجاته وسقاهم بكأسه فهم والهون به ليس لهم مسكن غيره تضطرب
قلوبهم عند فقدته حتى ترجع الى موضع حنينها يحتملون الأشياءه ولا يحتملون
شيئا من غير أمره ولهم في كل يوم وليلة منه هدايا مجددة فتارة يغلب على
قلوبهم تعظيم ربهم وجلاله وتارة يغلب على قلوبهم قدرته وسلطانه وتارة يغلب
على قلوبهم آلاؤه ونعمائوه وتارة يغلب على قلوبهم تقصيرهم عن واجب حقه
وتارة يغلب على قلوبهم رأفته ورحمته وتارة يصيرون الى حنينه ولهم في كل
تارة دمة ولذة وفي كل دمة ولذة فكرة وعبرة وقلوبهم في كل فكرة وعبرة
محتاجه طربة هائمة لذكر الله مستقلة به عما سواه فهم يسقون من كل تارة مشربا
سائغا يذيقهم لذته ولهم في كل مقام علم زيادة يعرفهم ما يحدث لهم في قلوبهم من
الزيادة فلو رأيتهم وقد انقطعت آمال الخلق عنهم وأفضوا الى الله جل ذكره
بجميع رغباتهم وانزاحت الأشياء الشاغلة عن قلوبهم فصمت عنها أسماهم
وانصرفت أبصار قلوبهم اليه فلهت به عما سواه حتى اذا جنهم الليل وزجرهم
القرآن بعجائبه من وعده ووعيده وأخباره وأمثاله شربوا من كل نوع كأسا
من الزجر والتحذير والأخبار والأمثال والوعد والوعيد ووجدوا حلاوة
ما شربوا حتى اذا صفا يقينهم ارتفعوا الى عظمة سيدهم وجلال مولاهم خضع
كل عضو منهم لله وخشعت كل جارحة منهم لسكونها اليه غير منتشرة عليهم
همومهم بل كل ذلك لذاتة لاستماعه فقد كشف لهم القرآن عن أموره وكشف
لهم عن عجائبه ودلهم على باطن علمه فيفهمونه فيسمون به الى جلال سيدهم

وقاره حتى اذا اتقدت الأنوار في قلوبهم وتمكن اليقين من أجوافهم وحنث
القلوب لحينها وضائق عن احتمال ما هجم عليها هاج منهم مالا يملكون امساكه
فلسا بلغ الأمر منهم مداه وانتهى كل شيء منهم منتهاه أقبل عليهم ربهم جل جلاله
بالطمانينة والسكون فلو لا حسن سياسته لهم ونظره ولطفه بهم مارجعت اليهم
عقولهم ولا أثبتوا معارفهم ولا سكنوا منازلهم للذي هجم على أبصار قلوبهم من
عظمة سيدهم فهم يزدادون له ذكرا ومودة ومحبة في كل ما امتحنهم به من أمر
الدنيا والآخرة فقد أعرضوا عن كل نعيم عاجل أو آجل واشتغلوا عن النعيم
بذكر مولاهم وكل ذلك منته منه وتفضل عليهم فهم أدلاء لعباده وأعلام في بلاده
وحجة له على خلقه وخلف الأنبياء وودائع علمه فبهم ينزل الغيث وبهم يصرف
العذاب وبهم ينصر على العدو فهم بركة بين ظهرانينا يحبون الله ويحبون ذكره
أقاموا مشيئتهم فيما وافق محبة ربهم يغضبون لغضبه ويحبون لمحبهه فهو يسوسهم
بسياسته ويوفقهم بتوفيقه يأتهم العون من الله تعالى في كل حال يرحمون الخلق
برحمة ربهم ويؤملون فضله قد أزال عن قلوبهم المطامع وأسكنها الغنى فاكثفوا
بما جزاهم وبلغوا بما بلغهم فهم القانتون الراهبون السائحون الراغبون المحبون
لله الذين فكروا في قدرته وعملوا في محبته حتى ورثوا الرهبة ثم ورثوا الرغبة
ثم ورثوا الشوق ثم رفعهم الى منزلة لم يكن لهم فيها رغبة ولم يكن لهم فيها غير ربهم
همة غلبت المحبة على قلوبهم واستولت على عقولهم وأهوائهم فبنوا على ذلك
أعمالهم وصيروا فيه جميع رغباتهم ثم رفعهم الى مزيد فوائده فهم أولياء الله
حقا منهم المرسلون والنيون والصديقون والشهداء والصالحون فاقوا أهل السماء
وأهل الأرض لشدة حبهم لربهم فما أصابوا من الدنيا لم يصيبوه على جهة
ما يصيبه أهل الدنيا من التلذذ والطرب اليه والاشتغال به والتفكك انما يصيبونه
على موضع التقوية على عبادة ربهم ودوا لو أنهم أكلوا من الدنيا أكلة واحدة

تكون آخر زادهم منها لا كتفوا بما قل فإنا أعطوا الله ذلك من قلوبهم ضيق
أنعاهم وأسقط عنهم شهواتهم واكتفوا باليسير من المطعم فعند ذلك خفت
عليهم مؤنة الدنيا فلم ينافسوا فيها أحدا فتلك حالاتهم في المطعم والملبس ماتياً
أكلوه ولبسوه ليس لهم تخيير ولا تليذ في أخذ ولا ترك خوف الشهوات والاشتغال
عما هم فيه فأسكن الله في قلوبهم من معرفته وجهه ما أذاب كل مودة لأهل أو ولد
أو مال فإن عرض من ذلك في قلوبهم عارض يخاطر من غير ثبوت فيها ورثوا
نور الهدى فأبصروا مواضع حيل ابليس ومكره فكسروا عليه كيده ولبسوا
عليه أمره ودلوا الناس على مواضع مكره فهم نصحاء الله في عباده وأمنائه
في بلاده ثم أسكن محبتهم في ملكوت السموات في عليين فأحبهم وحببهم
إلى ملائكته . فأحيوا قلوبكم أيها المريدون بالذكر وأميتها بالحشية
ونورها بحب لقاء الله وفرحها بالشوق إليه واقمعوها بالمناسحة . واعلموا
أنكم بالمحبة ترتفعون وبالمعرفة ترهبون وبالشوق ترغبون وبحسن النية تقهرون
الهوى وبترك الشهوات تصفوا لكم أعمالكم وتوثرون ربكم وحده حتى يؤثركم
ملكوت السماء في عليين فمن كان منكم مريدا للراحة فليعمل في منازل أهل
محبة الله جل ذكره بعزم وإرادة قوة وهي الدرجات السبع التي تنتقل فيها بنو
آدم حتى يصيروا إلى المعرفة والعلم وهي الدرجات التي أرسل الله جل ذكره عليها
الرسول ثم الأنبياء الذين لم يأتهم الوحي مع جبريل ولا غيره من الملائكة إنما
يكون ذلك بالالهام من الله عز وجل والوائد وإنما ورث ذلك الأنبياء من
المرسلين الذين خصهم الله برسالته ثم ورث ذلك بعد الأنبياء الصديقون فاقتدوا
بهم وجدوا في آثارهم فإنه لم يحكم هذه الدرجات السبع إلا رسول أو نبي أو
صديق أو بدل من الأبدال الذين جعلهم الله أوتاد الأرض فسقى بهم الغيث
وأنزل على العباد بدعائهم الرحمة وصرف عنهم بهم سوء فمن كان مريدا للعمل

في هذه الدرجات والاقتران بالمرسلين والنيين والصديقين في سيرهم فليرفض الدنيا من قلبه حتى لا يكون فيه منها علاقة تشغله عن ربه فانه من تعلق قلبه بشئ منها شغله حتى تغلب عليه فليبدأ برفض الدنيا وطر حها من قلبه حتى لا تعدل عنده قدر جناح بعوضة فانها عند الله عز ذكره بتلك المنزلة وأصغر

(فصل) قال رحمه الله فأول ما يبدأ به ويتناول من الدرجات السبع درجة المعرفة وهو أن يعرف ربه كما ينبغي له من حيث تعرف اليه ربه فقد تعرف الى خلقه بخلقه اياهم وتدييره فيهم وبصفته بما وصف به نفسه فانه غفور رحيم لمن أناب اليه وطلب رضاه وأنه شديد العقاب لمن كذب به وكذب عليه وكذب رسله وعصاه . واعلم أن من لم يحكم أمر المعرفة لم يدرك ما سواها من العلم والعمل ولا من الدرجات التي ذكرنا ولا تكون المعرفة حتى تثبت في القلب باليقين الراسخ فاذا كان ذلك كذلك كانت الأعمال الصالحة على قدر المعرفة فان قصر في المعرفة كان في العمل أشد تقصيرا وضعفا لنيته ولم يجد السبيل الى بلوغ تلك الدرجات . ومن عرف الله علم أنه قائم على قلبه بما كسب وأنه معه يراه وينظره في جميع أحواله فاذا علم أن ذلك كذلك لم يكن شئ أحب اليه من رضاه ولقائه ولا أبغض اليه من معصيته وبقائه وان أحب البقاء في الدنيا لم يجبه الا للعمل بطاعته . ولينظر المرید للمعرفة في أسماء الله ويتدبرها حتى يعرفه بها ويدخل ذلك قلبه فانه يورث قلبه بذلك العلم وهي الدرجة الثانية . فاذا كان عالما به علم أنه لا يقبل منه الا ما أمر به ونهاه عنه وعلم أن ذلك عنده ينشطه للعمل الصالح . ثم يورث قلبه بعد ذلك الخشية وهي الدرجة الثالثة درجة التقوى لله لقول الله عز وجل ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وهي مراقبته في السر والعلانية . فاذا دخل في هذه الدرجة استقل كل ما يعمله الله جل ذكره فعند ذلك لا يألو جهدا ولا اجتهادا ولا يميل . فاذا وصل العبد

الى ذلك ودأب على عمله فيما يرضى ربه نظر الله اليه بالرحمة فعند ذلك يورث قلبه الحب له وهي الدرجة الرابعة . فاذا صار الى هذه الدرجة أثر حب الله على جميع حب خلقه وأحب الله وحببه الى ملائكته الذين حول عرشه والى ملائكة السموات كلها وأهل الأرض ومن فيها وبسط حبه على الماء فلا يشربه أحد من جميع خلقه الا أحبه ولا يزداد في عمله الاجدا واجتهادا فورث قلبه بعد هذا الشوق اليه والحب للقاءه وهي الدرجة الخامسة : فيكون بمنزلة العاشق قد غلب على قلبه الذكر لله وشغل عن كثير من العمل ما خلا الفرائض واجتناب المحارم ويكون في ذلك الحال أقوى من كل عامل في الدنيا وأرفع منزلة لأنه لم يتفرغ قلبه من ذكر ربه طرفة عين لاناماً ولا قائماً ولا آكلاً ولا شارباً والله لا ينسى من ذكره فلو تركه الله عز وجل على تلك الحال لذاب كما يذوب الملح في الماء ولما انتفع بشيء من أمور الدنيا حتى يموت تشوقاً الى الله الا أنه اذا رآه الله على تلك الحال من عليه بالطمأنينة وهي الدرجة السادسة . فيطمئن قلبه حتى يكون كأنه معين له وكأنه بين يديه فيكون هو مستودعه وأنيسه وسائسه ودليله فعند ذلك يورث قلبه الغنى ولا يحتاج الى غيره فيكون معظم دعائه للخلق بالصلاح وصرف السوء عنهم حتى يصير بمنزلة الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويستغفرون لمن في الأرض فعند ذلك لا تسقط له دعوة وهي الدرجة السابعة . فاذا صار الى تلك الحال لم يتفوه بشيء من حوائجه اذا خطرت بباله تصير بين يديه وما أراد منها يأتيه من غير أن يدعو بشيء خطر على باله لطفاً من الله وتعاهداً منه حتى يعجب من لطفه ونظرة وصنعه فيكون قوله عدلاً وفعله رضا فالحمد لله الذي من والاه نعمه وأغناه والحمد لله رب العالمين

فصل في الرياء

اعلم وفقنا الله وإياك أن آكد ما على المرید في ابتداء أمره التحفظ على نفسه والتحرز من الآفات التي تعتوره فيما هو بصدده إذ أن العوائق كثيرة ظاهرا وباطنا فقد يكون ذلك سببا لمنع الوصول إلى ما تقدم ذكره فيأخذ نفسه أولا بالجد والاجتهاد في التحرز مما ذكر ليسلم له ما تقدم وصفه. فأول ذلك أن يتقى الرياء والعجب والشهرة والكبر لأنه سم قاتل أدنى الأشياء منه يجبط الأعمال كلها وقد يخفى في بعض الأحوال لأنه أخفى من ديب النمل كما ورد لكن يتبين أمره وتظهر آفاته بما ذكره الشيخ الامام يمين بن رزق رحمه الله وهو أن قال أصل العبد لم يزل منذ نشأ مرائيا في جميع أحواله وذلك ليله إلى الدنيا وإثاره لها على الآخرة وإهماله نفسه وإرساله نيته فلما أهمل نفسه وقلت محاسبته لها لم يتخلص من الرياء فعمل للدنيا على غير أصل نية ثابتة وقد نهى الله عن إهمال النفس وتضييع الأعمال فقال الله تبارك وتعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ فنهاهم عز وجل عن إضاعة الأعمال فلا يكون عمل من الأعمال إلا عن إرادة ولا تكون الإرادة إلا عن نية وقد نهى الله تبارك وتعالى عن إضاعة شيء من ذلك وأي عمل أكبر من الإرادة والنية وقد وجدنا الإنسان لا يخلو من حركة أو سكون والحركة والسكون جميعها عمل وقد نهى الله عن تضييع العمل فلما ترك ما أمره الله به من إخلاص العمل لم يميز بين الرياء وغيره وأمرج نفسه (١) فعمل على ما يخطر بباله وجميع ما يتقلب فيه رياء محض ظاهر لا يعرفه هو من نفسه ويعرفه منه من نور الله الحكمة في قلبه فهم يرون فعلهم فعل أهل الرياء فمنهم من يمسك عن صاحبه لمعرفة به ولو أنه

(١) أمرج نفسه تركها ترعى على هواها

أبدى إليه شيئاً من عيوبه لنفر منه وذب عن نفسه وأبطل مانسبه إليه فصار عدواً مشاحنا وأقل ما يقول للعارف بعيوبه حسدتنى فلما علم الحكيم أهل زمانه وأن زمانه زمان غلبة الهوى والعجاب كل ذى رأى برأيه اعتزل بنفسه ونفر عن العامة وعلم أنه زمان قد صار المعروف فيه عند أهله منكراً وأن الشر قد أحاط بالخير واعتزل أهل زمانه بصدق الإرادة فلما تبين له الصدق وما فيه وأن العمل لا يصفو إلا بالصدق اتقى الكذب وفنونه كلها وتشوقت عند ذلك نفسه إلى الكذب والرياء لحلاوة فنونه عندها فأخذها بالجد والاجتهاد في ترك ذلك فلما رأت ذلك منه رجعت منقاداً فلما صارت إلى تلك الحالة ورأى العبد ذلك منها ازداد إلى الصدق تشوقاً وازداد للكذب مقتاً وإنما كان ينفر الصدق وفنونه من قلبه لغلبة الكذب وفنونه عليه وهو الرياء والعجب وحب الرياسة واتخاذ المنزلة عند المخلوقين والمحمدة والعزة والتعظيم والتخير في الأعمال الكاذبة فمن عمل بالصدق واتقى الكذب برىء من الرياء والعجب ودواعى الشر كله فإذا خلا من ذلك ثبت الصدق وفنونه في قلبه . قال بعض الحكماء إن الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فإن امتنع منه أتاه من وجه النصيحة ليستدرجه فلا يزال به حتى يلقيه في بدعة فإن امتنع عليه أتاه من جهة الحرج والشدة ليحرم حلالاً أو يحل حراماً فإن امتنع عليه أتاه من قبل الوضوء فيشككه في وضوئه وصلاته وصيامه حتى يعتقد بهواه أمراً يضل به عن السبيل ويدع العلم فإذا قدر منه على شيء من ذلك خلى بينه وبين العبادة والزهد وقيام الليل والصدقة وكل أعمال البر ويخفف ذلك عليه وربما كايده الشيطان من المردة فيقول له ابليس دعه لا تصده عما يريد فأنما بأمرى يعمل فإذا نظر إليه الناس في عبادته وزهده وصبره ورضاه بالذل قالت العامة ومن لا علم له هذا عالم مصيب صابر فيتبعونه على ضلالتهم ويمد له ابليس الصوت فيعجب بعمله فيكون فتنه لكل مفتون . ومن علامته

الاعجاب برأيه والازراء على من لا يعمل مثل عمله ويكون نظره للناس بالاحتقار لهم ويتغضب عليهم في التقصير به . وقد روى في العلم احذروا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاسق فان فتنتهما فتنة لكل مفتون . واعلم يا أخى أن العبد اذا أراد أن يعمل العمل بالرفق قال له العدو ان العمل بالخير لا ينفعك حتى تدع الشركه وتزهد في الدنيا وتعتزل عن الناس فاعرف نفسك وأصلح عيوبك والذي عندك أكثر وأعظم من أن يصلح هكذا سر يعا ويعظم عليه الأمر حتى يكاد يقنط وينقطع عن العمل وان كان في يديه دنيا عرض له بحسن الظن والرجاء والتسويق وطول الأمل فان أجابه الى هذا الباب قطعه عن البر وشغله بالدنيا وشهواتها وان رد ذلك عليه وقال التوبة قال صدقت لعمري لقد فرطت وأخاف أن يدركك الموت فعليك بالجد والاجتهاد ولا تريد أن تقصر فيلزمه أشد العبادة فيثبت أو ينقطع أو يذهب عقله فان اشتهر بذلك عند الناس ألقى اليه طول الأمل وخوفه قلة الصبر ويقول له لك بالناس أسوة فيبغض اليه العبادة ويثقلها عليه ثم يقول له ان الناس قد عرفوك بالعمل فلا تبد لهم التقصير ودع نفسك في السر ويعرض له بغذائه الاول من الشهوات التي كان يصيها فيميل اليها ويرجع الى حالته الاولى وصار عمله علانية رياء لا ينفعه شيء وعلامة ذلك أن يستحلي الكلام في الزهد وما يزينه عند الناس ويجب اليه مجالسة الناس فتصير عبادته وزهده كله بالكلام . فالعالم عرف ضعف نفسه وعرف زمانه وقلة الاعوان فيه على الخير وكثرة الاعداء فأخذ الأمر بالرفق والاستعانة بالله وطلب صفاء الأعمال والاخلاص فيها وان قلت الأعمال وطلب مخالفة الهوى ونقل الطباع بالرفق وموافقة السنة وأخرج الناس من قلبه وقصد جهاد نفسه ومحاربة الشيطان والمعاندة للهوى بالخلاف لما يلقون اليه فان الله جل ثناؤه قد جعل لكل مكيدة من مكائد الشيطان سلاحا يدفع به تلك المكيدات

وينبغي للعابد أن يعرف نزغات الشيطان من أين تأتيه وما تهواه النفس فإن الشيطان لا يصل إلى العبد ولا يقدر عليه إلا من قبل موافقة الهوى فإذا بدأ العبد بنفسه ومحاربتها و بهواه فأماته هان عليه الشيطان . واعلم يا أخي أن هذا الدين متين فإن أنت وعلت فيه بالرفق أهككك وشر السير الحقة (١) وقليل تدوم عليه خير من اجتهاد يقطعك فانك لم تر شيئاً أشد تولياً من القارئ إذا تولى ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من الحور بعد الكور (٢) وكانوا يحبون الزيادة ويكرهون النقصان . وينبغي للعابد أن يكون حذراً من مخالفة السنة فإن من خالف السنة خالف الحق ومن خالف الحق هلك . فإت العلماء والزم أديهم فإن رأيهم يقصرون في بعض ما يقولون فلا تزهد فيهم واقتد بذي البصيرة منهم والبصر ومن يوافق قوله فعله . وذلك أنه يروى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه قال عقول الرجال على قدر أزمتهن فإذا نقص العقل نقص البر كله فاعرف نفسك في زمانك . واعلم أن الزهد والعبادة والعلم المعمول به في هذا الزمان قليل وإذا كان من يتشبه بالعلماء لا يصبر على نزول المحن فكيف يصبر الجاهل على نزولها وإذا كان من يتشبه بالزهاد لا يصبر فكيف يصبر الراغب في الدنيا والعالم من أهل هذا الزمان من شدة الصبر خرج والجاهل من شدة الصبر خرج . وأما العالم الصادق الذي استوجب اسم العلم على الحقيقة فإنه يكره من علمه بالله أن يظهر بلسانه أو بيده أو بجوارحه أكثر مما في قلبه فيمقته الله على ذلك ولم يره الله يؤثر دنياه على آخرته فصبر على الدنيا وصبر على الذم والتقصير والتقلل وكره المدح والتوسع من الدنيا والجاهل الذي يعمل بجمل جزع من الذم وفرح بالمدح والتوسع من الدنيا حتى صبر على الدنيا من الجزع فاحذر

(١) الحقة السير بعنف (٢) الحور النقص . والكور الزيادة أي كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتعوذ من النقص بعد الزيادة

أن تصبر صبر الجاهل ولذلك ثقل العمل على أهل العلم بالله وخف على أهل الجهل ونوم العالم أفضل من اجتهاد الجاهل وضحك العالم بالله أفضل من بكاء الجاهل فاحذر ابليس على أفعالك كلها واحذر نفسك وهو الك واحذر أهل زمانك ولا تأمن أحدا منهم على دينك . واعلم أن ابليس قد نصب لك حبائله وأقعد لك الرصدة على كل منهل وقد سلط أن يجرى منك مجرى الدم في العروق ويراك هو وأعوانه من حيث لا تراهم . واعلم أنه يأتيك من قبل الرياء والعجب والكبر والشك والاياس والأمن من المسكر والاستدراج وترك الاشفاق فان تابعته في شيء من ذلك فأنت على سبيل هلكة فحينئذ يخلى بينك وبين ماشئت من العمل فان خالفته أتاك من قبل الدنيا ليستولى الهوى على قلبك فيتمكن هو من الذي يريد منك فان خالفته أتاك من قبل المعاصي فان خالفته أتاك من قبل النصيحة . وهذه الخصال التي وصفت لك كلها أشد من المعاصي وصاحبها لا يكاد يتوب من شيء منها وربما اتبه العبد فتاب منها فان ظفر من العبد بالعجب قال له ان الناس يقتدون بك فاعمل وأعلن عملك فيتأسى الناس بك ويعملون مثل عملك ويكون ذلك مثل أجر من عمل مثل عملك لانه من دل على خير فله مثل أجر فاعله فاذا ظهر عمله فرح به فصار معجبا وحمد نفسه فنسى النعمة عليه فاذا نظر الى عمله حجب اليه حمدهم واتخاذ الميزة عندهم فاذا فعل ذلك صار مرآيا مفاخرا . فاتهم فرح القلب بالعمل فان الفرح الى القلب الفرح أقرب وأسرع منه الى القلب الحزين وأقل من معرفة الناس فانه ليس يأتيك ماتكره الايمن تعرف فان كان لا يأتيك ماتكره الايمن قبلهم فكلها قلوا كان خيرا . واعلم أن العبد يعمل العمل في السر فلا يزال به ابليس يقول أظهره ليقتمدى بك الناس فيه وتنشطهم على طاعة ربك فلا يزال به حتى يظهره فاذا أظهره كتب في ديوان العلانية فلا يزال به حتى يفتخر به فاذا افتخر به كتب في ديوان الرياء فعليك بعمل السر وكتبانه وخمول النفس

واستقاط المنزلة واكتتم الحسنات كما تكتم السيئات وخف من فضيحة الحسنات
 كما تخاف من فضيحة السيئات فان المفتضح بالسيئات ليس يفتضح عند الخلق
 كلهم انما يفتضح عند قوم دون قوم والمفتضح بالحسنات اذا دخلها الرياء
 اقتضح عند الخاق كلهم فاحذر واستح من الله أن يراك تعمل لغيره وتطلب
 الثواب منه وأخلص العمل لله واصدق فيه . واعلم أن تخليص العمل في العمل
 أشد من العمل حتى يتخلص والاتقاء من العمل بعد العمل أشد من العمل
 في العمل . واعلم أنه لا يقبل الله عملاً من مرء ولا من مسمع ولا من داع الا
 بثبوت من قلبه واحذر الرياء كله فان أوله وآخره باطل وكن في العمل متأنياً
 وقافاً فاذا هممت بعمل فقف عنده فان كان لله خالصاً فاحمد الله وامض فيه
 واستعن بالله على اخلاصه وأكلف من العمل ما تطيق وتجب أن تزداد منه ودم
 عليه فان أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل فاعمل بما يتبين لك أنه حق
 واضح فاذا أشكل عليك فقف ولا تقتحم وناظر العلماء الذين يعملون بعلمهم
 فهم الذين قصدوا الى الله وهم الدعاء الى سبيل النجاة الأدلاء على الله لان المؤمن
 وقاف عند ما اشتبه عليه وليس كحاطب الليل فناظر العلماء فيما التبس عليك فما
 اجتمعوا عليه فخذبه وما اختلفوا فيه فخذ أنت فيه بالثقة والاحتياط فان الاثم
 حواز القلوب . واعلم أن ابليس ربما قال للعبد قد سبقك الناس الى الله متى تلحق بهم
 فليقل له عند ذلك قد عرفتك أنا في الطلب ان رفقت لحقت وان لم أرفق لم ألحق
 ان صبرت على القليل نلت الكثير وان عجزت عن القليل فأنا عن الكثير أعجز
 وقد قال الله عز وجل ﴿ واذ زين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ فالزينة من الشيطان
 والنور من الله عز وجل فاذا عمل العبد عملاً فرأى الشيطان معه نورا كانت
 همة الخبيث أن يطفىء ذلك النور فان كان الغالب على العبد عمل السر أخرجته
 الى عمل العلانية بحيلته ومكيدته فان عمل في العلانية بصدق واخلاص فرأى

في عمله العلانية نورا وصبرا أمره بمخالطة الناس ليؤذى فلا يحتمل فان خالطهم فأوذى واحتمل الأذى أمره بالعزلة والراحة من الناس ليعجب بما يعمل ويضجر من العمل فان اعتزل وصبر وأخلص قال له ارفق خير لك فيصده عن العبادة وانما يلتبس من الأشياء غفلته فينبغي للعبد أن يكون غير غافل عنه وليستعن بالله عليه . واعلم أن صاحب الاخلاص خائف وجل حزين متواضع منتظر للفرج من عند الله يود أنه نجا كفافاً لاله ولا عليه . والجاهل فرح ثغور متكبر مدل بعمله . ويروى عن بعض الحكماء أنه قال انى لأعرف مائة باب من الخير وليس عندى منها شيء . واعلم أن العالم العامل الصادق المخلص العارف الخائف المشتاق الراضى المسلم الموفق الواثق المتوكل المحب لربه يجب أن لا يرى شخصه ولا يحكى قوله ويود أنه أفلت كفافاً فعرفته بنفسه بلغت به هذه الدرجات وتمسكه بهذه العزائم أوصله الى محض الايمان . والجاهل المسكين يجب أن يعرف بالخير وينتشر عنه وينشر ذكره ولا يجب أن يزرى عليه في قول ولا فعل بل يجب أن يحمد على ذلك كله ويوطأ عقبه وان لم يزر لهم شيئاً وانما شدة حبه لذلك لحلاوة الثناء والحب لاقامة المنزلة والفتنة في هذا عظيمة والمؤنة عليه شديدة وهو عبد من عبيد الهوى يتلاعب به الشيطان كل التلاعب تنقضى أيامه ويفنى عمره على هذا الحال أسيراً للشيطان وعبداً للهوى . واعلم أن الشيطان اذا نظر الى العبد مريداً صادقاً مخلصاً مداوماً عارفاً بنفسه عارفاً بهواه معانداً لها حذراً مستعداً عارفاً بفقره الى الله تعالى قال له ان هذا الأمر لا يصلح الا بالأعوان عليه والشيطان على الواحد أقوى وهو من الاثنين أبعد . فجالس اخوانك وذاكرهم وأخبرهم بما ينوبك في عملك من نفسك وهواك ومن عدوك فانهم يدلونك ويعينونك يريد بذلك ذهاب حزن الخلوات واطفاء نور العزلة وقطع سبيل النجاة وفتح طريق الفضول والشغل بغير الله واخراجهم

من عمل السر الى عمل العلانية وانما يريد بذلك كله اطفاء ماقد أحدث الله عز وجل في قلب العبد من نور فكر الخلوات فان قلت هذا انما هو من الشيطان قال لك أجل انما هو من الشيطان تعليمك الناس أفضل من عمالك فلو أخبرت الناس بذلك لكان خيرا لك ليعلموا من آفات الأعمال ما تعلم فتؤجر فيهم فان قلت أيضا هذا من الشيطان قال لك لولا علمك لم تعلم بهذه الآفات لتعجب بنفسك وتنسى النعمة عليك في العمل فتخمد النفس فلا يجاوز عمالك رأسك فاحذر هذا الباب فان فيه شهوات خفية ومن الشهوات الخفية أن يخفي العبد عمله ويجب أن يعلم الناس به ويجب أن يرى أثر ذلك عليه والعمل خفي في السر إلا أنه يجب أن يرى أثر ذلك العمل عليه اما من علامة عطش ان كان صائما أو علامة سهر في الوجه ان كان قام من الليل . واعلم أن العبد ان قال أنا أعمل لله للناس قال له صدقت أخلص عمالك لله فان المخلص يحبه الله الى الناس ويعرفهم فضله فان قال العبد وما حاجتي الى الناس قال فأنت الآن المخلص الذي قد أخرجت الناس من قلبك وعرفت مكيدة ابليس وقد نجوت وأنت معصوم فان عقل العبد وقال له ومن أنا وانما الأعمال من من الله على العباد ولها شكر وانما الأعمال بخواتيمها وانما الثواب على الله يوم الجزاء لمن أخلص ولم يعجب بعمله ولم ينسب الى نفسه نعمة هي من الله قد وجب له بها عليه الشكر فانه يقول للعبد عند ذلك الآن نجوت حين اعترفت لله بذلك وقت بشكر النعمة وتواضعت لربك و برأت نفسك من العمل ونسبته الى الذي هو منه فان قبلت ذلك منه هلكت ولكن قل أنا أرجو وأخاف وليس الى من النجاة شيء ولست أدري بما يختم لي عملي . واياك ثم اياك والتزين بترك التزين وذلك أنه ربما تزين الرجل بالرقاع والخرق والشعث وترك الدنيا وانما يريد بذلك كله التزين فان فعلت ذلك نزلت بمحنة خشوع النفاق وان عرفت نفسك

بشيء من ذلك ولم تسارع الى التحول عنه خفت أن يلحقك الخذلان والمقت
فاتق الله في جميع أمورك واعمل له كأنك تراه . فان قال لك الحبيث الآن نجوت
حين عرفت نفسك وأنزلتها هذه المنزلة وحذرت هواك وعدوك فقل الآن
هلكت حين أمنت العقاب فان قال لك الآن نجوت حين خفت أن تكون قد
أمنت العقاب فقل الآن هلكت لو كنت صادقا لصدق قولي فعلى ولازددت
خوفًا وحياءً من الله جل ذكره ولو كنت كذلك لحال بيني وبينك وجعلني في
حرزه وحصنه ومن عباده الذين قال فيهم ﴿ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾
ولم تكن أنت تدخل على في عملي فان قال لك جاهد نفسك فانه أفضل العمل
فان الناس قد شغلهم أمر غيرهم واتبعوا أهواءهم وأنت بينهم غريب وأنت
كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال طوبى للغرباء وأنت المعروف في أهل السماء والمجهول في أهل الأرض
فان قبلت ذلك هلكت وان قلت هذا من الشيطان قال لك صدقت هذا من
الشيطان وقد كثرت عليك مكائده ومجاهدة نفسك وهواك فكم تعذب نفسك
بان كنت شقيما لم تسعد أبدا وان كنت سعيدا لم تشق أبدا ولا يضررك ترك
العمل ان كنت سعيدا ولا ينفعلك العمل الكثير ان كنت شقيما فان قبلت
القنوط الذى ألقاه اليك هلكت وان تركت العمل ونلت من الشهوات على
الغرور وحسن الظن بزعمك والانتكال على الرجاء الكاذب والطمع الكاذب
والامانى الكاذبة ورجوت الجنة بالغرور وطلبتها طلب المتعبدین بالراحة
عظمت وان امتنعت قال لك أحسن ظنك بالله فانه يقول أنا عند ظن عبدى بي
والله يحب اليسر والدين واسع والله غفور رحيم فاعرف نفسك عند ذلك
واعتصم بالله ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ واعلم أنك ان كنت في بلد وأنت فيه سالم
وأمرك فيه مستقيم والنور معك في فعلك وقولك قال لك عليك بالثغور وعليك

بمكة و عليك بكندا فان قبلت ذلك رأيت فترة في عاجل عملك وقساوة في قلبك
و وقعت في المشورة يريد بذلك النقصان بسبب السفر والشغل به عن الدأب في
العبادة والنشاط الذي كان معك فان صرت الى بلد أنت فيه مسرور و قلبك
ريح قال لك موضعك كان أصلح لقلبك وأجمع لهمتك فارجع الى موضعك
فان أحب الأعمال الى الله أدومها مع معرفة النفس والفقر الى الله تعالى فان
للدأب ثوابا وللصبر ثوابا ﴿ ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ واعلم
أن من يتجو بالأعمال أكثر ممن يهلك بها وكل عبد ميسر لما خلق له . واعلم
أن من يهلك بالتفريط والتضييع أكثر وينبغي للمؤمن أن يكون راغبا راهبا
لا يأمن ولا يئأس . واعلم أنه يأتيك من وجوه كثيرة لا يغفل ولا يألوك خبالا
ان كنت مقلا عندك من الدنيا شيء يسير تريد أن تقوته نفسك أمرك بالصدقة
ورغبك فيها لتخرج ما في يديك وتحتاج رجاء أن يظفر بك في حال الغفلة وان
كنت غنيا أمرك بالامساك ورغبك فيه وخوفك الفقر والحاجة وقال لك ابدأ بمن
تعول ولعلك تكبر وتضعف و يطول عمرك يريد بذلك أن تصير الى حال البخل فيظفر
بك وان كنت تصوم وقد عرفت بالصوم وأحببت أن تريح نفسك قال لك قد عرفت
بالصوم لا تقطر فيضع الناس أمرك على أنك قد كبرت وتغيرت وفترت وعجزت
فان قلت مالي وللناس قال لك صدقت أفطر فان المحسن معان سيضعون أمرك
على أحسن الوجوه فان قبلت ذلك منه وأفطرت على أن الناس سيضعون أمرك
على أحسن الوجوه والمنزلة لا تسقط عندهم بافطارك فقد عطبت وان أنت
نفيت ذلك تركه ونصب لك باباً آخر فقال لك عليك بالتواضع ليشهرك عند
الباس وكلما ازددت تواضعا على قبوله منه للشهوة والشهرة ازداد كلباً عليك
فاتق ما وصفت لك والجا الى الله في أمورك كلها واترك كل شيء من الدنيا
لعمل الآخرة رغبة منك في الآخرة وحباً لها وإيثاراً لها على الدنيا فحبك اياها

تصل اليها وبقدر حبك لها تعمل لها واقل الدنيا وابغضها فيقدر بغضك لها تزهد فيها وانظر ان كنت ذا علم تخف أن توقف يوم القيامة فيقال لك بعداً وسحقاً بعد العلم والتبصر ملت الى الدنيا وتركت العلم والعمل واخترت ما أسخط الله ما غرك بربك الكريم أيها المغرور فليعبد الله العالم بطاعة العلم وليترك طاعة الجهل وليترك الاغترار . واعلم أن الشيطان يوم القيامة يتبرأ من جميع من أطاعه في الدنيا وهو يقول في الدنيا من ظن أنه ينجو مني بحيلة فني حبالى وقع قال الله تبارك وتعالى ﴿ ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ وقال ﴿ يا أيها الناس أتمموا الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ﴾ فافهم واحذر وافطن وانظر وحارب واستعد وكابد وجاهد واستعن بالله تعالى . واعلم أن العبد اذا قام الى الصلاة يريد بها ثواب الله وحده ﴿ فتواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون ﴾ وان أراد بها ثواب الله وحده غيره هلك . واعلم أن أولى الأشياء بالعبد أن يخلص عمله كله لله والكلام فيه كثير غير أن الأصل في اخلاص العمل أن يعنى العبد العمل كله يريد به الله لا يجب أن يطلع عليه أحد من الناس فان اطلع أحد على عمله كره ذلك بقلبه ولم يسر بذلك فلم يجب أن يحمده أحد على شيء من عمله ولم يتخذ به منزلة عندهم فهذا أصل اخلاص العمل والله المستعان . وأما الرياء فهو أن تحب أن يحمداك الناس على شيء من عملك أو تقوم لك به منزلة عندهم ومن أراد العمل اقتصر على القليل ومن لم يرد العمل لم يكتف بالكثير . واعلم أن الناس في العمل على ثلاثة أصناف . صنف أهملوا أنفسهم في العمل من البر فعملوا ليعرفوا بالخير فهم الهالكون . وصنف أهل رهبة من الله ورغبة فيما عنده يكابدون الأعمال بالصدق والاخلاص ويتقون فساد الأعمال ولا يحبون المحمدة من المخلوقين ولا المنزلة عندهم ولا يعملون شيئاً من العمل للناس ولا يتركون

من أجلهم شيئاً وأحياناً تعرض لهم العوارض وأحياناً يسلمون منها . وصنف قوى اخلاصهم واستقامت سريرتهم وعلانيتهم أخلصوا العمل لله وتركو الدنيا بعد معرفتهم بها ونظروا إليها بالعين التي ينبغي أن ينظر بها اليها فرأوا عيوبها فمقتوها وصدقوا الله في مقتهم لها وتركوها زهداً فيها وصدقوا الله في ذلك فمات ذلك من قلوبهم وذاب ولم يكن لها في قلوبهم قرار لقوة التعظيم لله في قلوبهم فلما استولت العظمة على قلوبهم لم يكن للدنيا ولا لأهلها في قلوبهم مستقر ولا قرار فالحمد لله ذى المن والفضل العظيم . ومن الرياء أن العبد يرى أهل الدنيا بالدنيا في لباسه ومركوبه ومسكنه وفرشه وطعامه وشرابه وخدمته حتى الدهن والكحل ونحو ذلك يريد بها صيانة نفسه وهو رياء وليس كالرياء بالأعمال التي يتبغى بها وجه الله لأن المرأين من المؤمنين يخاف عليهم من النار لقوله في الحديث ولكنك فعلت ليقال فلان كذا وكذا فقد قيل ذلك . وهذا الذي رآى بالتكاثر والتفاخر وطلب الدنيا حلالاً مكثراً مفاخراً مرأياً لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان وهذا مع ما فيه من الفساد أهون من الباب الآخر وكلاهما شديد والله المستعان وذلك أن المفاخر إنما يريد إقامة مرتبته عند الناس فلو كانت له الدنيا كلها لاحتاج إليها لما معه من حب الدنيا وذلك أن قلبه مشغول عن الله تعالى وعن طلب الآخرة وهو مع هذا خائف وجل من أن تنزل به نازلة تغير حاله فيتغير من كان له مطيعاً فما أشد مضرة هذا الباب . وعلامة المرید النظر الى من هو دونه في الرزق والى من هو فوقه في العمل للآخرة ويتواضع ولا ينافس أهل الكبر والفخر والرياء والتكاثر ولا يأخذ ما أخذ لنفسه ولا يترك ما ترك لنفسه وما أخذه فأنما نيته فيه القوة على دينه وإقامة فرائضه والاستغناء عن غيره ويدع جميع ما كان للناس من ذلك . وأما العجب فأصله حمد النفس ونسيان النعمة وهو نظر العبد الى نفسه وأفعاله وينسى أن ذلك إنما هو منة من الله

تعالى عليه فيحسن حال نفسه عنده ويقل شكره وينسب الى نفسه شيئاً هو من غيرها وهي مطبوعة على خلافه فان غفل هلك واستدرج وكان معجبا بعبادته مزرياً على من لم يعمل عمله قد عمى عن عيوب نفسه فيكون مستكثراً لعمله مسروراً به راضياً عن نفسه فرحاً بما يسعى في هواها غضبه لها ورضاه لها ولا يخلو المعجب بعمله من أن يكون مرأياً لأنهما قرينان لا يفترقان ولا يكون المعجب محزوناً ولا خائفاً أبداً لأن العجب ينفي الخوف . واعلم يا أخي أن الناظر الى الله فيما يعمل قد نفي العجب عنه لعله أن العمل إنما هو من الله تعالى وهو قائم بالشكر له مستعين بالله عز وجل على كل حال متهم لنفسه قد نفي الأعمال كلها عنها فليس لها عنده فيها حظ ولا نصيب . واعلم أنهم صنفاً . صنف علماء أقوياء فهم الذين نظروا الى الله تعالى فيما يعملون فحمدوا الله على ما وهب لهم من قليله وكثيره . وصنف نظروا الى السبب الذي أعطاهم الله فاشتغلوا بشكر السبب والصنف الأول أقوى من هؤلاء أولئك لا يعرض لهم العجب لعلهم به وهؤلاء ربما أعجبوا بالسبب وربما اتقى عنهم فهم مكابدون له فان قاموا بشكر ذلك فخاتهم حسنة وهم دون أولئك وان ركنوا الى ما يدخل عليهم من العجب فقد هلكوا الا أن ينه الله من شاء منهم فيتوب عليه . والعجب كثير وهو آفة المتعبدين من الأولين والآخرين وهو من الكبر والكبر آفة ابليس التي أهلكت الله بها . وأما الشهرة وإشارة الناس الى العبد فانها لن تضر الا من أرادها والمرء ملبس زين عمله ان خيراً فخير وان شراً فشر . فكم من مستتر بعمله قد شهره الله به وكم من متزين بعمله يريد به الاسم واتخاذ المنزلة عند الناس قد شانته الله به وانما يصلح ذلك ويفسده الضمير فان أحب الشهرة جمع الشهرة والرياء والعجب جميعاً وان أراد الله وحده وكان مخلصاً لم يضره ذلك عرف أو لم يعرف وربما لحقه حب معرفتهم اياه بالعمل فيخرج به الى الباب الذي يحبط الأعمال ومن ذلك حب

معرفةهم إياه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغضب لله وفي الله فان قام بذلك ونفى ما يحبه وكانت نصيحته لله وللنؤمنين ونجاة نفسه نجا وان اعتقد شيئا من اتخاذ المنزلة أو حب الثناء أو طلب رياسة أو ليقبل قوله فقد شرب السم الذي لا يبقى ولا يذرو ولا عاصم من ذلك الا الله . والرياء والعجب والكبر والشهرة انما هي من أعمال القلب فتوسل يا أخى الى الله فى اصلاح قلبك فان سلم قلبك وعلم الله من ارادتك أنها له خالصة خلصك الله من كل آفة دخلت عليك والله يقسم الثناء كما يقسم الرزق ومن خاف الله خوف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شئ ومن أحب الله أحبه كل شئ والله مسبب العبادة وانما تصحيح العمل بالحوادث على قدر صحة القلب ومع صحة القلب دلالة العقل وسياسة العلم وسابقة الخوف فاذا أردت عملا فاتبع بذلك ثواب الله وأكثر ماتوئل من الله النجاة من النار والوصول الى نعيم الجنة يهون عليك العمل ويخلصه الله من الآفات ويقويك عليه فاذا عملت فاشكر وانظر هل ينقص من بدنك شئ فى ليالك ونهارك لتعقد النية فيما يستقبل وانظر اذا أصبحت كيف مضت عليك ليلتك بتعبها ونصبها وبقي لك ثوابها وسرورها يكن ذلك قوة لك على ماتستقبل فالحسنة لها نور فى القلب وسرور يجد العبد حلاوة ذلك السرور وضياء ذلك النور ولم يدع الله جل ذكره المطيعين حتى جعل لهم بالطاعة اللذة والنشاط وقررة العين وحلاوة القرب اليه ولم يدعهم حتى حبيبهم الى الناس وحتى نظروا اليهم بالهيبة لهم والاجلال مع ما فى قلوبهم من التواضع والخوف لله فان لم يعرفهم الناس وكانوا من أهل الجهالة بهم كانوا أرفع خلق الله فى الدنيا ومن كان بالطاعة عاملا كان من أعز الناس عند الناس وأغناهم بالله ومن هاب الله فى السريرة هابه الناس فى العلانية وبقدر ما يستحى العبد من الله فى الخلوقة يستحى الناس منه فى العلانية وينبغى للعالم

أن تكون محبته في العمل بالحسنات سترها ونسيانها فانه سيحفظها له من لا ينساها ويحصى له مثاقيل الذر من عمله وان ظهرت الحسنات فليعرف نفسه ولا يغرنه ثناء من جهله ففكر أيها العامل في العواقب فان أحببت أن يحبك الناس أو يفتنوا بحسناتك اذا عملتها ليكرموك ويملوك فقد تعرضت لمقت الله عز وجل لك . ويحك انك ان أسقطك الله سقطت فلا تغتر من الوجهين جميعا وان سلمت لك آخرتك سلمت لك دنياك وان خسرت الآخرة خسرت الدنيا والآخرة جميعا ومن ربح الآخرة ربحهما جميعا . واعلم أنك ان غضبت على الناس في شيء هو لنفسك فأبديته لهم أو لم تبده لهم علم الله ذلك من قلبك فقد تعرضت لغضبه اذا أظهرت أنك انما غضبت لنفسك . واعلم أن الله جل ذكره لا يخفى عليه من أمرك خافية وليس الفرق بين غضبك عليهم وبين سرورك بهم وفرحك بثنائهم عليك بحسناتك وأنت تريد ثوابها من ربك لقد ابتليت أيها العبد بحسناتك وعظم فيها بلاؤك ولعلها أضرت عليك من بعض سيئاتك فان بلغ بك البلاء أن تفرح اذا مدحوك بغير عملك أو بأكثر من عملك فقبله قلبك أحبط الله عملك ثم تصير الى حال حب مجيء الاخوان اليك في أوقات الأعمال فتفرح وان أتوك في وقت فراغك غمك ذلك والله سائلك عن ذلك كله وتظهر منك الحزن وتوهم الناس أن ذلك من شدة الاهتمام بالآخرة وانما ذلك منك تصنع تحب أن يمدوك على ذلك فأنت اذن قد هلكت من الوجهين جميعا نحف الله في سراء نفسك وعلايتها واحتقر حسناتك جهدك واستكثر منها ما استطعت حتى يعظم قدرك عند الله وتعظم حسناتك واستكبر صغير ذنبك حتى يصغر عند الله وخف من صغير ذنوبك أن يحبط الله به عملك كله وارج بحسناتك أن يمحو الله بها عنك كل سيئة عملتها فارح حسناتك وخف سيئاتك ﴿ ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴾ وينبغي للعبد

أن يعرف عجزه وضعفه فيقطع سببه من نفسه ويرجع الى العز والمنعة ويتوجه الى الملك القادر على ما يريد بالاعتصام والتوكل والاستصغار والاتصار به على الاعداء فيجد عند ذلك العز والروح والفرج والمنعة ويفوض أمره الى الملك الجبار فما اختار له من شيء رضى به وسلم فإن عرض له بعد ذلك غم أو روع علم أن ذلك بلوى من الله فيرجع اليه حينئذ بالانكسار والافتقار اليه لما فرط منه ويطلب الروح والفرج بالتقوى وهو استماع العبد الى قول ربه ما أمره به فعليه وما نهاه عنه تركه حتى تكون كلها بمجموعة له في روضة واحدة. فانظريا أخى ولا تدع ما فيه المخرج الاخرجت منه وما كان مما فرط منك مما لاحيلة فيه الا الندم والاستغفار فاندم عليه ندماً صحيحاً بالقلق منك والاضطراب في حضرة الله والاجتهاد قبل فوات الايام وهجوم الموت عليك وأكثر مع الندم الصحيح ذكر ما ندمت عليه ولا تفتر عما أمكنك من الاستغفار ثم عليك بعد بالتخلص من العائق الذى يشغل عن الله جل ذكره حتى تكون مؤثراً لله على ما سواه وهذا هو الطريق الى سبيل النجاة والله المستعان. واعلم أن من دلالات العقول والعلوم تأسيس التقوى فاذا كان ذلك كذلك صار العبد حياً القلب قابلاً للموعظة معظماً لما عظم الله مصغراً لما صغر الله فاذا كان ذلك كذلك فقد أحيا قلبه بالعلم والعمل ولو أن رجلاً أحيا قلبه في كل يوم ألف مرة ويكون بين الحياة والحياة مائة لحقت عليه حتى تكون حياته دائماً تموت به خواطر نفس ليس لها قرار والخاطر اذا حرم أصله وقطع دخل عليه الحزن والبكاء فلا يكون مسروراً بالعارض ولا مشغولاً بالنعمة عن المنعم فهذا سبيل النجاة ان شاء الله والله المستعان. واذا لم يكن مع العبد روع وغم عند الخاطر فهو ميت. فاذا كان كذلك فليرجع الى التقوى والاخلاص والصدق والتخلص مما يكره الرب والحياة يتولد من العلم المفهوم فاذا علم وفهم

العلم بما أمره الله به قبل الموعدة لنصحته بتعظيمه ما عظم الله والقلب الحى تكفيه
غمزة فينتبه والقلب الميت لو قرض بالمقار يض لم ينتبه ولم يحى وذلك أن الله عز وجل
يقول ﴿أومن كان ميتا فأحييناه﴾ وذلك لمن قبل وأجاب الداعى ومن لم يقبل
الموعدة ولم يجب الداعى فانه كما قال عز وجل ﴿أموات غير أحياء وما يشعرون﴾
ومن علم أنه ميت فقد حى بعلمه أنه ميت ولا ينفعه العلم الا بالقبول وإيثار
الرب على هواه فمن كان مقرا بأنه عاص وليس يتحول وليس معه الروح
والغم الشديد وهو على حالته التى ليس يرضاها ولا يبادر بالتوبة والتطهير فهو
ميت ولا ينفعه علمه الا أن يتوب الله عليه قبل موته فيحيا بالتوبة ويرجع
الى الرغبة والرغبة والطاعة . ومن أراد الله وفقه ونهيه من الزلة وأيقظه من الغفلة
وانما هذه كلها موارد حب الدنيا واتباع الهوى وطول الامل . وينبغى
لمن كان يبتغى لنفسه طاعة ربه أن يرجو ما ثقل عليه من البر ويتهم ما خف
عليه من ذلك لأن قليل الصدق يثقل خفيف العمل والكذب من النية فى العمل
يخفف ثقل العمل وقليل الصدق أوزن وأرجح من كثير الكذب . واعلم أن
إرادتك العمل عمل فانظر فى إرادتك حتى يصح لك عملك ويراك الله لنتيك
طالباً ولها مصححاً كما يكى فى عملك مخلصاً فان الأعمال بالنيات . واعلم أنك
ان ظفرت بتصحيح النية مع قليل العمل رحمت عملك وظفرت بأكثر من عملك
واعلم أن عدوك ينظر الى ابتداء نيتك وابتداء عملك وقد يخفى عليك سقم نيتك
كما يخفى عليك سقم غيرك فاحذر أن تكون نيتك سقيمة فقم على تصحيحها
فان العمل تابع للنية ان صحت صح وان فسدت فسدت . واعلم أن العدو اذا رأى
فى نيتك سقماً رغبك فى ذلك العمل ولم يثقله عليك بل يخففه عليك مخافة أن
يقنطك بالسقم وود حينئذ أن الناس كلهم أحبوك فى ذلك العمل ومدحوك
اذا ظفر منك بسقم النية ويزيدك قوة ونشاطاً فى عملك ويحسنه عندك وفى

أعين الناس ويحبهم اليك فكلما أثنوا عليك استحليت عملك وخف عليك وقد ستر عنك داء الحسنات وداء السيئات ومن داء الحسنات أنه لا يمنعك من تركها الا مخافة أن تسقط من أعين الناس . واعلم أن ربحه منك اذا سقمت نيتك أكثر من ربحه منك اذا أحببت الدنيا واتسعت منها ومن داء السيئات سقم نيتك . واعلم أن العدو ربما أفسد الحسنات أولاً بسقم النية وربما أفسدها آخراً بتعظيم الناس لك فاذا علم أنك لا تحب ذلك ولم تجبه الى معصية خلاك وذاك فاحذر على عملك كله من حيلة الخبيث واذا رأيت العمل قد خف فكن أشد ماتكون له حذراً اذا خف على نفسك العمل فهو أفسد ما يكون اذا صح عندك . واعلم أن الشيطان أعرف بك وبماتواه نفسك منك ولا تدع العمل من أجل آفته ولكن اعمل بنية وصحة واستعن بالله وكن حذراً طالبا للخلاص كارهاً معانداً لفساد العمل لا تريد الثواب الا من الله وحده وطلب الدار الآخرة ولا تعمل ليعطيك في الدنيا ثواباً فان الذي قدر الله عز وجل أن يصل اليك من رزق أو أجر أو ثناء فانه صائر اليك فعليك بالصدق واتخذ ذكراً ليوم ينفع الصادقين صدقهم . وانظر اذا صح عملك عندك فكن أخوف ما يكون من فساده ولا تأمن عليه من الفساد فتفسده فان آفة العمل الآمن عليه واعلم أن الآمن على الحسنات أضر عليها من السيئات والآمن على السيئات أضر عليك من السيئات . واعلم أن أمنك على الحسنة أحب الى ابليس من السيئة وقنوطك بعد السيئة أحب الى ابليس من السيئة واستصغارك لسيئة كبيرة أحب اليه من سيئة بعد سيئة واستصغارك لسيئة أردتها ثم تركتها أحب اليه من كبيرة عملتها ثم استغفرت منها لعظمها عندك فافهم ما ألقى اليك من هذا الباب واحذره . واعلم أن ابليس الخبيث يجري على السنة الناس مدح الصادق ليفسد عليه صدقه ويزيد الكاذب في عمله قوة حتى يسوى بين

الصادق والكاذب فاحذر تجديد القوة في العمل عند تجديد المدح فان له سطوة وسلطانا يزيد الكاذب كذبا ويفسد على الصادق صدقه فلا تظهر الخوف من قلبك ولا تظهر قلة الخوف فان اظهار قلة الخوف هو من قلة الخوف وهذا باب فيه فساد للعمل كبير وهو رياء فيه لطف وله حلاوة واياك أن تقول واحزنانه على الحزن وأخاف أن لا أكون أخاف واحزنانه على الأحران فان هذه أشياء من دقائق مداخل ابليس والله سائلك عن بكائك واظهارك الخوف والحزن واظهارك أنك لست بحزين واظهارك أنك لا تخاف وما تظهر من الانكسار والتواضع واظهارك الهم بأمر الآخرة وذمك نفسك وماذا أردت بذلك كله ولا بليس في هذه الخصال مذاهب تلتبس على كثير من الناس وهي تنسب الى خشوع النفاق فان كنت صادقا فيها فاحذر ابليس عندها وفي وقتها حذرا شديدا والله المستعان . وانظر كيف يكون احتمالك اذا قال لك غيرك ما تقوله أنت لنفسك من الذم والوقية فيها حتى يتبين لك عند ذلك أصادق أنت في فعلك أم كاذب فاذا كان باطنك كظاهرك لم تبال كيف كان أمرك وقيم على باطنك أشد من قيامك على ظاهرك فانه الموضع الذي فيه الله مطلع فنظفه وزينه لينظر الله اليه أشد ما تزين ظاهرك لنظر غيره فافهم ما أقول لك بعناية منك وقبول . واعلم أن فرائض جوارحك انما تقوم بفرائض قلبك . واعلم أن النية والصدق والاخلاص فريضة تقام بها الفرائض وتبنى عليها الأعمال وترك الذنوب فريضة فكل أمر فيه معصية فهو مردود ومحال أن يتقرب الى الله بمعاصيه ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ واعلم أن الله فرض الارادة له بالايمان والأعمال يراد بهما وجهه فأصاب المؤمن الصادق بنيته الفريضتين جميعا الظاهرة والباطنة واعلم أنك ان عملت بما وصفت لك ثم عرضت عليك الدنيا بما فيها على أن

تظهر حسناتك أو ترائي بها ما فعلت . واعلم أن المرید في ترك الميتة يخاف من الله أن يشبع منها ويخاف منه أن ينال منها وهو مستغن عنها ويخاف منه أن يدخر منها وهو محتاج اليها فهو يخاف من الله أن يعصيه فيما أحله له ويخاف أن يشبع مما أباحه له . فمن قام في هذا المقام من أهل الدنيا فقد بلغ الغاية من الزهد فيها وأقام الأشياء كلها التي في الدنيا مقام الميتة فانما ينال منها البلغة عند ما اضطر اليها ويخاف من الله ان ترك أخذ تلك البلغة في وقت الضرورة أن يعذب على تركها كما يخاف أن يعذب على أخذ الحرام البين . واعلم أن تمام الأشياء كلها إنما هو بالقيام بما أمرك الله به والانتفاء عما نهاك الله عنه . واعلم أنه ليس من عقلك أن تأخذ ميتة فتخزنها ولا ان فاتت حزنت عليها ولا ان وجدتها فرحت بها لأنك منها على مقت لها بما وتقدر منك لها فاذا خفت منها أن تنالها نفيت المخافة التي حلت بقلبك حلاوتها وهي الدنيا فتجتريء منها بما أقام صلبك وأديت به فرضك ودع ماسوى ذلك يكابده غيرك والذي تحتاج اليه من الدنيا يسيرها وهو ما تستر به عورتك وتقيم به صلبك لأداء فرائضك وما كان وراء ذلك فهو من الدنيا ومنتهى طلب الآخرة ترك الدنيا ومنتهى طلب الدنيا جمع ما أحببت من الدنيا فاذا رأيت نفسك تأنس بقرب الدينار والدرهم وتستوحش لفقدتهما فاعلم أنك محب للدنيا ومن كان محبا للدنيا فهو قال للآخرة . انتهى

فصل في الصدق والعقل

واعلم أن الأصل الذي يحتزبه مما تقدم ذكره إنما هو الصدق والعقل والصدق محله القلب واذا كان كذلك فينبغي الاعتناء بشأنهما . وما قاله الشيخ الامام يمين بن رزق رحمه الله في ذلك فيه غنية عن غيره وبيان تام . قال رحمه الله

اعلم يا أخى علما يقينا لاشك فيه أن الصادق لا يكذب أهله ولا يألوهم نصحا في ارتياده لهم فإن أخاك من صدقك ونصحك وان خالف صدقه ونصحه هواك وان عدوك من كذبك وغشك وان وافق ذلك هواك. واعلم يا أخى أنى لما أطلت الفكرة وصححت في ذلك النظر علمت أن الله جل ثناؤه بارئ من النسم وولى النعم ومالك الأمم لم يخلقنى وإياك عبثا ولا هو تاركى وإياك سدى وأن لى ولك معادا نقف فيه بين يدى الملك الجبار للحكم بيننا وللفضل فينا وأنه لم يخلقنى وإياك حين خلقنا لهزل ولالعب ولاللقاء دائم وإنما خلقنا لبقاء الأبد ودوام النعم فى جواره وجوار ملائكته وأنبيائه أو فى الشقاء الدائم للأبد. فالعاقل متيقظ لما خلقه مستعد لما هو صائر إليه فانتبه من رقدته وأفارق من سكرته فعمل وجد وأبصر فزجر النفس عن دار الغرور الخاذلة الخادعة الزائلة التى قدولت بخدعتها وفتنت بغرورها وشوقت بحطامها فلما عرفها العاقل الكيس حق معرفتها زهد فيها ورغب فى دار البقاء والسرور وتقرب الى مالك الدار بجميع ما يجب مما يطبق التقرب به إليه ورتب بيابه وأما المغتر بالدنيا المؤثر لهواه فيها فهو معتنقا. أيها الميت عن قريب والمبعوث بعد موته الى دار المقامة المسئول عن اقباله وادباره فى دار الدنيا الموقوف عن قليل بين يدى الملك الجبار الذى لا يجور. هل أعددت لذلك الموقف حجة تدافع عنك أو أعددت للسؤال جوابا فان الله يقول ﴿ ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر ﴾ فإياك يا أخى والنزول بمحلة الخدوعين. واعلم أن السيد الكريم نعمه كثيرة لا تحصى وأن عطاياه كثيرة لا تجازى وأن مواهبه كثيرة لا تكافأ. واعلم يا أخى أنى لم أر نعمة متقدمة من الله عز وجل خلّقه أفضل من نعمة العقل التى جعلها الله دلالة لخلّقه على معرفته والوصول بها الى محض الإيمان به والذى أطلعهم الله به على مكنون علمه حتى

ورثوا البصائر ونفوا به خاطر الشك وكابدوا وساوس الشيطان ومعارض
فتنته واستضاءوا بنور العقول في طريق حيرتهم فتجنبوها وخرجوا من ظلم
الشك واعتقدوا بها معرفة الله والايمان به والاخلاص والتوحيد وأفردوا
الله جل جلاله وتقدست أسمائه بالربوبية والعظمة والكبرياء . واعلم أن أهل
اللب استدلوابه على خلق أنفسهم وعلى خلق الخلق كلهم وأنهم موسومون بسمه
القطرة وآثار الصنعة والنقص والزيادة مع تغيير الأحوال فأول ابتداء الله لهم
أن وهب لهم العقول التي بها وصلوا الى الايمان وبالايمان وصلوا الى نور
اليقين وبنور اليقين وصلوا الى خالص التفكير وبخالص التفكير وصلوا الى
استقامة القلوب وباستقامة القلوب وصلوا الى الصدق في الأعمال واخلصها
لله تعالى فورثهم ذلك البصائر في قلوبهم فوضحت الحكمة في صدورهم وجرت
ينابيعها على ألسنتهم فهجموا بظن قلوبهم على غوامض الغيوب والارادة
والاخلاص الذي ركب فيهم وأدركوا بصفاء يقينهم غائص الفهم وأدركوا
بغائص فهمهم العلم المحجوب فعرفوا الله حق معرفته وتوكلوا عليه حق توكله
وسلوا اليه الخلق والأمر فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتاً
للحكمة وتواييت للعظمة وخزائن للقدرة وينابيع للحكمة فهم بين الخلائق
مقبولون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلذذ في حجب الغيوب
وتخطر في طرقات الجنات . فالحمد لله الذي لا اله الا هو العظيم الذي من
والاه نعمه وأغناه . واعلم يا أخى أن من صدق الله أوصله الى الجولان في
ملكوت السموات بقلبه ثم يرجع اليه بطرف ماقد أفاده السيد الكريم
فصار قلبه وعاء لخير لا ينفد وعجائب فكر لا تنقضي ومعادن جواهر لا تنفى
وبحور حكمة لا تنزح أبداً ومع ذلك ملكوا الجوارح والأبدان . واعلم
يا أخى أن في ابن آدم مضغة ان صلحت صلح سائر جسده وان فسدت فسد سائر

جسده وهى القلب . واعلم أنه لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولسانه
ومن أجل ذلك صار القلب واللسان ملكى البدن والجوارح والقلب هو المساط
على استخدامهم وذلك أنه معدن العقل والعلم والعناية لجميع الخير والشره مستودع
القلب . واعلم يا أخى أنى وجدت اللسان مترجما عن القلب ارادته وذخائر
بصائره ووجدت الذكر جلاء لصدأ القلوب وتيقظا من وسن الافئدة . واعلم
أنى وجدت الشكر على من اختصه الله بنور العقل أكثر والحجة عليه آكد فمن
ههنا ألزم الحجة وانقطعت المعاذير مع الاعذار والانذار فله الحجة البالغة علينا
وعلى أهل العقول من خلقه وما أعرف أن أحداً أتى الا من قبل تضييع الشكر
لأنه ليس من ولد آدم أحد الا وهو مختص بنعمة العقل الا قليل فمنهم من حثى
له من الشكر وحثى عليه ومنهم من أعطى من العقل دون ذلك فشكر الله على
قليل ما أعطى فزاده الله حتى علا فى درجة العقل ومنهم من كفر النعمة فلم يأخذها
بشكر فنقص عن درجة العقل لأن العبد قد أعظم الله عليه النعمة فى العقل فينبغى
أن يكون شكره على قدر عظيم النعمة عليه . واعلم أن العقل والهوى ضدان
مركبان فى العبد كتركيب الجوارح وهما يعتركان فى قلب ابن آدم فأيهما غلب
استعلى على صاحبه واستولى على العبد فكانت أعماله كلها بالمستولى عليه فكان
له تبعاً فشكر العبد اذا كان لله على نعمة عقله أن يتبع دلالة علمه وعقله فيؤثر
دلالتهما وما يدعوان اليه على هوى نفسه . واعلم أن الأمر عظيم على قدر ما نرى
من غلبة الهوى علينا واستمكان الدنيا من قلوب علمائنا وجهالنا فلما كان
ذلك منا كذلك عز وجود الصدق على كثرة وجود معرفته ووصفه وقل العمل
به والقيام بحقه وقد فشا الكذب وكثر الرياء والترين للدنيا وسلوك أودية
الهوى ونزول أودية الغفلة ولا يؤمن السبيل أن يركب على تلك الغفلة فتتلف
النفس وأن الهوى قد قام مقام الحق يعمل به ويقضى بقضائه ويحكم بحكمه

وقام سوء الأدب والمكر والخديعة مقام العقول وقامت المداهنة مقام المداراة
وقام الغش مقام النصح وقام الكذب مقام الصدق وقام الرياء مقام الاخلاص
وقام الشك مقام اليقين وقامت التهمة مقام الثقة وقام الأمن مقام الخوف
وقام الجزع مقام الصبر وقام السخط مقام الرضا وقام الجهل مقام العلم وقامت
الخيانة مقام الأمانة فصار من قلة الأكياس لا تعرف الحق ومن قلة أهل الصدق
لا يعرف أهل الكذب الا عند أهل الفهم والعقل والبصيرة فاعتدل الناس في
قبح السريرة وقلة الاستقامة في أمور الآخرة الا من عصم الله فأصبحنا وقد
حيل بيننا وبين النقص الذي نكرهه من أنفسنا وحيل بيننا وبين أن ندخل
في الزيادة التي نجبها لأنفسنا عقوبة لقبح أسرارنا فجرينا في ميدان الجهل وغلب
علينا سكر حب الدنيا فنحن نستبق في هذين السبيلين وتنافس في الاستكثار
منهما فصح عندي أن من الجهل بأمر الله والاعتترار به القيام على هذه الحالة
والسلامة منها أيسر وأقرب رشداً وهو أن يكون المرء في البلد الذي لا يعرف
فيه مع التخلص الى خمول الذكر أينما كان وطول الصمت وقلة المخالطة للناس
والاعتصام بالله والعض على الكسر اليابسة وما دنؤ من اللباس ما لم يكن مشهوراً
والتمسك بالقرآن والصبر على الشدائد وانتظار الفرج . واعلم أني قد نظرت يبحث
النفس والعناية بها فوجدت غفلتنا عظيمة وخطرنا عظيماً والغفلة عن الخطر
أعظم من الخطر لأنه انما يعظم الخطر عند أولى العقول فكلمنا عظم الخطر وعلمت
أنه عظيم وكنت من أهل البصيرة حركك عظيم الخطر فانتقلت من عظيم الغفلة
الى حال التيقظ ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فصل في ذكر الطمع وقبحه

وقال رحمه الله ينبغي لك يا أخي أن لا تأذن لقلبك في استصحاب ما يعسر عليك

طلبه وتحاف اطفاء نور القلب من أجله وكن في تأليف ما بينك وبين الله محمود العاقبة واقطع أسباب الطمع فيستريح قلبك ويصير الى عز الاياس وامانة الطمع فيسد عليك سبيل الفقر ويسكن قلبك عن العناء ويسقط عنك بذلك الشغل بالخلقين واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل وقطعه واطلب راحة البدن بإجماع القلب على عدم الشغل برؤية الخلقين وتعرض لرقة القلب بدوام مجالسة أهل الذكر من أهل العقول والمعرفة وحسن الأدب التاركين لفضول الكلام فان بمجالسة هؤلاء يصفو القلب ويرق ويقدر فيه النور وتجري فيه ينابيع الحكمة وافتح باب دواعي الحزن الى قلبك واستفتح بابه بطول الفكر واستجلب الفكر بالتوحش من الناس فان أبوابها في مواطن الخلوات وتحرز من ابليس بالخوف الصادق واستعن على ذلك بمخالفة هواك واياك والرجاء الكاذب فان التوسع فيه ينزلك بمحلة المصيرين من أهل المكر والاستدراج وذلك لأن للرجاء طرقا تؤدي الى الأمن والغفلة فاياك أن تتخذة مطية لسفرك وتخلص يا أخى الى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق مع كثير الرضا بذلك واستقل كثير الطاعة واستجلب النعم بعظيم الشكر واستدم عظيم الشكر بخوف زوال النعم واطلب لنفسك العز بامانة الطمع وادفع ذل الطمع بعز الاياس واستجلب عز الاياس ببعد الهمة واستعن على بعد الهمة بقصر الأمل وبادره بانتهاز النعمة عند إمكان الفرصة خوف فوات الامكان ولا امكان كالأيام الخالية مع صحة الابدان واحذر التسوية فان دونه ما يقطع بك عن بغيتك واياك يا أخى والتفريط عند إمكان الفرصة فانه ميدان يجرى بأهله بالخسران واياك والثقة بغير المأمون فان للشرب ضراوة كضراوة الذئب ولا سلامة كسلامة القلب ولا عمل كمخالفة الهوى ولا مصيبة كمصيبة العقل ولا عدم كقلة اليقين ولا جهاد كجهاد النفس ولا غلبة كغلبة الهوى ولا قوة كردك الغضب ولا معصية كحب النفاق وان حب الدنيا من حب

النفاق ولا طاعة كقصر الأمل ولا ذل كالطمع وفقنا الله وإياك لما إليه دعانا
وأعانتنا وإياك على اجتناب ما عنه نهانا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فصل في التزين

وقال رحمه الله وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال العقول
معادن الدين والعلم دلالة على أعمال الطاعات والمعرفة دلالة على آفات الأعمال
والبصائر دلالة على اختبار عواقب الأمور واختيار مواردها وتصريف مصادرها
والتزين اسم لثلاث معان فتزين بعلم ومتزين بجهل وهتزين بترك التزين وهو
أعظمها فتنة وأحبها إلى إبليس. واعلم أن الأساس الذي ينبغى للمرشد أن يبني
عليه دينه معرفته نفسه وزمانه وأهل زمانه فإذا عرف عيوب نفسه وأراد
ما خذا ليسلم به من شر نفسه ان شاء الله تعالى فليبدأ بالخلوة وخمول نفسه
فلعله حينئذ أن يدرك بذلك الحزن في القلب والخوف الذي يحتجز به عما
نهى الله عنه والشوق الذي يدرك به أمله من محبة الله والالم يزل متحيراً
متلذذاً متزيناً بالكلام يأنس بمجالس الوحشة ويشق بغير المأمون ويطمئن
لأهل الريب ويحتمل أهل الميل إلى الدنيا ويغتر بأهل الحرص والرغبة ويتأسى
بأهل الضعف ويستريح إلى أهل الجهل ميلاً منه إلى هواه إلى أن يفجأ الموت
وحلول الندم. وإذا وجدت المرشد المدعى للعمل والمعرفة يأنس بمن يعرف
ولا يهرب ممن لا يعرف وينسطو يمكن نفسه من الكلام بين ظهراني من يعرف
فاتهم حاله أما أن لا يكون صادقاً في ارادته أو يكون جاهلاً بطريق سلامته أو مغلوباً
على عقله وعلمه مستحوذاً عليه هواه وما التوفيق الا بالله العلي العظيم. واعلم
يا أخي علماً يقيناً لا شك فيه أنالم نبن أساس الدين على طلب السلامة فيه من الخطأ ولا
على حسن السيرة منافي الأخلاق والآداب ولكننا ابتغينا على أساس الهوى وعلى

ماخف محمله على قلوبنا واستخفته أنفسنا واستحلتها ألسنتنا فأمضينا فيه أعمالنا طمعا في الزيادة من التقوى بزعمنا ودركنا حسن السيرة منا في الاخلاق والآداب فنظرنا بعد ذلك فاذا قد رجعت علينا أعمال ايثار الهوى بالنقص من الزيادة في الدين وبقبح السيرة منا في الأخلاق والآداب بنظرنا لأموال الدنيا والآخرة فورثنا ذلك الخب والغش والمداهنة فصيرنا الغش والمداهنة مداراة وصيرنا الخب عقولا وآدابا ومروآت يحتمل بعضنا بعضا على ذلك فأعقبنا ذلك تباغضا في القلوب وتحاسدا وتقاطعا وتدابرا فتحابيننا بالألسن مع الرؤية وتباغضنا بالقلوب مع فقد الرؤية ندم الدنيا بالألسن ونميل اليها بالقلوب وندافعها عنا في الظاهر بالقول ونجرها بالأيدى والارجل في الباطن فأصبحنا مع قبح هذا الوصف وسماجته لا نستأهل به خروجا عن النقص ولا دخولا في الزيادة فان الله وانا اليه راجعون والله المستعان وأصحابنا لا نجد رجلا صادقا فتأسى به ولا خائفا فلزمه للزومه له ولا محزوننا يعقل الحزن فبنا كيه فقد صرنا تتلاهي بفضول الكلام ونأنس بمجالس الوحشة ونقتدى بغير القدوة مصرين على ذلك غير مقلعين ولا تائبين منه ولا هاربين من مكر الاستدراج فنعود بالله من التولى عن الله والسقوط من عين الله والشغل بغير الله ان الله جل ذكره أوجب على نفسه للطاعة ثوابا أى ما وعد به سبحانه من التفضل والاحسان وعلى المعصية عقابا فالثواب لا يجب للعبد على الله الا من بعد تصحيح العمل وتخليصه من الآفات وتصحيح ذلك وتخليصه لا يتم الا بالمعرفة والاعتزام واحتمال مؤنته وتصحيح العمل والاعتزام والاحتمال والصبر على العمل لا يكون الا من بعد ثبات الخوف في القلب والخوف لا يوجد الا من بعد ثبات اليقين في القلب وثبات اليقين لا يكون الا من بعد صحة تركيب العقل في العبد فاذا صح تركيب العقل في العبد وثبت وقع الخوف بما قد أيقن به فجاءت عزيمة الصبر من غير تكلف فاحتملت النفس حينئذ مؤنة العمل طمعا في ثواب ما قد

أيقنت به على فعل الطاعة ورهبة عقاب ما قد أيقنت به على فعل المعصية فترت المعصية والشهوة هربا من عقوبتهما واحتملت الطاعة بالاخلاص رجاء ثوابها فكلف الأحمق الكيس ولم يعذر على لزوم الحق وكلف الجاهل التعليم ولم يعذر على غلبة الهوى وكلف العامل الصدق والاخلاص والتيقظ في عمله ولم يعذر على الشهوات والغفلة وترك الاخلاص فيه وكلف العاقل الصدق في قوله ولم يعذر بالميل الى الكذب وكلف الصادق المخلص الصبر عن ابتغاء تعجيل ثواب عمله في الدنيا من المخلوقين من حب الدنيا والتكرمة والتعظيم وعندها انقطع العمال خاصة وحل بهم الجزع وتركوا عزيمة الصبر في طلبهم تعجيل ثواب عملهم ولم يؤخروا ثواب الاعمال ليوم يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب وخذعتهم الأنفس الأمارة بالسوء عند سرائر أعمالهم حتى أبدوها للمخلوقين بالمعاني والمعاريض وأظهروا الاعمال ليعرفوا بفضيلة العمل ليزدادوا عند الناس فضيلة ورفعه فتعجلت أنفسهم ذخائر أعمالهم وحلاوة سرائرهم بحسن الثناء والتكرمة والتعظيم ووطء الأعتاب والرياسة والتوسعة لهم في المجالس واغفلوا سؤال الله لهم في عقدهم لمن عملوا وماذا طلبوا فخسروا أنفسهم وأعمالهم وخسارة ما هنالك باقية وندامة ما هنالك طويلة لما وردوا على الله فوجدوا عظيم ما كانوا يؤملون من ثواب سرائر أعمالهم التي عاجلوا فيها أنفسهم في الدنيا فمنعوا هنالك لانهم قد كانوا تعجلوا ثوابها من المخلوقين وخرجوا من خير أعمالهم صفراليدن فانا لله وانا اليه راجعون ما أقبح الفضيحة بالعالم العامل البصير الناقد العارف غب قلة الصبر وابتغاء تعجيل الثواب والميل الى الدنيا وايتثار شهواتها ولذاتها فينبغي للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير الناقد أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا ينبغي تعجيل الثواب ههنا وما التوفيق الا بالله العلي العظيم

فصل في الغيبة والنميمة

وقال رحمه الله اعلم أن مخرج الغيبة إنما هو من تزكية النفس والرضى عنها لانك إنما تنقصت غيرك بفضيلة وجدتها عندك وإنما اغتبتة بما ترى أنك منه برىء ولم تغتبه بشيء إلا وما احتملت في نفسك من العيب أكثر وإنما يقبله منك مثلك فلو عقلت أن فيك من النقص أكثر لحجزك ذلك عن غيبته ولاستحييت أن تغتابه بما فيك أكثر منه ولو علمت ان جرمك عظيم بغيبتك غيرك وظنك أنك مبرأ من العيوب لحجزك ذلك ولشغلك عن ذلك وكيف وانما يلقي الأموات الأموات ولو كانوا أحياء إذا ما احتملوا ذلك منك ولتناهوا . واعلم أن ميت الأموات أحمد في العاقبة من ميت الأحياء وتفسير ميت الأحياء أموات القلوب وهم أحياء في الدنيا فمن كانت هذه صفة كثرت أوزاره وعظمت بليته فاحذريا أخي الغيبة كحذرك عظيم البلاء أن ينزل بك فان الغيبة اذا نزلت وثبتت في القلب وأذن صاحبها نفسه في احتمالها لم ترض بسكنائها حتى توسع لأخواتها وهي النميمة والغبى وسوء الظن والبهتان والكبر وما احتملها ليب ولا رضى بها حكيم ولا استصحبها ولى لله قط فانا لله وانا اليه راجعون

فصل في الاستدراج

وقال رحمه الله الاستدراج اسم لمعنيين فأحد المعنيين استدراج عقوبة للسبيئة تنبها على الانابة والمعنى الثاني استدراج لاناابة فيه ولا رجوع فنعوذ بالله من الاستدراج وإنما يستدرج العبد على قدر بغيته فمنهم من يستدرج بالملك والسلطان وطاعة الناس له ومنهم من يستدرج بالدنو من الملوك والسلاطين والخطوة عندهم ومنهم من يستدرج بالتوسعة في تجارته بالتوسعة في المال ومنهم من يستدرج بالأهل

والولد والغاشية والتبع ووطء الأعقاب ومنهم من يستدرج بعلمه بأن يكرم بسببه ويحمد ويعظم ويسمع قوله فهو مستدرج بنيل حظه من علمه ومنهم العابد يستدرج من طريق العجب في عمله والقوة على ذلك في بدنه ومنهم ذو البصيرة يستدرج بالزيادة في بصيرته فجميع من ذكرنا من المستدرجين كلهم لا يخلو من الرياء والعجب وكل مزين له ماهو فيه لا يرى الا أنه على الطريق مقبول منه احسانه وقد عمى عن فتنة ماهو فيه من الاستدراج ومنهم من ينه فينتبه فيرجع الى الانابة ويفزع الى الاستكانة ومنهم من يهمل فيهمل نفسه الى حضور أجله وقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ولا تمدن عينيك الى مامتعابه أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ فهذه فتنة الاستدراج فنعوذ بالله من ذلك والمستدرج مفتون فلا يعلم بفتنته مزين له عمله مستحسن ماهو فيه طالب للزيادة على ماهو عليه مقيم فاحذر فتنة الاستدراج واعلم أن الاستدراج عقوبة للمضيعين شكر النعم

فصل في اليقين

وقال رحمه الله اعلم أن للموقن علامة واضحة تعرفها من نفسك ومن غيرك وهي أن الموقن يعظم عنده الخطأ والزلل وان كان غير مؤاخذ به لغفلته عنها وركونه اليها بالشهوات وهجوم ابليس على قلبه وطمع نفسه فيما هو أعظم منها اذا عمل منها شيئاً ظن أنه قد استوجب النار وأنه مسلوب بها ما أنعم عليه به فاذا كان العبد كذلك كان موقناً وهو يعلم . ان قلت ما بال أقوام عارفين يذنبون . قلت ليعرفهم الله فضله عليهم واحسانه اليهم عند اساءتهم الى أنفسهم فتجدد عندهم النعم ويستقبلون الشكر فيصرون بذلك الى أعلى درجاتهم انتهى

فصل في العجب

وهذا راجع الى ما تقدم ذكره من الاستدراج أعنى استدراج الملوك وغيرهم لكن بقي من الكلام على ذلك بقية يحتاج الى ذكرها في هذا الفصل . قال رحمه الله فالعامة معجبون بما أوتوا من الأهل والولد والأموال والأرباح والمساكن والعلماء معجبون بعلمهم وما بسط لهم فيه من الذكر والقراء معجبون بما نالوا من الثناء والتزمت (١) بقراءتهم والعباد معجبون بما نالوا من القوة على اظهار الزهد والصلاة والصوم فليس من هذه الأصناف صنف الا وهو يجب التعظيم والمحمدة عند من هو دونه وعند من هو فوقه وأصل ذلك كله من التجبر وهذه فنونه فاذا ثبت التجبر في قلب عبد ثبتت فنونه جميعا . والتجبر أصل منه يتفرع جميع الشر من الغضب والطمع والرياء وحب التعظيم والرياسة والمنزلة والسمعة والتزين والطيش والعجلة وسوء الخلق والحرص والشره والمكر والخديعة والجريرة والغش والخلافة (٢) والكذب والغيبة والنميمة والحسد والقساوة والجفاء والشح وقلة الحياء مع فنون جميع الشر فنعود بالله من الشر كله

فصل في التواضع

وقال رحمه الله اذا ثبت التواضع في القلب ثبت فيه جميع الخير من الرأفة والرفقة والرحمة والاستكانة والقنوع والرضى والتوكل وحسن الظن وشدة الحياء وحسن الخلق ونفى الطمع وجهاد النفس وبذل المعروف وسلامة الصدر والتشاغل عن النفس والمبادرة في العمل بالخير والبطء عن الشر كل امرئ على قدر

(١) التزمت كالتلون وزنا ومعنى

(٢) الجريرة الذنب . والخلافة بكسر الخاء الخديعة

ما فيه من البر يكون فعله على قدر ذلك ويكون حذره على قدر ذلك . فان كنت تسأل عن العجب الذي دخل أصحاب الأعمال من العباد فسأخبرك بفتنتهم وشدة بليتهم فتوقها واحذرهما واستعن بالله فانه ليس شيء أعجب الى ابليس الخبيث من فتنة العابد لأن فتنة أهل الدنيا مكشوفة بطلبيهم الدنيا والناس قد عرفوهم بطاها وفتنتها فمنهم من يحتملها وهو يعلم أنه مفتون فيها وأما فتنة العابد فهي أعظمها فتنة وأعظمها بلية وأعظمها صرعا لأنهم قد تركوا عبادة الدنيا وجدوا في طلب الآخرة وكابدوا المفاوز والقفار وجاهدوا صعود العقاب وجاهدوا أنفسهم على ترك الدنيا لمعرفةهم بالنفس وماتدعو اليه ولمعرفةهم بالدنيا وماتدعوهم اليه وأقبلوا على طلب الآخرة وايثارها بالصدق منهم وحسن الارادة غير أن الله جل ذكره امتحن هذا الخلق في كل أحوالهم في تمسكهم بالدنيا وفي تركهم لها وفي طلبهم الآخرة وايثارهم لها بالجهد والاجتهاد وجعل في كل نوع من ذلك مؤنة لا تدفع الا بالصبر و وعد ابليس وعدا فهو منجزه له الى يوم القيامة بأن أسكنه هو وذريته صدور بني آدم يجري منهم مجرى الدم وذلك لمن أطاع منهم ولمن عصى ولأوليائه وأعدائه فليس للعابد في عبادته أن ينفي الشيطان عن قراره أو يزعمه عن المسكن الذي أسكنه الله فيه ومكنه منه وهذه من المحن التي امتحن الله بها خلقه لينظر كيف يعملون غير أن العبد اذا تيقظ بقلبه خنس الخبيث عنه فلم يكن له شيء الا مع غفلته وطبع الله الخلق كلهم على الغفلة والتيقظ وأيد الله العابد بمكايده ابليس فليس أحد أحوج الى صحة تركيب العقل فيه من هذا العابد الذي قد قصد خلافه وقوى على احتمال ترك الأسباب التي يصل بها ابليس الى ابن آدم من فنون الشهوات فحذف ذلك أجمع وخلفه خلفه ثم قرب من العقبة التي ان جاوزها كان منحدرًا الى الجنة باذن الله فتجرده ابليس وعلم أنه لم يبق عليه الا هذه الدرجة التي ان سلم منها نجح فلا يسلم في مثل زمانك

مع كثرة هذه الفتن والمحن الا من كان على مثل ما وصفت لك

فصل في النية والعبادة

وقال رحمه الله ينبغي للعبد أن يصحح نيته التي هي قوام عمله ويجمع لذلك قلبه وذهنه وعنايته ويقرر عمله فيما يأتي ويتبصر في عبادة ربه ويقصد معرفة ربه ومكايده عدوه ومجاهدة نفسه وایاسه اياها من عملها لطلب الثواب لأنها ان انقطعت عن عبادتها لم تبلغ درجة العفو لعظيم ما جنت من الاساءة ولو أن تلك العبادة والاحسان بازاء ذنب من ذنوبها لاستأهلت بذلك الذنب العقاب الا أن يغفر فكيف بجميع اساءتها مع قلة ما يستقبل من صماد (١) التوبة والمراجعة ثم يحملها على طاعة الله ما استطاعت فان عارضه ابليس بشيء أو رفعت نفسه رأسها لتذكره شيئاً من احسانها منعها بما قد عرفه الله من قديم اساءتها ويذكرها عيوبها فتتجمع عند ذلك ويكون ذلك زاجرا لعدوه ان شاء الله تعالى عند ما يريد من خديعته ليوقع في العجب بالباطل فلو كان عجباً بحقيقة من احتمال نفسه طاعة ربه بهشاشة منها وسرور وزهد فيما يكره الله لكان أولى الأشياء باليقين مع صدقها في الطاعات الرجوع الى الشكر لأن العمل بطاعة الله نعمة من الله على العامل فيما يسرله من العمل ومن غفل عن الشكر في العمل كان جاهلاً بربه جاهلاً بالعمل جاهلاً بالنعم ومن عقل الشكر وذكر نفسه احسان الله رجوع الشيطان بعون الله صاغراً ناكصاً على عقبه فألزم نفسك الندم وارجع الى ما عرفك ربك من معرفة نفسك وعدوك وارغب الى الله في العصمة من شر نفسك وشر عدوك واسأله الكفاية فانه لم ينجأ اليه أحد في شيء من ذلك الا ووجهه قريباً مجيباً فاذا صار العبد الى هذه الدرجة أعطى هذه المعرفة فلا يكون له همة ولا بغية ولا مسألة

(١) صماد بكسر الصاد ما يسد به القارورة

الانقلبة من ضيق الدنيا وغمها مخافة أن تعارضه فتنة من فتنها تحول بينه وبين معرفته ويرتجى أن يصير الى الآخرة وروحها ليأمن فيها على نفسه من روعات ابليس وجنوده وأنا أوصيك أن تطيل النظر في مرآة الفكرة مع كثرة الخلوات حتى يريك شين المعصية وقبحها فيدعوك ذلك النظر الى تركها

فصل في العلم

وقال رحمه الله اعلم أن لدواعي الخير علامات يستجلب بها دواعي الحزن والتفكير فهو بين ذلك مسرور لأنه جعل ذلك في الدنيا بغيته وأمله وإذا أدرك أمله ووجد بغيته طاب عيشه كما أن طالبي الدنيا إذا أدركوا آمالهم من نعيمها وزهرتها أحاط بهم السرور فكذلك طالب الآخرة وهو بعد ذلك من نفسه وعدوه وزوجته وولده وأهل زمانه خائف وجل لا يأمن من الشيطان الامع استذكاره قول الله عز وجل ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ فيثبت يقوى قلبه ويستصغر كيد من كايده وهو مع ذلك معتصم بربه واثق به فمن طلب الآخرة فلا يغفل وليين أمره على طالب السلامة من الخطأ وعلى أساس الصدق فيما بينه وبين ربه ولا يخاف على قليل عمله إذا خلاصه الله من الآفات كلها أن لا ينميه الله له ويكثره ولا سيما إذا كنت في زمان قد كثرت فيه الشبهة والاختلاف فان تخليصك قليل عملك من بين ظهرا نى أهل الشبهة والاختلاف حتى تكون عاملا على حكم الكتاب والسنة عند الله كثير فكن في زمانك أشد تيقظا للتخلص الى معرفة ما كان عليه السلف الماضون من اتباع حكم الكتاب والسنة . واعلم أن المعرفة اذا استحكمت فيك لم تدعك مع التقصير في العمل بل تنقلك من درجة الى درجة حتى تبلغك غايات ما عملت من الخير أو يأتيك الموت وأنت طالب بلغاياتها وكما أن الارض لا تنبت بغير ماء فكذلك العمل لا يصلح بغير معرفة فكلمها

ازداد العبد بالله معرفة ازداد يقينا وكلما ازداد يقيناً ازداد الله خوفاً وكلما ازداد الله خوفاً ازداد له طاعة وكلما ازداد له طاعة ازداد له حبا وكلما ازداد له حبا ازداد اليه شوقا وكلما ازداد اليه شوقا ازداد للهوت حبا . فاذا كان كذلك كان مغموماً في حالة سرور وذلك أن المغموم على الحقيقة لا يتأسى بأهل السرور في الدنيا ولا يجرى معهم فيما هم فيه وذلك أن المغموم جمع همومه كلها فنصبها بين عينيه ثم جعلها هما واحداً فقصر به أجله وهجم به على معاينة أحوال آخرته وأهوالها والمغموم بالحقيقة نبه الغم على التسوية فعمل للنقلة من دار الغموم الى دار السرور . وسأصف لك حال المغمومين ان شاء الله تعالى . اعلم أن الله عبادا تدبروا فعرفوا فلما عرفوا أيقنوا فلما أيقنوا خافوا فلما خافوا علموا فلما علموا صمتوا فلما صمتوا عملوا فلما عملوا أشفقوا فلما أشفقوا جاهدوا فلما جاهدوا رغبوا فلما رغبوا صبروا فلما صبروا أبصروا مساوى أنفسم فلما أبصروا مساوى أنفسم قصدوا مجاهدتها بالقلوب فارتفعوا عن أعمال الجوارح الى تصحيح القلوب فنقلوا طباعهم عن الريب والدناءة وجانبوا في أحوالهم كلها ومعاملاتهم أحوال أهل المكر والخديعة والخب وألزموا أنفسهم بحجة الطريق في أفعالهم كلها ومنطقهم كله فاستخلصوا باطن الأعمال التي لا تظهر للخلق وأراحو أبدانهم من ظاهر الأعمدال الا مالزمهم من أداء الفرائض المحتومة فصارت أعمالهم سرا بين قلوبهم التي هي أرجح وزناً وأحمد ذكراً عند الله وعلقوا قلوبهم بحب لقاء الله فصغرت الدنيا في أعينهم فاذا أقبلت عليهم خافوا وحزنوا خوفاً من الاستدراج والمكر وان أدبرت عنهم سروا وفرحوا ودافعوا الأيام مدافعة جميلة مستترين عن الأهل والولد والاخوان والجيران فهمتهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا وفي الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم مغمومون يكاشرون (١) الناس بوجوههم وقلوبهم باكية وصفاتهم أكثر من أن يحيط الواصف

(١) يكاشرون أى يضاحكون

بها في الكتب . والكلام في ذلك يكثرفهذه صفات المغمومين على الحقيقة المسرورين
بالله جل ذكره الفرحين به المنقطعين اليه والحمد لله رب العالمين

فصل في عيوب النفس

وقال رحمه الله اخواني انه من لم يعرف نفسه وعيوبها فهو من استقامة دينه
على اعوجاج . واعلم أن من حسن سيرة العارف بعيوب نفسه أن لا يبني دينه
على قبج ولا فساد وأصل العلم الغريب يدرك بظن العقول المرضية وبنور
الحكمة الثاقبة وبمخالفة الأهواء وبفوائد المعرفة الشافية وبإصابة الحق في القول
والعمل بالبصيرة ولا يباغ هذه المراتب العالية الا من تقلد حب الآخرة موقنابها
وراغبافها ومؤثرا لها على ماسواها وخاع عن قلبه حب الدنيا وزهد فيها
بالحقيقة واستشعر التواضع وهجر الهوى فينبغي للعاقل الحازم اللبيب العالم
العامل العارف البصير أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا يبتغي تعجيل
الثواب ويتحرك لعزيمة الصبر وباللله التوفيق

فصل في الاشياء التي يستعان بها

على معرفة عيوب النفس

وقال رحمه الله اعلم أنى وجدت الذى يعين على معرفة عيوب النفس والعمل
في مجاهدتها مخالفة الهوى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . ياأخى انه
لن يعدمك من عدوك خاطر الشر في القلب للمعصية فادفعه عنك بحاكم العلم
من القلب للطاعة . وانه لن يعدمك من نفسك سرعة القبول لموافقة الهوى
فأدرأه عنك بقله المساعدة لخلاف الهوى وأنه لن يعدمك من عدوك التثبط (١)

(١) التثبط التقاعد

عن العمل فادفعه عنك بتعجيل المبادرة الى العمل . وانه لن يعدمك من نفسك
 التشبث بالكسل فادفعه عنك باغتنام الصحة . وأعلم يا أخى أن القلب اذا تراكت
 عليه أقذار الذنوب وأطفاش الشهوات (١) عمى واسود ونكس وطفىء نوره فلم
 يبصر عيوب نفسه وأبصر بعينه عيوب غيره فشغل به عن عيوب نفسه فليس
 شىء أولى بالمدعين للارادة من أن يتوسلوا الى الله عز وجل بطلبهم منه صلاح
 قلوبهم ليسلبوا من شرور أنفسهم وغلبة أهوائهم . واعلم أن القلب اذا لم يثبت
 فيه الحزن خرب كما أن البيت اذا لم يسكن خرب

فصل فى الحزن والخوف

وقال رحمه الله اعلم أن العلم والعمل بالعلم لا ينفع العبد الا باستقامة قلبه والاعاد
 العلم عليه فصار جهلا وعاد العمل فصار ضررا مع أن فساد قلوبنا هو الذى
 فرق بيننا وبين سلوك طريق الاستقامة والاتباع للقوم الذين يصلحون عند
 فساد الناس وهم الذين لم يتركوا من الفرائض شيئا الا أدوه لم يتركوا الصلاة
 والزكاة والحج والجهاد والصيام والغسل من الجنابة والطهور للصلاة كل ذلك
 واجب عليهم وهو شىء معروف لم يزد فيه ولم ينقص منه فما بال الفساد واقع
 علينا ونحن لم ننكر هذه الفرائض كما لم ننكرها وانا لنعمل فى الظاهر بأكثرها غير أن
 القلوب منا مائلة الى حب ما زهد القوم فيه والآنفس منا قابلة لحب هواها مستثقلة لما
 فى الحق من الصبر والمكروه . وسأعطيك دواء لفساد قلبك ينفعك الله به اذا كانت
 لك حياة ان شاء الله تعالى اعلم يا أخى أن القوم صبروا على مكروه ما دلهم عليه الحق
 فصبروا فى الغضب والرضا والشدة والرخاء والعسر واليسر والعافية والبلاء فكانت
 أهواؤهم تابعة للحق على ما أحبت الأنفس وكرهت فكان الحق لهم قائدا وهوى لعقولهم

(١) النفس قدر الانسان اذا لم يتعهد نفسه

تابعاً فاستقامت منهم السيرة بلزومهم بحجة الحق في مواطن غضبهم ورضاهم
وطمعهم وتقواهم وكانوا اذا امتحنوا في هذه المواطن ظهر منهم قول الحق في
مواطن غضبهم وهم له في ذلك الوقت ألزم وأشد تمسكاً منهم في مواطن الرضا
فان عارضهم طمع دنيا ظهر منهم التنزه والورع والتقوى والتأني وفقد منهم الحرص
والرغبة خوفاً منهم وكان منهم كالطباع لم يتصنعوا فيه وطباعنا اليوم بخلاف
ذلك كله وكانوا أخوف لله وله أخطر مخافة أن لا يقبل منهم عملاً فلا تفرح
بكثرة العمل مع قلة الخوف واغتنم قليل العمل مع الخوف فان قليل حزن الآخرة
الدائم في القلب ينفي كل سرور سررت به وألفته من سرور الدنيا وقليل سرور
الدنيا في القلب ينفي عنك جميع حزن الآخرة والحزن لا يصل الى القلب الا مع
تيقظه وتيقظه حياته وسرور الدنيا لغير الآخرة لا يصل الى القلب الا مع غفلته
وغفلة القلب موته والحزن يوقظه ويستنبط له اليقظة من خالص عين اليقين
وبخطرات غامض الفهم تكون خطرات اليقين وعلامة ثبات اليقين في قلب
العبد استدامة الحزن فيه

فصل في الزهد والخلاوة

وقال رحمه الله تعالى اعلم أني لم أجد شيئاً أبلغ في الزهد في الدنيا من ثبات
حزن الآخرة في القلب وعلامة ثبات حزن الآخرة في القلب أنس العبد
بالوحدة وموضع هياج الحزن السرور ومعدنه ومفتاحه العقل ومحال أن
يكون محزوناً مسروراً في حالة واحدة وجميع الطاعات توجد بالتكلف والحزن
لا يوجد بالتكلف الا أن يصل الى القلب الذي يكون منه الحزن وذلك أن
أهل الطاعة قدموا بين يدي الأعمال لطيف معرفة الأسباب التي بها يستديمون
صالح الأعمال ويسهل عليهم مأخذها توطئنا منهم لأنفسهم استصحاب نيتهم

الى انقضاء آجالهم فصيروا أعمالهم في الدنيا يوماً واحداً وليلة واحدة وكلما مضت ليلة استأنفوا الثانية وطلبوا من أنفسهم حسن الصحبة ليومهم وليلتهم وكلما مضى عنهم يوم بحسن الصحبة منهم أو ليلة راقبوا أنفسهم فيها على جميع الطاعات وكان ذلك عندهم غنيمة وذكروا اليوم الماضي فسروا به فصبروا أنفسهم على اليوم المستقبل لخوف انقضاء الأجل فيه أو في ليلته وطرخوا شغل القلب بذكر غد واستعملوا أبدانهم وجوارحهم فيه وتفرغوا له فقصرت عنهم الآمال وقربت عندهم الآجال وتباعدت عنهم أسباب وساوس الدنيا وعظم شغل الآخرة في قلوبهم فنظروا إليها بعين صحيحة النظر نافذة البصر وتقربوا الى الله بالأعمال الزاكية فاستقامت لهم السيرة حين وجدوا حلاوة الطاعة وطاوعتهم الزيادة في التقوى فقرت بالخوف أعينهم وتنعموا بالحزن في عبادتهم حتى نحلت أجسامهم وبليت أجسادهم وقل مع المخلوقين كلامهم وتلذذوا بمناجاة خالقهم فقلوبهم بملكوت السموات متعلقة وفكرهم بأحوال القيامة مقبلة مدبرة وأبدانهم بين المخلوقين عارية فعموا عن الدنيا وصموا عنها وعموا فيها ووضع لهم أمر الآخرة حتى كأنهم اليها ينظرون والحمد لله رب العالمين . ثم نظرت في ذلك فلم أر شيئاً أقرب ولا أجمع لذلك كله من حمية الأنفس عن ألفها وقطع مجاورة المخلوقين بمنع القلوب عن الأخبار التي بها تهيج القلوب من الأشغال القواطع عن التفرغ للحزن أو البحث عن أمر الآخرة والترك للدنيا وما فيها فورثه ذلك حب الخلوات فأحبها ولزمها وأنس بها واستوحش من المخلوقين وذلك حين جرت عذوبة الخلوة في أعضائه كما يجرى الماء في أصل الشجرة فأورقت أغصانها وأثمرت عيدانها ولزم خوف ما يجي به يوم القيامة سويداء قلبه فهاج له من الخلوة فنون من أصول الزهد في الدنيا حتى أنه لو اجتهد في فن منها على أن يستحكم له لعظمت عليه المؤنة واشتد عليه فيه

الصلاح فاذا بلغ الله العبد هذه الدرجة حبت اليه الخلو . فأول ما يستفيد من حب الخلو الاخلاص في العمل والصدق في القول فيما بينه وبين الله تعالى وفي حب الخلو راحة للقلب من غموم الدنيا وترك معاملة المخلوقين في الاخذ والعطاء ومخرج ذلك كله من صحة العقل فأسقط عن نفسه بالخلو وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومداهنة المخلوقين ويجب اليه بالخلو خمول النفس واخماد الذكر في الناس وهو طريق الصدق ومنه يكون الاخلاص ويجب اليه بالخلو الزهد في معرفة الناس والانس بالله ويوهب له استئصال المخلوقين حتى يفر منهم فراره من الأسد وهو غير مفارق لجماعتهم . ويعطى من حب الخلو طول الصمت من غير تكلف وغلبة الهوى بالصبر ومن الصمت والصبر غلبه الهوى . ويعطى من حب الخلو الاشتغال بامر نفسه وقلة اشتغاله بذكر غيره وطلب السلامة مما فيه الناس . ويعطى بالخلو كثرة الهدوم والأحزان والفكر وهذه الخصال من أفضل العبادة ومخرجها من خالص الذكر . ويعطى بالخلو الأعمال التي تغيب عن أعين العباد وتظهر لرب العباد والبلاد وقليل ذلك كثير ومخرج ذلك من الصدق . ويعطى بالخلو التيقظ من غفلة أهل الدنيا وما يذكره منها الخاص والعام ويعطى بالخلو ترك الرياء والترين وكل ذلك من دواعي الاخلاص وهو محض الصدق . ويعطى بالخلو ترك المراء وترك الخصومات والجدال وذلك ينفي الرياسة من القلب . ويعطى بالخلو قلة الخلف في الوعد والتوق من الكذب والأيمان والحنت فيها ومخرج ذلك من الصدق . ويعطى بالخلو قلة الغضب والقوة على كظم الغيظ وترك الحقد والشحناء ومعاملة الخلق بسلامة الصدور . ويعطى بالخلو رقة القلب والرحمة وهما ينفيان الغلظة والقساوة وهما من دواعي الخوف وبالخوف الثابت في القلب يخشع العبد ويبيكي من خشية الله تعالى في الليل والنهار وهي من غايات

العبادة . ويعطى بالخلوّة تذكّر نعم الله عليه واحسانه اليه وطلب الشكر والزيادة من الطاعة . ويعطى بالخلوّة وجود حلاوة العمل والنشاط في الدعاء ويجرى ذلك من القلب مع تضرع واستكانة . ويعطى بالخلوّة القناعة والتوكل والرضا بالكفاف المعفاف والاستغناء عن المخلوقين . ويعطى بالخلوّة عزوب النفس عن الدنيا وشهواتها وقتنتها والشوق الى لقاء الله ومخرج ذلك من حسن الظن بالله وخوف التقصير في العمل . ويعطى بالخلوّة حياة القلب وضياء نوره ونفاذ بصره في عيوب اندنيا ومعرفة بالنقص والزيادة في دينه . ويعطى بالخلوّة الانصاف للناس من نفسه . ويعطى بالخلوّة خوف ورود الفتن التي فيها ذهاب الدين والاشتياق الى الموت والانس بكلام رب العالمين وهو القرآن لما قد وجد من حلاوة المناجاة في القرآن الذي جعله الله نورا وشفاء للمؤمنين فاذا التبس عليك هذا الطريق واشتبهت عليك الأمور فقف نفسك على الارادة من الترغيب والترهيب والتشويق الى ما ندب الله اليه المؤمنين فانك ترجع بصيرا من حيرتك وعالما من جهالتك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وانظر الى كل موطن يضطرك الى الصبر فاهرب منه فانك تعجز عن القيام به . واعلم أنه لا يثبت لك قدم على محجة دين الله وفيك خوفان خوف الفقر وخوف الغنى والثروة فان ذلك مفتاح فقر الأبد وخوفك من السقوط من أعين الناس هو الذي يسقطك من عين الله وينسيك حظك منها فادرا ذلك عنك واطلب التخلص وهيئ لذلك خوفين خوف أن مثلك لا يستأهل أن يبلغ ما يؤمل من الآخرة فان تفضل عليك ربك يبلوغ أملك فأتبعه الشكر ولتحضره خوفا شديدا لأنك لا تقوم بالشكر لما أنعم به عليك كما ينبغي فان لم تفعل ذلك خفت عليك أن تسلب النعمة فترجع الى أسوأ حالك فاذا ألزم العبد نفسه هذين الحالتين وتمسك بهما رجوت ان يؤمنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وقد روى

عن بعض العلماء بالله أنه قال لست آمن على نفسى الفتنة وأن يحال بينى وبين الاسلام فهؤلاء يخافون هذا وهم الصفوة الذين اختارهم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم خافوا مع سابقتهم وطاعتهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهجم عليهم أقل مما أنت فيه من الفتنة فيحول ذلك بينهم وبين ما كانوا يعرفون من حلاوة الايمان فكيف بك يامسكين ولاسابقة لك الا فى الشر ولاحلاوة عرقها قديما من الاسلام الاحلاوة المعاصى وأنت بارك فى دولة الفتنة وزمان الشر تحب البقاء طمعا فى الزيادة وأنت مع ذلك لاتنقم عليها حبها بخدعتك وأنت لاتعلم أنك مخدوع . واعلم أن المطيع اذا كان غير عالم بما يلزمه من الطاعة فى عبادة ربه ولاعارف بمكيدة عدوه هانت على ابليس صرعه لأنه ليس نوع من العبادة الا ولها ضد من الفتنة فمن لم يعرف الخير ووضه من الشر ولاسيما فى العبادة خاصة ثم اجتهد خلاه ابليس واياها لما يعلم من قلة عليه بعبادته ومايجب عليه فيها ولم يتعرض له فى نفس عبادته بشىء ويقصد له جهة آفاتنا التى تبطل عبادته من شهوة النفوس التى تسارع فى قبول ذلك فيترين عنده أن ذلك خير من عندها وأنه سيجزى ويثاب فيصدقها بما تلقى اليه من ذلك فتزهو النفس لرضى صاحبها عنها ويحقق ابليس ظنه به وبالخدع له فاذن قدصرع وخذل ولجأ الى نفسه بميله عن طريق الشكر ويظهر له من فتنة عدوه مايستصغره المخلوقين وتكون نفسه عنده أنه لاعدل لها زكاء وطيبا وهى أخبث الانفس وأنتنها وأسقطها من عين الله تعالى فكلمها سولت له نفسه من عمل احتمال فيه الأذى مع مساعدته اياها وشدة رضاه عنها من تحمل لبس الحشن وأكل الطعام الجشيم وطول السهر والصبر على ظاهر العبادة بما يفتتن به ويستميل به ابليس قلوب الجهال . ولقد قال بعض الحكماء انى لأعد كلامى فيما لا بدلى منه مصيبة واقعة أستعين بالله على السلامة منها وانى لأعد صمتى عما لا يعنينى

غنيمة واحداث نعمة ألتمس الشكر عليها اذ عملت ان من وراء كل كلبة رقيبا عتيدا
وأنزل ما اضطرت اليه من القول مصيبة نازلة وما كفيت من الكلام غنيمة
باردة. ويروى عن بعض الحكماء أنه قال ان من شركب الدين والدينا تنقيص
العبد غيره والوقية فيه وهي الغيبة ويقال أنها تفسد الصائم وتنقض الوضوء
وتجبت الأعمال ويستوجب بها صاحبها المقت من الله تعالى والغيبة والنميمة
مخرجهما من طريق البغي والتمام قاتل والمغتتاب آكل ميتة والمباهى متكبر
وهؤلاء الثلاثة أمرهم واحد بعضها مفتاح لبعض وذلك كله بجانب لأحوال المتقين

فصل في معرفة أصل الأشياء

التي تتفرع منها فنون الخير

وقال رحمه الله سألت سائل حكيم فقال أخبرني بأصل الأشياء التي منها تتفرع
فنون الخير وتجري بها المنافع وتصح عليه الأعمال ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم . فقال له الحكيم اعلم أن أصل الأشياء التي تتفرع منها فنون الخير وتجري
بها المنافع وتصح عليه الأعمال بعد اليقين بمعرفة النعم والقيام بأداء الشكر والعمل به
وأن يصح عندك أن جميع الخير مواهب من الله تعالى وتعلم أن جميع المعاصي كلها
عقوبة من الله تعالى وهي من طريق الخذلان وذلك من علامات السخط فاذا
اعترفت بذلك كثرت حسناتك وقلت سيئاتك لأنك اذا علمت أن الاحسان نعم
ومواهب من الله تعالى ازددت في الشكر واستقللت كثير شكرك عند صغير نعمه عليك
لأن الجبار العظيم من بها عليك وساقها اليك فقل عندك كثير الشكر وكبر عندك
صغير النعم فجزيت حينئذ في ميدان الزيادة من عمل الخير وعلمت معرفة الرضا
وطمعت في العفو واذا علمت أن الاساءة التي اكتسبتها انما هي خذلان من
الله وانها من طريق السخط فزعت الى التضرع فنزلت بساحته والى الاستكانة

فصحبته والى التواضع فاتخذته خدنا فاذا كان ذلك كذلك لجأت الى التوبة فاستجرت بها ولبست جلباب الحياء مما سلف منك وشهد الله عليك به وشاهده منك من الاساءة مع ما تعرف من كثرة احسانه فلم تتعرض بعد ذلك لشيء مما يكره وعمدت الى المعاصي فعاديتها منك ومن غيرك فتكره أن يعصيه أحد من خلقه كلهم بصغيرة أو كبيرة فراجعت الاحسان مجتهداً وأنت مع ذلك عارف بالنعمة عليك في التنبية والرجوع وان ذلك تفضل منه عليك فالتست الطيف الشكر بعد اقلعك عن الاساءة بشدة المضادة لها فعظم شكرك عند التحويل الى الاحسان بعد الاساءة فاذا ذلك قدصرت في جميع أحوالك شاكرًا ذا كراً ولم يعجزك معرفة الاحسان فشكرت حينئذ الشاكر المشكور الذي وعد على الشكر الزيادة ووعد لاخلف فيه وعرفت الاساءة من أين كان مخرجها فراجعت الاحسان بالعتاب منك لنفسك ولمن زين الاساءة لك ودعاك اليها فهذا الأصل الذي تتفرع منه فنون الخير وبه تغلق أبواب الشر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فصل في كيفية تهوين سلوك الطريق

والوصول اليه بعون الله تعالى

وقال رحمه الله سئل رجل من أهل العلم فقيل له أوضح لنا المنزلة التي ينال العباد بها القرب من ربهم ويقوون بها على معرفته ويبلغون بها رضوانه والأمر الذي يقربهم اليه ويقصر بهم عنه أيضاً شافياً حتى يكون ذلك عندنا بينا فقال سأوضح لك ذلك ان شاء الله تعالى فافهم قولي بفهم لا يخالطه سهو وتذكر فيه بتذكر لا يخالطه غفلة واصبر عليه صبرا لا يخالطه جزع فانك ان تفعل ذلك ينهج لك منهاج الطريق وتسلم من تقصير طريق الملكة والتوفيق بالله تعالى

اعلم أن مبتدأ الأمور والذي لا ينتفع بشيء إلا به العقل الذي جعله الله جل ذكره زينة لخلقه ونورا لهم . فبالعقل يعرف العباد خالقهم وأنهم مخلوقون وأنه المدبر وهم المدبرون وهو الباقي وهم الفانون فاستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه في أرضه وسماؤه وشمسه وقمره وليله ونهاره وعلوا أن لهم ولهذا الخلق خالقا وأن لذلك كله مدبرا وأنه لم يزل ولا يزال وعرفوا به الحسن من القبيح وعلوا أن الظلمة في الجهل والنور في العلم هذا مادهم عليه العقل . فقيل له كيف يكتفى العباد بالعقل دون غيره . فقال ان العاقل دله عقله الذي جعله الله قوامه وزينته على أن له رباً وعلم أن ربه لم يخلقه عبثاً وأنه لم يخلق خلقه لعباً وعلم أن لخالقه محبة وكرهية وأن له طاعة ومعصية فلم يجد عقله يدله إلا على ذلك وعلم أنه لا يوصل إليه إلا بالعلم وطلبه وأنه لا ينتفع بعقله ان لم يطلب ذلك ويعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والأدب وهو الذي لا قوام له إلا به . فقيل له صف لنا ما هذا العلم الذي لا ينبغي للعاقل إلا طلبه ولا يجوز له التقصير بنفسه عنه فقال طلب العلم الذي جاءت به رسله وأنبياءه عنه من أمره ونهيه ووعدته ووعدته وملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره وبعثه وحسابه وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته ومحبتة وكرهيته . فقيل له هل يكتفى العالم بما علم من ذلك أو يحتاج الى غيره فقال لا ينتفع العالم بما علم من ذلك دون الايمان به وأن يقر ذلك في قلبه حتى يعلم أن الله هو الحق وأن ما سواه باطل وأن أحداً لا يملك له نفعا لم يقدره الله له ولا ضراً لم يكتبه عليه . فقيل له فهل يجب عليه بعد الايمان غير ذلك أو يكتفى به . فقال نعم ان الله تبارك وتعالى أمر عباده بالطاعة والعبادة له والعمل بها ونهاهم عن معصيته وركوبها فمن آمن ولم يعمل كان متهاونا وتصديق الايمان العمل به . فقيل له فكيف العلم وكيف العمل . فقال أن تعمل بمحبة الله عز وجل وان خالف هواك وأن تعمل بطاعة الله وان أسخطك وأن تجتنب

سخط الله وان سرك وأن تدع كراهيته وان أعجبتك وأن تؤثر ما هو له وان ساءك وان ترغب فيما رغبتك وتزهد فيما زهدك وأن تجعل القرآن امامك ودليلك . فقال له السائل قد دللتني على العمل فعرفت وعرفت فأمنت فلم يكن علي في ذلك كبير مؤنة ولا عظيم مشقة بل خفة وراحة مع ما استزدت به هداية وبصيرة ومعرفة فلما صرت الى العمل به لزمني في ذلك مؤنة شديدة وثقل كبير حتى حال بيني وبين كثير من لذيذ عيشتي ونعيم دنياي وحماني على المكروه وصرفتني عن كثير من السرور فصلى أمراً أقوى به على العمل فيما آمنت به فقد اشتدت على مؤنته وثقل على احتماله . فقال الأمور التي تقوى بها على العمل والأدب الصبر الذي هو تمامه وقوامه فانك ان صبرت انتفعت بعلمك وبلغت منه رضوان الله وقويت فيه على العمل وليس منزلة من منازل الخير الا وللصبر فيه عمل وبه تمامه . فالصبر قوى العباد على أداء الفرائض والحلال والحرام وبالصبر قوا على اجتناب المحارم وبالصبر بلغوا الغاية من كرامة الله تعالى وثوابه فاذا صبرت على العمل انتفعت بالعلم والأدب وانك ان لم تصبر لم تعمل وان لم تعمل لم تنتفع بالايمان بما علمت ومن لم ينتفع بالايمان لم ينفعه العمل ومن لم ينتفع بالعمل لم يغن عنه العقل . فرأس أمر العباد العقل ودليلهم العلم ونورهم الايمان وسائقهم العمل ومقربهم الصبر فمن لم تكن له قوة على الصبر ضعف ومن ضعف لم يعمل ومن لم يعمل لم يتم له أمره ونوره وبقي في ظلمة ومن ذهب عنه النور عمى وحاد عن الطريق ومن لم يبصر فليتبع الدليل وهو القرآن ومن اتبع العلم الذي هو النجاة من الهول العظيم وعمل له وصبر عليه صار الى غاية العلم والأدب . فقال له قد بصرتني من فضل الصبر قوته وعلمتني ما رغبتني فيه وقواني على العمل به مع ثقله على فصلي أمراً أزداد بالصبر تبصراً وفيه رغبة وعليه حرصاً . فقال صبرك على الطاعة وطلبك لها وهربك من المعصية وبليتها هو الذي يرغبك في الطاعة

ويعين لك فضلها . قال قد شرحت لي أمر الصبر وفضله فزدني به تبصرا . فقال له هذا الدليل والامام كتاب الله هو الذي يبين لك فضل الصبر ويرغبك في لزومه فان الله تبارك وتعالى وصف أعمال العباد وذكر ثوابهم فلم يذكر ثوابا يعدل ثواب الصبر فانه ذكر أنهم يوفون أجرهم بغير حساب فهو الدليل على فضل الصبر مع ما ذكر من ثوابه في مواضع من كتابه . فقال له صاحبه قد دلني العلم وكتاب ربي على ما ذكرت من فضل الصبر و ثوابه فزدني بفضله تبصرا وازددت عليه حرصا وفيه رغبة وبه تمسكا وعليه اعتماداً مع شدة منه على وثقل وصبر على خلاف ما أشتهى وحمل نفسى على ما أكره لطلبي فيه الأجر والفضل وابتغاء العمل والآداب فصفت لي أمرا يخف به على مؤنة الصبر ويسهل على لزومه ويخف على احتماله وتذلل صعوبته . فقال له أراك للخير مريداً وللفضل طالباً وعليه حرصا وتحب أن تكون قد قويت على ما ذلك عليه العلم بنفاذ من الصبر وقوة من العمل وذلك من علامات السعادة فان العبد كلما ازداد علما وفيه تفهما ازداد للخير طلبا وعليه حرصا تخف عليه الثقل وقرب عليه البعيد ولها في الدنيا عما يريد وانما الثقل والعسر تمثال الدنيا في قلب العبد وهي مرصد ابليس وسلاحه فاذا قطع عنه ذلك استنار القلب وخرجت الظلمة منه فلم يكن للشيطان به احتمال قوة ولاله فيه نصيب ووصل من الأمر الى ما يريد . فقال له زدني ما يسهل به على ثقل احتمال الصبر ويخففه على . فقال له الأمر الذي يسهل عليك ثقل احتمال الصبر ويخففه عليك الرضا عن الله تبارك وتعالى بكل ما صنع بك واختاره لك وساقه اليك . فقال له صاحبه فأوضح لي كيف يهون على مؤنة الصبر برضائي عن الله ويخفف على احتماله . فقال ألتست تعلم أنك انما انتسبت الى الرضا وسميته صبورا لأن الأمر الذي نزل بك مكروه عليك وان هواك ونفسك ينازعانك الى غيره فاحتجت الى الصبر فتدبرت واعتبرت فصرت من

ذلك الى موضع رضاه ثم يتجاوز بك الأمر حتى تصير الى موضع السرور حتى ترى لو صرف ذلك الأمر عنك لصرت منه الى تقوية نفسك وعلمت أن ما صرف عنك عقوبة لبعض ما أحدثت من ذنوبك أو قصرت فيه عن شكر ما أنعم الله به عليك فصرت منه الى الدرجة الرفيعة ومنازل أهل الرضا وإنما يوصل الى ذلك بالمعرفة بالله وبمعرفة ينظر اليك فتعلم أنك لا تنظر لك من نفسك فترضى بما رضى به وترغب فيما رغبه وتزهد فيما زهده والزهد من الرضا . قال قد علمت فضل الرضا ووضح لي أمره فصف لي كيف يهون على أمر الصبر في الزهد وكيف ما أخذه فقد أراني مع ما أصير اليه من الزهد مقبياً على الصبر وأزداداً يضامع زهدى في الدنيا أموراً أحتاج فيها الى الصبر مخالفة لهوائى ورفضاً لشهوائى وما تنازعنى نفسى من لذائى فقد أراني ازددت ثقلاً وضجراً . قال أراك لا تقبل من الامور الا أصلحها ولا ترضى لنفسك الا بواضحها ولا تختار منها الا أرشدها وذلك من الامور التى أرجو لك بها القوة والنجاح لحاجتك والظفر بطلبتك وبلوغك أقصى الغاية من ارادتك فافهم قولى وتدبر نصحى فان الحجة فى ذلك واضحة والأمر فيه بين ألت تعلم أن الدنيا كانت باقية فى قلبك وأن حبا غالب عليك وأن سرورها فرح لك وان مكروها شديد عليك فحملت نفسك على قطع ذلك مع حبك لها وايثارك لها ونزلها منك مع طلبك الفضل من احتمال الصبر وحملت نفسك على المكروه من أمر دنياك وصبرت عليها لشدة منه عليك لأن مكروها عندك مكروه ولأن سرورها عندك سرور . فثقل عليك الصوم لقطعك الشهوة عن نفسك من الأكل والشرب . وثقلت عليك الصلاة والاشتغال بها لما تسره اليك نفسك من اللهو والحديث فى الباطل وثقلت عليك الزكاة والصدقة لما تحب أن تصرفه فيه من لذاتك . وثقل عليك التواضع لما ترى من تصغير شأنك ودناءة منزلتك عند أهل الدنيا . وثقل عليك

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لئلا يعاديك الناس أو ينقطع رجاؤك منهم أو يسمعونك نأتاكره فيدخل عليك التنغيص في سرورك . وثقل عليك القنوع والرضا لعظيم موقع الدنيا من قلبك وحبك الاكثار منها وحرصك عليها وكرهيتك للموت ونعيم ما بعده مع أشياء كثيرة يطول وصفها . وكل ذلك إنما صار شدته عليك لحب الدنيا وإنما ثقل عليك الصبر وملته وضيق الشيطان عليك المذاهب من أجل ذلك لأن سلاحه الذي به يقوى وكيدته الذي يصل به الى أهل الدنيا الرغبة فيها وطلبها فإذا أنت زهدت في الدنيا ورفضتها ورغبت في الآخرة وطلبتها سهل عليك الأمر فأثرت الآخرة وطلبتها ورغبت فيها وأدبرت عنك الدنيا وثقلها وتولت عنك هاربة يلائها وأتتك بمنافعها وصرفت عنك شرورها برغم منها وانقطع رجاء الشيطان وصغر كيدته وولى وقل سلاحه فلا قوة له بك ونجوت بعصمة الله وتوفيقه من الضيق والتعسير والهلاكة وصرت الى النعمة والسرور والراحة وخرج حب الدنيا من قلبك فازمت الصيام وخف عليك لأنه لم تكن نفسك تنشرح الى الأكل والشرب وغيرهما من الشهوات ولزمت الصلاة واشتغلت بها لأن نفسك لم تكن تنازعك الى اللهو أو الخلو الى حديث في باطل وخفت عليك الزكاة والصدقة لأنك أعددت ما قدمته أمامك ولا تريد منه شيئاً يبقى خلفك وخف عليك التواضع لأن الاياس قد خرج من قلبك وهان عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الناس قد استموا عندك فلم ترج أحد غير ربك ولم تخف شيئاً غيره وخف عليك القنوع لأنك رضيت من الدين باليسير ولم تنازعك نفسك الى غير البلاغ والكفاية وخف عليك الجهاد لأن الدنيا قد أخرجتها من قلبك وكرهت البقاء فيها وأحبيت الموت لما ترجو من النعيم والسرور والحياة الدائمة التي أمامك فالزهد في الدنيا راحة للقلب والبدن وهو جماع الخير وتمامه وليس شئ من أعمال البر الا وله ضد من

غيره فما قصر بك عنه فارفضه وازهد فيه يسلم لك عملك ويخف عليك ثقله فقال له صاحبه أوضحت فيننت وأرشدت فهديت وكشفت فأريت فصف لي كيف الزهد وما حده والذي ينبغي لي العمل به فقد استبان لي فضله ووضح لي رشده . فقال له صاحبه ان الزهد في الدنيا واجب عليك وهو الورع لايجوز لك التقصير فيه ولا الرغبة عنه وهو اجتناب ما حرم الله عليك ونهاك عنه فهذا الأمر لازم لك لا عذر لك في التقصير عن الزهد والقرب الى ربك طلبا للفضل ونفيا لكل أمر قصر بك عنه من المسارعة في طاعته والمسابقة الى رضوانه فهذا ما ينبغي لك العمل به وادارة صلاح نفسك عليه . فقال أما ما حرم الله علي ونهاني عنه فقد دلت عليه العلم لأنه صار لا ينبغي لي المقام عليه ولا العمل به فزهدت فيه ورفضته فصف لي الزهد الذي أرجو أن أنال به كرامة سيدي وأن أبلغ من ذلك محبته وأن أدفع به عنى كيد الشيطان ومكره فقال له ذلك الزهد في فضول الدنيا والرضا منها بيسيرها والأخذ منها بقدر البلاغ الى غيرها ورفض ما سوى ذلك من فضولها وأمورها باخراج الناس من قلبك فلا تخف أحدا في الله ولا ترد حمد أحد من الناس ويستوى الناس عندك فلا ترج أحدا غير الله ولا تطلب الا فضله وتنصح في الله في السر والعلانية ولا تخف لوم أحد من الناس ولا عدله وتحب في الله وتبغض في الله ولا تشغل قلبك بشيء غيره وتلزم التواضع والتذلل لربك وتحمل ذكرك وتغيب اسمك ولا ترد بذلك تعظيم أحد من الناس غير الله تبارك وتعالى وتحب الموت وتكون ممثلا له بين عينيك لرجاء ما بعده وتزهد في الحياة مخافة الفتنة والبلية فهذا أصل الزهد فاذا أنت وصلت الى ذلك نلت شرف الآخرة ونجوت بعون الله من بلية عاجلتك . فقال له صاحبه لقد ذكرت لي من أمر الزهد شيئا ضاق به ذرعى واشتد له غمى واعتصر له قلبي واستصعب به على أمرى وتفرق له رأى واشتدت على

المؤنة فيه وقد كان الصبر والاحتمال له أيسر على مؤنة منه وأخف على حملان الزهد وخشيت أن لا أقوى على احتماله ولا تطيق نفسى العمل بكامله ولا تقدر على القيام بتمامه وأن تملئه نفسى وترفضه وترجع منه الى غيره مما فيه هلاكها وعطبا وقد عرفت فضل الزهد وعظيم قدره فصف الى أمرأتقوى به على الزهد ويخففه على . فقال له صاحبه قد فهمت قولك ولقد صعب عليك الذلول واشتد عليك اليسير وثقل عليك الخفيف وعميت عليك المداخل وما ألومك حيث اشتد عليك من أمرك ما ذلرت حين لم تعلم الأمر الذى له فى الدنيا زهدت والذى به عليه قويت ولو علمته لهان عليك من أمرك الشديد وخف عليك الثقيل وسهلت عليك مواردته وسهلت عليك فيه المذاهب وخفت عليك فيه المؤنة فافهم قولى بعقل وتدبره بحكم وخذ فيه بقوة وجد . وأعلم ان العباد زهدوا فى الدنيا ودعاهم الى الزهد فيها ورفضها خصال شتى بعضها أرفع وأعلى درجة من بعض وكلها داعية الى الزهد فيها . فأول درجات الزهد أن الله تبارك وتعالى خلق العباد فى الدنيا وجعل ما فيها زينة لها وزعمهم فيها وخلق الآخرة ونعيمها وندبهم اليها ورغبهم فيها وأعلمهم أنهم عن الدنيا مرتحلون وأنهم الى الآخرة صائرون فرغب العباد فى الباقي وزهدهم فى الفانى فأثر الآخرة واطلبها وازهد فى الدنيا وارفضها لكيلا ينتقص من حظك فى الآخرة بما نلت من نعيم دنياك . وأما المنزلة الثانية من الزهد فى الدنيا فان الله عز وجل خلق العباد فى الدنيا فأوجب الموت عليهم وأعلمهم انهم ميتون وضرب لهم فيها أجلا فلم يعدوا فى أى الأوقات والساعات تأتيتهم منيتهم فتحول بينهم وبين دنياهم ونعيم عيشهم ومفارقة أحببهم فلما انتقر الموت فى قلوبهم أسهروا فى الليل أعينهم واشتغلوا بهمومهم عن أهلهم وأولادهم ودام حزنهم وبكاؤهم وزهدوا فى الدنيا وأهلها ونعيمها فصار الليل والنهار عندهم بمنزلة الضيفان وكان المقوى لهم على الزهد فى الدنيا ذكر الموت

وقصر الأمل فهذه الخصلة شريفة من خصال الزهد في الدنيا وأما الخصلة الثالثة في الزهد فتصديق العبد ربه فيما أخبره به من نعيم الآخرة وما خوفه به من عقاب النار وعذابها وما حذره منه من الدنيا والاعتزاز بها فزهد فيها وأحب بالموت مفارقتها والتباعد عنها والخروج منها الى داره وقراره تنصراً منه بالدنيا وحالها فهذه الخصلة من خصال الزهد أشرف مما قبلها . فقال له صاحبه ما تركزت لي الى الدنيا والركون اليها سييلاً ولقد استبان لي من قولك البر والحق ووضع لي من وصفك الصدق وقويت بحمد الله وتوفيقه على الزهد فيها ورفضها فصف لي بصفتك الشافية ونعتك النافع دواء لداء قلبي تخبرني فيه عن الامر الذي يدلني على هذه الخصال ويقويني عليها . فقال الامر الذي يدلني على هذه الخصال ويقويني عليها وينورها في قلبك هو اليقين الذي لا يخالطه شك والتصديق بربك الذي لا يخالطه لبس فانه من صدق ربه أيقن ومن أيقن أبصر ومن أبصر زهدوا الزهد في الدنيا شعبة من شعب اليقين وأفضل اليقين التوكل . قال فصف لي اليقين لأعرفه . فقال أن تعلم أن الله وحده لا شريك له وأنه الحق المبين وأنه كما وصف نفسه في قدرته وسلطانه وخلقه وأن وعده حق وقوله صدق وكذا وعيده وكتبه ورسوله حتى تقر بذلك في قلبك وتتبع كتاب ربك فهذا اليقين الذي لا يشك فيه . قال صف لي التوكل لأعرفه . فقال التوكل هو العمل بطاعته وتصديق اليقين دلالاته فمن أيقن وعلم أن الله خالق الأشياء والمقتدر عليها والمالك لها والمنفرد بها توكل عليه في جميع أموره وقطع رجاءه عن سواه من خلقه ولم يثق باحد ولم يأنس الاب به فانقطع الى الله وتوكل عليه في جميع حالاتك فهذه صفة العمل والتوكل ومأخذه . قال ما الذي يدلني على الفكرة ويقويني عليها فاني كلما أردت الفكرة لم أصل اليها ولم أقدر عليها . فقال أجل لا تصل الى ما تريد من الفكرة مع الاشتغال

بغيرها فسييل الوصول إلى الفكرة الصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا عن ذكر الله والخير في الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فصل في السماع وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز

فانظر رحمنا الله واياك الى ما قرر هذا السيد رحمه الله في كيفية السلوك والأخذ أولا بالصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا عن ذكر الله والخير في الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول فلم يكتب رحمه الله بالخلوة ليس الا حتى ذكر الاعتزال مع الخلوة فلو كانت خلوة دون اعتزال لقل أن يفتح له ولاجل ذلك احترز بقوله والاعتزال. فأين هذا الحال من حالنا اليوم اذا أن الغالب على من ينسب الى الخرقه في هذا الزمان انما شأنه كثرة الاجتماع وحضور السماع والرقص فيه حتى كأن ذلك مشروط في السلوك نسأل الله السلامة بمنه. فمن أراد الخير فليعتزل عن هذه صفته والا فالفتح عليه بعيد أعنى الفتح الحقيقي الذي يقرب به من ربه عز وجل دون ادعاء والافعض هؤلاء يدعون الأحوال ويزعمون أنه يفتح عليهم في حال رقصهم وتأخذهم الأحوال اذ ذاك ويخبرون بأشياء من أمر الغيب ولو وقع ذلك في بعض الأحيان لكان مصادقة ثم أنهم يولون ويعزلون في تلك الأحوال ويخبرون بمنزل أصحابهم فيقولون مثلاً فلان أحد السبعة وفلان أحد العشرة وفلان أحد السبعين وفلان أحد الثلاثمائة الى غير ذلك ولا شك أنها أحوال نفسانية أو شيطانية لأن الفتح من الله تعالى لا يكون مع ارتكاب المكروهات أو المحرمات. وهذا السماع على ما يعملونه محرم. قال الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره لما أن تكلم على سورة الكهف في قوله تعالى ﴿اذا قاموا﴾

فقالوا ربنا رب السموات والأرض ﴿ هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته
شكرا لما أولاهم من نعمته ثم هاموا على وجوههم منقطعين الى ربهم
وخائفين من قومهم وهذه سنة الله في الرسل والانبياء والفضلاء الأولياء أين
هذا من ضرب الأرض بالاقدام والرقص بالأكام خصوصا في هذا الزمان عند
سماع الأصوات الحسان من المرد والنسوان هيات بينهما والله مثل ما بين السماء
والأرض. ثم ان هذا حرام عند جماعة العلماء انتهى. وقد تقرر فيما مر أول
الكتاب أن الفقير المنقطع لا يتصرف الا في واجب أو مندوب وأن المكروه
عند هذه الطائفة كالمحرم لاسيما الى ذكره فضلا عن فعله. وقد اختلف العلماء
رحمة الله عليهم في ضرب الطار على حدته هل يجوز أم لا. وكذلك اختلفوا
في الشبابة على حدتها. وقاعدة أهل الطريق الخروج من الخلاف فكيف
يقدمون على شيء قد اتفق الناس على منعه ذلك محال في حقهم. ثم مع ارتكاب
بعضهم ما ذكر يدعون الأحوال الرفيعة ويشيرون الى مقامات ومنازلات
تستعظم في الغالب على من هو متصف بالاعتداء والاتباع فكيف يحصل لأهل
التخليط وارتكاب مالا ينبغي ذلك محال. ومن أشد ما فيه من القبح ما أحدثوه
في السجود للشيخ حين قيام الفقير للرقص وبعده. وقد نقل الشيخ الامام أبو
عبد الله القرطبي رحمه الله في كتابه ما هذا لفظه. روى ابن ماجة في سننه
والنساء في صحيحه عن أبي واقد (قال لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا فقال
يا رسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقهم وأساقفتهم فرأيت أنك
أولى بذلك فقال لا تفعل فاني لو أمرت أحدا يسجد لأحد لامرت المرأة أن
تسجد لزوجها لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها حتى لو سألها
نفسها وهى على قتب لم تمنعه) هذا لفظ النسائي وفي بعض طرق حديث معاذ (ونهى

عن السجود للبشر وأمرنا بالمصافحة) قلت وهذا السجود المنهى عنه قد اتخذته جهال المتصوفة عادة في سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم فترى الواحد منهم إذا أخذه الحال بزعمه يسجد للاقدام سواء كان للقبلة أو غيرها جهالة منه ضل سعيهم وخاب عملهم

﴿فصل﴾ فانظر رحمتنا الله واياك الى قصة معاذ المتقدمة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم انك أولى بذلك يؤخذ منها من الفوائد النفيسة التحرز عن مخالطة أهل الكتاب والبعدهم اذ أن النفوس تميل غالبا الى ما يكثر ترداده عليها . ومن ههنا والله أعلم كثر التخليط على بعض الناس في هذا الزمان لمجاورتهم ومخالطتهم لقبط النصارى مع قلة العلم والتعلم في الغالب فأنست نفوسهم بعوائد من خالطوه فنشأ من ذلك الفساد وهو أنهم وضعوا تلك العوائد التي أنست بها نفوسهم موضع السنن حتى أنك اذا قلت لبعضهم اليوم السنة كذا يكون جوابه لك على الفور عادة الناس كذا وطريقة المشايخ كذا فان طالبتة بالدليل الشرعي لم يقدر على ذلك الا أنه يقول نشأت على هذا وكان والدي وجدى وشيخى وكل من أعرفه على هذا المنهاج ولا يمكن في حقهم أن يرتكبوا الباطل أو يخالفوا السنة فيشنع على من يأمره بالسنة ويقول له ما أنت أعرف بالسنة ممن أدر كتبهم من هذا الجرم الغفير . وقد تقدم انكار بعض العلماء على الامام مالك رحمه الله في أخذه بعمل علماء المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فكيف يحتاج هذا المسكين بعمل أهل القرن السابع مع مخالطتهم لغير جنس المسلمين من القبط والأعاجم وغيرهما نعوذ بالله من الضلال . مع ان السماع المعروف عند العرب هو رفع الصوت بالشعر ليس الا فاذا فعل أحد ذلك قالوا أهمل السماع وهو اليوم على ما يعهد ويعلم . ولأجل هذا المعنى قال الامام الشيخ رزين رحمه الله ما أتى على بعض العلماء المتأخرين الا لوضعهم الاسماء على غير مسميات

وهاهو ذابن الأترى السماع كان عندهم على ما تقدم ذكره وهو اليوم على مانعائه
وهما ضدان لا يجتمعان . ثم أنهم لم يكتفوا بما ارتكبوه حتى وقعوا
في حق السلف الماضين رضی الله عنهم ونسبوا اليهم اللعب واللهو في كونهم
يعتقدون أن السماع الذي يفعلونه اليوم هو الذي كان السلف رضوان
الله عليهم يفعلونه ومعاذ الله أن يظن بهم هذا ومن وقع له ذلك فيتعين عليه
أن يتوب ويرجع الى الله تعالى والافوهالك . الأترى أن الشيخ الامام
السهروردي رحمه الله لما أن تكلم على السماع قال في أثناء كلامه ولاشك انك
اذا خيلت بين عينيك جلوس هؤلاء للسمع وما يفعلونه فيه فان نفسك تنزه
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم عن ذلك المجلس وعن حضوره
انتهى . ولقد أنصف فيما وصف وهذا هو الحق الذي يجب اعتقاده في حق السلف
الماضين رضی الله عنهم أجمعين . وقد قيل عن الجنيد رضی الله عنه أنه قال ان
السمع لا يرجع مباحا الا بعشرة شروط وهو أن يكون في مكان لا يطلع عليهم
غيرهم لأنه لا يطلع عليهم الا ذو محرم أعني أن يكون منهم وامكان واخوان
قال الشيخ أبو طالب المسكي رحمه الله وأن يكون القوال هو الذي يمدم
قال الشيخ الامام الجنيد رحمه الله وأن يكون بغير أجرة وأن لا يكون بين أحد
من يحضره شأن وأن لا يحضره أحد من أبناء الدنيا وأن لا يحضره شاب
الى غير ذلك من الاوصاف الجميلة وحيث كان مباحا بهذه الشروط فان اتفق اجتماعها
كان السماع المعروف عند العرب وهو انشاد الشعر برفع الصوت كما تقدم
ولأجل هذا المعنى ذكر الشيخ ابوطالب المسكي رحمه الله في كتابه عن بعض
السلف رضی الله عنهم انهم كانوا يدخلون الى خلواتهم فنحجز منهم عن تمام
المدة التي دخل عليها خرج فحضر السماع ثم رجع الى خلوته نشطا لأن القوال
كان يمدم في بواطنهم ثم مع ذلك ينشد لهم من درر الشعر ما يناسب حالهم

وتقوى به قلوبهم على السير الى المقامات العلية والنهوض اليها وترك التراخي والتسوية الشاغلة عنها. ومثل ذلك كانوا يفعلون اذا عجز أحدهم عن تمام المدة التي دخل عليها الى الخلوة خرج الى مجالس عالم فحضره ثم يرجع الى خلوته قويا لأن حضور مجالس العلماء العاملين بعلمهم يحيي القلوب الميتة كما يحيي المطر الوايل النبات بل النظر اليهم تقتات به النفوس الآلية وينشرح صدرها ويحدث لها عند تلك الرؤية انزعاج وقوة باعثة على ما تؤمله من الخير كيف لا وهم أمناء الله في أرضه وخلفاؤه في خلقه وقد جعلهم الله عز وجل رحمة وكهفا لمن ياوى اليهم ويستظل بظلمهم نصيبهم هداة للمتحيرين ونورا للسالكين اللهم لا تحرمنا بركتهم ولا تخالف بنا عن سنتهم فأنت ولي ذلك والقادر عليه. فاذا تقرر هذا من حالهم وعلم فلاشك أن ما يفعل اليوم من هذا السماع الموجود بين الناس مخالف لجماعتهم اذ أنه احتوى على أشياء محرمة أو مكروهات أو هامة وقد تقدمت الحكاية عن العلماء في ذلك اذ أنهم جمعوا فيه بين الدف والشبابه والتصفيق. وقد تقرر في الشرع أن التصفيق إنما هو للنساء دون الرجال فهو ممنوع كما منعت الآلات المتقدم ذكرها. وبعضهم ينسب جواز ذلك للشافعي رحمه الله. وقد سئل الشيخ الامام أبو ابراهيم المزني رحمه الله وكان من كبار أصحاب الامام الشافعي رحمه الله فقيل له ما تقول في الرقص على الطار والشبابه فقال هذا لا يجوز في الدين فقالوا أما جوزه الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه فأنشد رحمه الله تعالى

حاشا الامام الشافعي النبيه أن يرتقى غير معاني نبيه
أو يترك السنة في نسكه أو يبتدع في الدين ما ليس فيه
أوبية دعه طارا وشبابه لناسك في دينه يقتديه
الضرب بالطارات في ليلة والرقص والتصفيق فعل السفية

هذا ابتداء وضلال في الورى وليس في التنزيل ما يقتضيه
 ولا حديث عن نبي الهدى ولا صحابي ولا تابعيه
 بل جاهل يلعب في دينه قد ضيع العمر بلهو وتيهه
 وراح في اللهو على رسله وليس يخشى الموت اذ يعتريه
 ان ولى الله لا يرتضى الا بما الله له يرتضيه
 وليس يرضى الله لهو الورى بل يمقت الله به فاعليه
 بل بصيام وقيام في الدجى وآخر الليل لمستغفريه
 اياك تغتر بأفعال من لا يعرف العلم ولا يتغنيه
 قد أكلوا الدنيا بدين لهم ولبسوا الأمر على جاهليه
 جهل وطيش فعلهم كله وكل من دان به تزدريه
 شبه نساء جمعوا مآتما فقمن في الندب على ميتيه
 والضرب في الصدر كما قدرى ليس لهم غير النساء من شديه
 انكر عليهم ان تكن قادرا فهم رجال ابليس لاشك فيه
 ولا تخف في الله من لائم وفقك الله لما يرتضيه

وقد تقدم أن من ثبتت عدالته لا ينسب اليه الا ما يليق بحاله وبطريقته من
 الخصال الحميدة فمن ذكر عنه غير ما يناسبه كذب فيما ادعاه وانكر عليه ألا ترى
 أن المزني رحمه الله لما أن باشر الشافعي رحمه الله أنكر على من نسب اليه
 جواز السماع بما تقدم ذكره

(فصل) وأشد من فعلهم السماع كون بعضهم يتعاطونه في المساجد
 وقد تقدم توقير السلف رضى الله عنهم للمساجد كيف لا يكون ذلك وقد كانوا
 يكرهون رفع الصوت فيه ذكراً كان أو غيره. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم
 عن رفع الصوت بالقراءة فيه. ومن ذلك ما ورد من انشاد الضالة في المسجد

لقوله عليه الصلاة والسلام (من نشد ضالة في المسجد فقولوا له لا ردها الله عليك) ومن ذلك ماورد (من سال في المسجد فاحرموه) وروى أبو داود والترمذى والنسائى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشراء والبيع في المسجد وأن تنشد فيه ضالة وأن ينشد فيه شعر ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة . و بعض هؤلاء يفعلون السماع على ما هو عليه اليوم في المساجد ويرقصون فيها وعلى حصر الوقف التي فيها وكذلك يفعلون في الربط والمدارس . وقد ذكر أن بعض الناس عمل فتوى وكان ذلك في سنة احدى وستين وستمائة ومشى بها على الأربع مذاهب . ولفظها ماتقول السادة الفقهاء أئمة الدين وعلما المسلمين وفقهم الله لطاعته وأعانهم على مرضاته في جماعة من المسلمين وردوا الى بلد فقصدوا الى المسجد وشرعوا يصفقون ويغنون ويرقصون تارة بالكف وتارة بالدفوف والشبابة فهل يجوز ذلك في المساجد شرعا افتونا مأجورين يرحمكم الله تعالى فقالت الشافعية السماع هو مكروه يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله أعلم وقال المالكية يجب على ولاة الأمور زجرهم وردعهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا والله أعلم . وقالت الحنابلة فاعل ذلك لا يصلى خلفه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه وان كان حاكما وان عقد النكاح على يده فهو فاسد والله أعلم . وقالت الحنفية الحصر التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل والأرض التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى يحفر تراها ويرى والله أعلم . وقد قال الشيخ الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره حين تكلم على قصة السامري في سورة طه سئل الامام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله مايقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية حرس الله مدته أنه اجتمع جماعة من الرجال يكثرون من ذكر الله وذكروا محمد صلى الله عليه وسلم ثم أنهم وقعوا أشعارا مع الطقطقة بالقضيب

على شيء من الأديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يخز مغشيا عليه
ويحضرون شيئاً يأكلونه هل الحضور معهم جائز أم لا أفتونا يرحمكم الله وهذا
القول الذي يذكر ونه

ياشيخ كف عن الذنوب قبل التفرق والزلل
واعمل لنفسك صالحا مادام ينفعك العمل
أما الشباب فقد مضى ومشيب رأسك قد نزل

فأجاب بقوله يرحمكم الله مذهب هؤلاء بطالة وجهالة وضلالة وما الإسلام
الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وأما الرقص والتواجد
فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار
قاموا يرقصون حوالية ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل . وأما
القضيبي فأول من أحدثه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وإنما
كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كما سما على رؤوسهم الطير من الوقار
فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لأحد
يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم . هذا مذهب مالك
وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق
وقال الشيخ الامام أبو بكر الطرطوشي أيضا رحمه الله في كتابه المسمى
بكتاب النهي عن الأغاني وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية اذا
واقعها ثم يستغفر الله ويتوب اليه منها ثم كثرا الجهل وقل العلم وتناقص الامر حتى
صار أحدهم يأتي المعصية جهارا ثم ازداد الأمر ادبارا حتى بلغنا أن طائفة من
اخواننا المسلمين وفقنا الله واياهم استزلهم الشيطان واستهوى عقولهم في حب
الأغاني واللهو وسماع الطقطقة واعتقدته من الدين الذي يقر بهم من الله تعالى
وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت به سبيل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء

وحملة الدين ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ وقد سئل مالك رحمه الله عما رخص فيه أهل المدينة من الغناء . فقال إنما يفعله عندنا الفساق ونهى عن الغناء واستماعه . وأما أبو حنيفة رحمه الله فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب وكل ذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وإبراهيم والشعبي لا اختلاف بينهم في ذلك ولا نعلم أيضا بين أهل البصرة خلافا في كراهية ذلك والمنع منه . وأما الشافعي رضي الله عنه فقال في كتاب أدب القضاء ان الغناء لهم مكروه ويشبه الباطل والمحال أما سماعه من المرأة التي ليست بمحرم له فان أصحاب الشافعي يجمعون على أنه لا يجوز بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة قال الشافعي وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفية ترد شهادته وغلظ القول فيه وقال هو ديانة فمن فعل ذلك كان ديوتا وكان الشافعي يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن القرآن . وأما العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومستمعه فاسق وقال صلى الله عليه وسلم (من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية) وهذه الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لأنهم جعلوا الغناء دينا وطاعة ورأت اعلانه في المساجد والجوامع وقد كان أولى الناس بالاحتياط لدينهم هذه الطائفة فانهم متلبسون بالدين ومدعون الورع والزهد حتى توافق بواطنهم ظواهرهم وقد قال الله تعالى ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾ الآية قال الحسن ومجاهد والنخعي هو الغناء . وقال ابن مسعود لهو الحديث الغناء والاستماع اليه . وقوله تعالى ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ قال مجاهد بالغناء والمزامير ﴿وأجلب عليهم بخیلك ورجلك﴾ قال أكثر المفسرين كل راكب وماش في معصية الله فهو من خيل ابليس ورجله ﴿وشاركهم في

الأموال والأولاد) قال قوم كل مال أصيب من حرام وأنفق في حرام . قال
الطوطوشى رحمه الله ويجوز أن يقال مشاركته لنا في الأموال والأولاد ما يزينه
لنا من الإيمان ثم يزين لنا الحنث فيها فنطأ الفروج بعد الحنث ونكتسب
الأموال بالإيمان الكاذبة . وقال تعالى ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون
ولا تبكون وأتم سامدون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما سامدون هو الغناء
بلغه حمير . وقال مجاهد هو الغناء لقول أهل اليمن سمد فلان اذا غنى . وروى
أبو اسحاق ابن شعبان فى كتابه الزاهى باسناده أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال (لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن) زاد الترمذى ولا
تعلموهن وأكل أثمانهن حرام وفيهن نزلت ﴿ ومن الناس من يشتري لهو
الحديث ﴾ زاد غيره (والذى بعثنى بالحق مارفع رجل عقيرته أى صوته بالغناء
الابعث الله عز وجل عند ذلك شيطانين يرتدقان على منكبيه لا يزالان يضربان
بأرجلهما على صدره وأشار النبي صلى الله عليه وسلم الى صدره حتى يكون هو
الذى يسكت) وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم (كان ابليس أول من ناح وأول من غنى) وروى أبو هريرة رضى الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يمسخ قوم من أمتى آخر الزمان قردة
وخنازير قالوا يارسول الله مسلمون هم قال نعم يشهدون أن لا اله الا الله وأنى
رسول الله ويصلون ويصومون قالوا يارسول الله فما بالهم قال اتخذوا المعازف
والقيينات والدفوف وشربوا هذه الأشربة فباتوا على شراهم فأصبحوا وقد
مسخوا) وروى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء إذا كان المغنم دولا
والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وجفا أباه و برصديقه
وارتفعت الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أزدلهم وأكرم الرجل مخافة

شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فلير تقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا) وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من أشراط الساعة أو القيامة اضاءة الصلوات واتباع الشهوات وتكون أمراء خونة ووزراء فسقة فقال سلمان رضى الله عنه بأبي وأمي يارسول الله ان هذا كائن قال نعم ياسلمان عندها يكذب الصادق و يصدق الكاذب ويؤتمن الخائن ويخون المؤمن ياسلمان عند ذلك يكون الكذب ظرفا والزكاة مغرما ان أذل الناس يومئذ المؤمن يمشى بين أظهرهم بالخفاقة يذوب قلبه في جوفه كما يذوب الملح في الماء هما ولا يستطيع أن يغير عندها ياسلمان يكون المطر قيظا والولد غيظا والفيء مغرما والمال دولا ياسلمان عند ذلك يكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وتركب ذوات الفروج السروج فعليهم من أمتي لعنة الله ياسلمان عند ذلك يحفو الرجل والديه و يبرصديقه ويحتقر السيئة قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عند ذلك تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع وتطول المنابر وتكثر الصفوف والقلوب متباغضة والألسن مختلفة دين أحدهم لعنة على لسانه ان أعطى شكر وان منع كفر قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية البكر ويخطب كما تخطب النساء قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عند ذلك تحلى ذكور أمتي بالذهب والفضة عند ذلك يأتي من المشرق والمغرب قوم يلون أمتي فويل لضعيفهم من قويمهم وويل لهم من الله تعالى ياسلمان عند ذلك تحلى المصاحف بالذهب والفضة ويتخذون القرآن مزامير بأصواتهم وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم ياسلمان عند ذلك يكثر الربا ويظهر الزنا ويتهاون الناس بالدماء ولا يقيم يومئذ بنصر الله ياسلمان تكثر القينات وتشارك المرأة زوجها في

التجارة عند ذلك يرفع الحجج فلا حجج تحجج أمراء الناس تنزهها وهوأ وأواسطهم
 للتجارة وقرأوهم للرياء والسمعة وقرأوهم للمسألة (١) وروى عن علي بن أبي طالب
 كرم الله وجهه أنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (كسب المغني والمغنية حرام
 وكسب الزانية سحت وحق على الله أن لا يدخل الجنة لحماً نبت من سحت) قال
 عطاء بن أبي رباح رحمه الله رأيت جابر بن عبد الله رضى الله عنه وجابر بن
 عمير يرتميان فمل أحدهما لجلس فقال الآخر أجلست سمعت النبي صلى الله
 عليه وسلم يقول (كل شيء ليس من ذكر الله تعالى فهو لهو وسهو الأربع خصال
 مشى الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته زوجته وتعليمه السباحة)
 قال قتادة رحمه الله لما أهبط ابليس لعنه الله قال يارب لعنتني فما علي
 قال السحر قال فما قرأت قال الشعر قال فما كتابتي قال الوشم قال فما طعامي
 قال كل ميتة ومالم يذكر اسم الله عليه قال فما شرابي قال كل مسكر قال فأين
 مسكني قال الأسواق قال فما صوتي قال المزامير قال فما مصائدني قال النساء
 وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
 نهى عن ضرب الدف ولعب الطبل وصوت المزمار. وروى عن عمرو بن
 شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كبر مقتا عند الله
 الأكل من غير جوع والنوم من غير سهر والضحك من غير عجب والرنة عند
 المهيبة والمزمار) وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا شرب
 العبد الماء على شبه المسكر كان ذلك الماء عليه حراماً ولعن الله بيتأفيه دف
 أو طنبور أو عود وأخشى عليهم العقوبة ساعة بعد ساعة) وروى أن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال (لست من دد ولا ددمني) قال مالك رحمه الله الدد اللعب

(١) لا يخفى ما في هذه الأحاديث من الإخبار بالمغيبات فقد حدث جل ما فيها
 أن لم يكن كله فنسأل الله السلامة من هذه الفتن بمنه وكرمه

واللهو . وقال الخليل بن أحمد في كتاب العين الدد النقر بالأنامل في الأرض فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم تبرأ مما ينقر في الأرض بالأنامل فما بالك بقطعة القضيبي . قال الحسن رحمه الله ليس الدف من سنة المسلمين . وروى عبد الله ابن عمر قال سألت أنسان القاسم بن محمد عن الغناء قال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو قال انظر يا ابن أخي اذا ميز الله بين الحق والباطل من أيهما يحصل الغناء . وقال الشعبي رحمه الله لعن الله المغني والمغني له وقال الحكم بن عيينة رحمه الله حب السماع يورث النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع . وقال الفضيل ابن عياض الغناء رقية الزنا . وقال الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب . وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاحى التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن فانه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن صوت المعازف واستماع الاغانى واللهو بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء . وقال يزيد بن الوليد ابني أمية اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر فان كنتم لابد فاعلمين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا . وقال ابن الكاتب اياك والغناء . وقال المحاسبي في رسالة الارشاد الغناء حرام كالميتة وقال أبو حصين رحمه الله اختصم الى شريح في رجل كسر طنبورا فلم يقض فيه بشيء

﴿ فصل ﴾ وأما من جهة الاستنباط فهو جاسوس القلب وسارق المروءة والعقول يتغلغل في مكامن القلوب ويطلع على سرائر الأفتدة ويدب الى بيت التخيل فيشير كل ما غرس فيها من الهوى والشهوة والسخاطة والرعوننة بينما ترى الرجل وعليه سميت الوقار وبهاء العقل وبهجة الايمان ووقار العلم كلامه حكمة وسكوته عبرة فاذا سمع اللهو نقص عقله وحيأؤه وذهبت مروءته

وبهاؤه فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبجه ويبدى من أسراره ما كان يكتمه وينتقل من بهاء السكوت الى كثرة الكلام والكذب والازدهاء والفرقة بالأصابع ويميل رأسه ويهز منكبيه ويدق الارض برجليه وهكذا تفعل الخمرة اذا مالت بشاربها . وقد روى أن أعراية دخلت الحاضرة فسقيت نبيذا فلما خامرها وصحت قالت أو يشرب هذا نساؤكم قالوا نعم قالت لئن صدقتم فما يعرف أحدكم من أبوه . وقال محمد بن المنكدر رحمه الله اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزمار الشيطان أسكنوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة أسمعوهم حمدي وثنأى وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وقال بعض الزهاد الغناء يورث العناد في قوم ويورث التكذيب في قوم ويورث الفساد في قوم . واحتج بعضهم على اباحة الغناء بما روى عن عائشه رضی الله عنها أنها قالت (دخل على أبو بكر رضی الله عنه وعندي جاريتان من جواری الأنصار تغنيان بما تفاءلت به الأنصار يوم بعث فقال أبو بكر رضی الله عنه أمزمار الشيطان في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا) والجواب عنه أن تعرف أولا حقيقة الغناء وذلك أن للفظ الغناء معنيين لغوى وعرفي فيحمل الحديث على اللغوى فقوله تغنيان أى ترفعان أصواتهما بانشاد الشعر ونحن لاندم انشاد الشعر ولا نخرمه وانما يصير الشعر غناء مذموما اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهى الشهوة الطبيعية وليس كل من رفع صوته بالغناء لحن وألذ وأطرب فالممنوع والمكروه انما هو اللذيد المطرب ولم يعقل من هذا الحديث أن صوتهما كان لذيذا مطربا وهذا هو سر المسألة فافهمه . وقد روى البخارى هذا الحديث عن عائشه رضی الله عنها قالت فى آخره وليستا بمغنيتين فنفت الغناء عنهما والدليل على هذا

أنه ما نقل عنها بعد بلوغها الا ذم الغناء والمعازف على ما بينا . وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد وهو أحد فقهاء المدينة السبعة يذم الغناء وقد أخذ العلم عنها وتأدب بها . فان قيل أنيس قد أنشد الشعر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فالجواب أنا لانكر انشاد الشعر وانما نكر اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهذا لا يمكن نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم . فان قيل أليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم (ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكا وان من القول عيالا) فالجواب أن صعصعة بن صوحان وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذا الحديث فقال قوله ان من البيان سحرا هو الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بحجته من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فذهب بالحق وأما قوله وان من الشعر حكا فهى هذه المواعظ والأمثال التي يتعظ بها الناس وأما قوله وان من العلم جهلا فيتكلم العالم علم ما لا يعلم فيجهل ذلك وأما قوله وان من القول عيالا فعرضك حديثك على من ليس من شأنه ولا يريد

(فصل) وقد قال بعضهم نحن لانسمع الغناء بالطبع الذي يشترك فيه الخاص والعام وانما نسمع بحق فنسمع بالله وفي الله ولا نتصف بهذه الأحوال التي هي ممزوجة بحظوظ البشرية . قلنا ان زعمت أنك فارقت طبع البشرية وصرت مطبوعا على العقل والبصيرة بمنزلة الملائكة فقد كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيبك وما وصفك به من حب الشهوات . وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من فارق الفه وادعى العصمة فاجلدوه فانه مفتر كذاب وكان يجب أن لا تكون مجاهداً لنفسك ولا مخالفاً لهواك ولا يكون لك ثواب على ترك اللذات والشهوات . وكان يجب أن تكون أنت وأصحابك تسبحون الليل والنهار لا تفترون وتستغفرون لمن في الأرض . وكان يجب أن تبيع سماع العود

والظنهور وسائر الملاحى بهذا الطبع الذى لا يشاركك فيه أحد من الناس
﴿ فصل ﴾ فان قيل أليس قد روى عن جماعة من الصالحين أنهم سمعوه
قلنا ما بلغنا أن أحدا من السلف الصالح سمعه ولا فعله وهذه مصنفات أئمة
الدين وعلما المسلمين مثل مصنف مالك بن أنس وصحيح البخارى ومسلم
وسنن أبى داود وكتاب النسائى رضى الله عنهم الى غيرها خالية من دعواكم وهذه
تصانيف فقهاء المسلمين الذى تدور عليهم الفتوى قديما وحديثا فى شرق
البلاد وغربها فقد صنف المسلمون على مذهب مالك بن أنس تصانيف لا تحصى
وكذلك مصنفات علماء المسلمين على مذهب أبى حنيفة والشافعى وأحمد بن
حنبل وغيرهم من فقهاء المسلمين وكلها مشحونة بالذنب عن الغناء وتفسيق أهله
فان كان فعله أحد من المتأخرين فقد أخطأ ولا يلزمنا الاقتداء بقوله وترك
الاقتداء بالأئمة الراشدين . ومن ههنا زل من لا بصيرة له . نحتج عليهم بالصحابة
والتابعين وعلماء المسلمين ويحتجون علينا بالتأخرين سيما وكل من
يرى هذا رأى الفاسد عار من الفقه عاقل من العلم لا يعرف مأخذ
الأحكام ولا يفصل الحلال من الحرام ولا يدرس العلم ولا يصحب أهله ولا يقرأ
مصنفاته ودواوينه . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا
يفقهه فى الدين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (ما استزدل الله عبدا الا حذر
عليه العلم) فمن هجر أهل الفقه والحكمة وانقضى عمره فى مخالطة أهل اللهو
والبطالة كيف يؤمن على هذه المسئلة وغيرها ﴿ وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا
الله ﴾ فيامن رضى لدينه ودنياه وتوثق لآخرفته ومشواه باختيار مالك بن أنس
وقتواه ان كنت على مذهبه و باختيار أبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل
ان كنت ترى رأيهم كيف هجرت اختيارهم فى هذه المسئلة وجعلت امامك فيها
شهوأتك وبلوغ أوطارك ولذاتك ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾

﴿فصل﴾ وقد روى عن بعض شيوخ الصوفية قال رأيت في المنام أن الحق أوقفني بين يديه وقال يا أحمد حملت وصنى على ليل وسعدى لولا أنى نظرت اليك في مقام واحد أردتني خالصا لعذبتك قال فأقامنى من وراء حجاب الخوف فأرعدت وفزعت ماشاء الله ثم أقامنى من وراء حجاب الرضا فقلت ياسيدى لم أجد من يحملنى غيرك فطرحت نفسى عليك فقال صدقت من أين تجرد من يملك غيرى وأمر بى الى الجنة . وقال الجنيد رحمه الله رأيت ابليس فى النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشىء أو تنال منهم نصيبا فقال انه ليعسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئا إلا فى وقتين وقت السماع وعند النظر فانى أنال منهم فتنة وأدخل عليهم به . وسئل أبو على الروذبارى عن السماع وكان من شيوخ الصوفية فقال ليتنا تخلصنا منه رأسا برأس . وقال أبو الجنيد اذا رأيت المرديد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة . وقال أبو الحارث الاولاسى وكان من الصوفية رأيت ابليس فى المنام وكان على بعض سطوح أو لاس وعن يمينه جماعة وعن يساره جماعة وعليهم ثياب نظيفة فقال لطائفة منهم قوموا وغنوا فقاموا وغنوا فاستفز عنى طيبه حتى هممت أن أطرح نفسى من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا بأطيب ما يكون ثم قال يا أبا الحارث ما أصيب شيئا أدخل به عليكم الا هذا . وقال الجريرى رأيت الجنيد رحمه الله فى النوم فقلت كيف حالك يا أبا القاسم فقال طاحت تلك الاشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا الا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات . فأين هذا يرحمك الله مما وصف الله به العلماء فقال ﴿ان الذين أتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾

﴿فصل﴾ وقد استدل عظيم من شيوخهم على اباحة الغناء فقال ان

الطفل يسكن الى الصوت الطيب والجميل يقاسى تعب السير ومشقة الحمول اذا سمع الحداء . قال وقد روى أن بعض ملوك العجم مات وخلف ابنا صغيرا فأرادوا أن يبايعوه فقالوا كيف نصل الى عقله وذكائه فانفقوا على أن يأتوا بقوال فان أحسن الاصغاء علموا كياسته فلما أسمعره القوال ضحك الرضيع فقبلوا الأرض بين يديه وبايعوه . فالجواب انظروا يا ذوى الألباب كيف قادهم ركوب الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة الى هذه السخافة وحسبك من منذهب امامهم فيه الأنعام والصبيان فى المهد . وهكذا يفضح الله تعالى من اتبع الباطل وحسبك من عقول لا تقتدى بأخبار المسلمين وعلماهم وتقتدى بالابل فأن كان كل ما طربت به البهائم مندوبا أو مباحا فانا نرى البهيمة تدور على أمها وأختها وتركب بنتها فيلزم الاقتداء بالبهيمة فى مثل هذا

﴿فصل﴾ فان سألوا عن معنى قراءة القرآن بالألحان . فالجواب أن مالكا قال ولا تعجبني القراءة بالألحان ولا أحبه فى رمضان ولا غيره لانه يشبه الغناء ويضحك بالقرآن فيقال فلان أقرأ من فلان . قال وبلغنى أن الجواى يعلن ذلك كما يعلن الغناء . أين هذا من القراءة التى كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها . قال ولا يعجبني الثبر والهمز يقول لا يرجع فى القرآن ولا يقطع بالألحان لان ذلك لا يتم الا بزيادة همزات فى القرآن والزيادة فى القرآن لا تجوز . وقيل لمالك هل يقرأ الرجل فى الطرقات قال لا الا الشىء اليسير وأما الذى يدعى ذلك فلا يجوز . قيل له فالرجل يخرج الى السوق أيقراً فى نفسه ماشيا فقال أكره أن يقرأ فى السوق . وسئل عن القراءة فى الحمام قال ليس موضع قراءة وان قرأ الانسان الآية فلا بأس بذلك . قيل له فالرجل يخرج الى قرئته فيقرأ ماشيا قال نعم . قال سحنون لا بأس أن يقرأ الراكب والمضطجع وسئل عن الرجل يختم القرآن فى ليلة قال ما أجد ذلك لمن أطاقه . قال مالك

ولم تكن القراءة في المصحف في المسجد من أمر الناس القديم وأول من أحدثه
 الحجاج . قال وأكره أن يقرأ في المصحف في المسجد . فان سألوا عن معنى
 قول النبي صلى الله عليه وسلم (ما أذن الله لشيء كأذنه لني يتغنى بالقرآن يجهر به)
 فالمعنى ما استمع الله لشيء كاستماعه لني يجهر بالقرآن لان أصل الغناء رفع
 الصوت على ما بيننا وبهذا فسرته في آخر الخبر فقال يجهر به . قال مجاهد في
 قوله تعالى ﴿ وأذنت لربها وحقت ﴾ أي سمعت . قال أبو عبيد وجماعة من العلماء
 لا يجوز تلحين القرآن وإنما معنى الحديث التحبير والتحزين . قال عيسى
 الغفاري ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أشرط الساعة فقال (بيع الحكم وقطيعة
 الرحم والاستخفاف بالذم وكثرة الشرط وأن يتخذ القرآن مزامير يقدمون
 أحدهم ليس بأفرضهم ولا بأفضلهم الا ليغنيهم غناء) فان سألوا عن معنى قوله
 صلى الله عليه وسلم (زينوا القرآن بأصواتكم) فان معناه التحزين . قال شعبة
 نهاني أيوب أن أتحدث بهذا الحديث مخافة أن يتأول على غير وجهه . وهذا
 الجواب عما رواه عبد الله بن مغفل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ
 سورة الفتح فقال لولا أن يجتمع الناس علينا لحكيت تلك القراءة وقد رجع . وان
 سألوا عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)
 قال سفيان بن عيينة معناه ليس منا من لم يستغن به يعني بالقرآن وهكذا فسرته
 أبو عبيد فقال معنى الحديث لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحدا (من أهل
 الأرض أغنى منه ولو ملك الدنيا كلها . وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
 القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم صغيراً أو صغر عظيماً)
 وقال ابن مسعود نعم كنز الصعلوك آل عمران يقوم بها من آخر الليل
 والدليل على أن التغنى بمعنى الاستغناء دون الصوت قول الأعشى
 وكنت امرأ زماً بالعراق عفيف المنام طويل التغنى

قال أبو عبيد يريد الاستغناء . والعرب تقول تغنيت تغنيا وتغائنت تغانيا
بمعنى استغنيت قال بعض العرب يعاتب أخاه

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن اذا متنا أشد تغانيا

وقال الكسائي مررت على عجوز من العرب قد اعتقلت شاة في بيتها فقلت لها
ما تريدن بهذه الشاة قالت تتغني بها يا هذا تريد نستغني . وقال بعض الصالحين
من تلذذ بالحان القرآن حرم فهم القرآن . وقال أبو هريرة أتتم أقرأ أسنة ونحن
أقرأ قلوبا . وقال ابن مسعود نحن قوم ثقلت علينا قراءة القرآن وخف علينا
العمل به وسيجيء قوم يخف عليهم قراءة القرآن ويثقل عليهم العمل به . وقال
كعب الاحبار ليقرأن رجال القرآن هم أحسن أصواتا من المعازف ومن حداة
الابل لا ينظر الله اليهم يوم القيامة . وقد أمعن وأجاد الشيخ الامام الحافظ
الجليل أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في هذا الموضوع وبينه أتم بيان
وأحسنه في كتاب التفسير له فن أرادته فليقف عليه هناك إذ أن هذا الكتاب
يضيق عما أتى به وما ذكر انما هو اشارة لأولى الألباب والله الموفق للصواب
(فصل) ثم قال الطرطوشي رحمه الله ومما اشتهرت به هذه الطائفة

اتباع الشهوات والتنافس في ألوان الأطعمة . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
(ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان
لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس) قال أبو جحيفة أكلت ثريدا
بلحم سمين فتجشيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اكفف عنا جشاءك
فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا . وروى أن فاطمة
رضي الله عنها جاءت بكسرة خبز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه
الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما
انه أول طعام دخل فم أيك منذ ثلاثة أيام . وقال يحيى بن معاذ لو أن الجوع

يباع في الأسواق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة أن يشتروا غيره . وقال الشافعي رحمه الله ما شبت منذ خمسة عشر عاما الا شبعة فطرحتها لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة . وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله لما خلق الله سبحانه وتعالى الدنيا جعل في الشبع القسوة والجهل وجعل في الجوع العلم والحكمة . وقال بشر بن الحارث رحمه الله الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق . وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الجوع للهيدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة . وسئل الجنيد رحمه الله عن صفة الصوفية فقال طعامهم طعام المرضى ونومهم نوم الغرقى . وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله نعوذ بالله من زاهد فدافسدت معدته ألوان الأغنياء . وقال رجل لبعض المشايخ رحمهم الله انى جائع فقال كذبت قال ومن أين علمت قال لأن الجوع فى خزائنه الوثيقة لا يطلع عليها من يفشى سره ولا يعطاه من لا يشكره . وروى أن بعض الفقراء اشتكى الى شيخه الجوع ثم ذهب فرأى درهما مطروحا مكتوبا عليه أما كان الله عالمًا بجوعك حتى قلت انى جائع . وقال فتح الموصلى رحمه الله أوصانى ثلاثون شيخا عند فراقى لهم بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل . ويروى عن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على ابن عون فى الحبس واذا عمال بنى أمية مقيدون فى الحديد فحضر غداؤهم فجعل الخدم ينقلون الألوان فقالوا هلم يا أبا يحيى فقال ما أحب أن آكل مثل هذا الطعام وأن يوضع فى رجلى مثل هذا الحديد . وقال أبو هريرة رضى الله عنه خرج النبي صلى الله عليه وسلم فلقبه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ما أخرجكما فقالا الجوع فقال وأنا الذى بعثنى بالحق ما أخرجنى الا الذى أخرجكما قوموا فأتوا بيتنا من الأنصار واذا الرجل غائب فقالت امرأته مرحبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت خرج يستعذب لنا من الماء واذا بالرجل وعليه

قربة ماء فلما نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أجد من الناس اليوم أكرم
أضيافا مني فأتاهم بعدق من رطب وبسر وتمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألا اجتنيتيه فقال يارسول الله تخيرا على أعينكم ثم أخذ المدينة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فأكلوا وشربوا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لتسألن عن نعيم هذا اليوم وفي لفظ عن هذا النعيم
﴿فصل﴾ ويقال أن هذه الطائفة تضيف الى ما هي فيه من الباطل
استحضار المرد في مجالسهم والنظر في وجوههم وربما زينوهم بالحلي والمصبغات
من الثياب وتزعم أنها تقصد بذلك الاستدلال بالصنعة على الصانع . قال الأستاذ
القشيري رحمه الله وهو من رؤساء طائفتهم قولا عظيما في الرد عليهم وكشف
فضائحهم . من ابتلاه الله بشيء من ذلك فهو عبد أهانه الله وخذله وكشف
عورته وأبدى سواته في العاجل وله عند الله سوء المنقلب في الآجل . وروى
أبو داود في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من خبب زوجة امرئ
أو مملوكه فليس منا) خبب أي أفسد وخذع وأصله من الخب وهو الخدع ويقال
فلان خب هب اذا كان فاسدا مفسدا . قال الواسطي رحمه الله وهو من كبار
الصفوية اذا أراد الله هو ان عبد ألقاه الى هؤلاء الأتاتان الجيف أو لم تسمعوا
الى قول الله تعالى ﴿قل للؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك
أزكى لهم﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه (لا تتبع النظرة
النظرة فانما لك الأولى وليست لك الآخرة) وقال بقية ابن الوليد رحمه الله
قال بعض التابعين رضي الله عنه كانوا يكرهون أن يحدق الرجل النظر الى الغلام
الأمرد الجميل الوجه . قال ابن عباس رضي الله عنهما للشيطان من الرجل ثلاثة
منازل في نظره وقلبه وذكره . وقال عطاء رحمه الله كل نظرة يهواها القلب
لاخير فيها . وقال سفيان الثوري رحمه الله لو أن رجلا عبث بغلام بين أصابع

رجليه يريد الشهوة لكان لواطاً. وقال الحسن بن ذكوان رحمه الله لا تجالسوا أبناء الأغنياء فان لهم صوراً كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى. وقال بعض التابعين ما أخاف على الشاب الناسك في عبادته من سبع ضار كحوفي عليه من الغلام الامرد يقعد اليه. وقال بعض التابعين رضى الله عنهم اللوطية على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العدل وروى أن أحمد بن حنبل رحمه الله جاء اليه رجل ومعه ابن له حسن الوجه فقال لا تجتنى به مرة أخرى فقليل له انه ابنه وهما مستوران فقال علمت ولكن على رأى أشياخنا. وكان محمد بن الحسن صاحب يحيى بن معين لم يرفع رأسه الى السماء أربعين سنة فجاءه غلام حدث ليجلس اليه فأجلسه من خلفه . فأما اتيان الذكور فهي الفاحشة العظمى وهو محرم مغلظ التحريم. قال الله تعالى ﴿أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ قال مالك ويرجم الفاعل والمفعول به أحصنا أولم يحصنا وبه قال ربيعة وأحمد ابن حنبل واسحاق. وقال الحسن البصرى وعطاء والنخعي وقتادة والأوزاعي وأبو يوسف ومحمد هو كالزنان كان بكرا يحدوان كان ثيبا يرحم ولا فرق بين أن يفعله مع غلام أو امرأة أجنبية والحجة لمالك أن النبي صلى الله عليه وسلم (قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) وأيضا فان الله تعالى رجمهم بالحجارة قال تعالى ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل﴾ الآية وروى أن أبا بكر استشار الصحابة رضوان الله عليهم في رجل كان ينكح كما تنكح المرأة فقال على بن أبي طالب رضى الله عنه أرى أن يحرق فكتب أبو بكر رضى الله عنه الى خالد بن الوليد رضى الله عنه فأحرقه بالنار. وروى عنه أيضا أنه قال يرحم اللوطى . وقال ابن عباس رضى الله عنهما يرمى من شاهق جبل أعلى مافى البلد منكساثم يتبع بالحجارة . و يروى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه

أنه قال يهدم عليه البيت . وقال عثمان رضى الله عنه يقتل . وروى أن قوم لوط كانت فيهم عشر خصال أهلهم الله تعالى بها كانوا يتغوطون في الطرقات وتحت الأشجار المثمرة وفي الأنهار الجارية وفي شطوط الأنهار وكانوا يحذفون الناس بالحصباء فيعورونهم وإذا اجتمعوا في المجالس أظهروا المنكر وأخراج الريح منهم واللطم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى وهي اللواط . قال الله تعالى ﴿ أنتم لتأتون الرجال وتقطعون السبل وتأتون في ناديكم المنكر ﴾ والنادى المجالس والمحافل . ومن ارتقى في هذا الباب عن حالة الفسوق وأشار إلى أن ذلك من باب بلاء الزواج وأنه لا يضر فهذه وساوس الشيطان وادعاء العصمة وهو الكفر ونظير الشرك فاحذر مجالستهم فإن اليسير منه فتح باب الخذلان وادخال الهجران بينك وبين الحق ثم يقال وهبك أيها المغرور قد بلغت رتبة الشهداء أليس قد شغلت ذلك القلب بمخلوق . وفي الحديث (يقول الله تعالى حرام على قلب سكنه حب غيري أن أسكنه حبي) وأما قولهم انهم يستدلون بالصنعة على الصانع فنهاية في سعاية الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم . قال الله تعالى ﴿ أفرايت من اتخذ الهه هواه ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما الهوى شر اله يعبد من دون الله . قال الله تعالى في باب الاعتبار ﴿ أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ . وقال تعالى ﴿ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن ﴾ وقال جل وعلا ﴿ ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ الآية . وقال تعالى ﴿ وكأين من آية في السموات والأرض يمررون عليها وهم معرضون ﴾ فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار إلى ما نهاهم عنه

بقوله ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ الآية
 ﴿فصل﴾ وأما الدف والرقص بالرجل وكشف الرأس وتخريق الثياب
 فلا يخفى على ذي لب انه لعب وسخف ونبذ للهروءة والوقار ولما كان عليه
 الأنبياء والصالحون . روى أهل التفسير عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال
 كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع
 فيه الأصوات ولا تؤبن (١) فيه الحرم يتواصون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون
 فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب . قال
 وكان النبي صلى الله عليه وسلم لين الجانب سهل الخلق دائم البشر ليس بفظ
 ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتعافل عما
 لا يشتهى قد ترك نفسه من ثلاث المراء والاكثر وما لا يعنيه وترك الناس من
 ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجائوا به
 واذا تكلم أطرق جلساؤه كما تما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا لا يتنازعون
 عنده الحديث ومن تكلم انصتوا له حتى يفرغ يعنى يسكتون ويغضون أبصارهم
 والطير لا يسقط الا على ساكن انتهى كلامه . ولولم يكن في السماع والرقص شئ يذم
 الا أنه أول من أحدثه بنو اسرائيل حين اتخذوا العجل الها من دون الله تعالى
 فجعلوا يغنون بين يديه ويصفقون ويرقصون فبقى حالهم كذلك الى أن جاءهم
 موسى عليه الصلاة والسلام ووقع من قصتهم ما قد ذكره الله تعالى في كتابه
 فهم أصل لما ذكر وما كان هذا أصله فينبغي بل يتعين على كل عاقل أن يهرب
 منه ويولى الظهر عنه ان كان عاجزا عن تغييره وأما ان كان له قدرة على ذلك
 فيتعين عليه والله الموفق . وقد قال عليه الصلاة والسلام (حبب الى من دنياكم
 ثلاث النساء والطيب وجعلت قره عيني في الصلاة) قال الامام الطرطوشي رحمه

(١) لا تؤبن فيه الحرم أى لا تذكر بما لا ينبغي

الله هؤلاء زعموا أن قرّة أعينهم في الغناء واللّهو والنظر في وجوه المرء
 ﴿فصل﴾ وقال رحمه الله وأما تمزيق الثياب فهو يجمع الى ما فيه من
 السخافة افساد المال. روى أن النبي صلى الله عليه وسلم (نهى عن قيل وقال
 واضاعه المال وكثرة السؤال). وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه (مر النبي
 صلى الله عليه وسلم بشاة ميتة أعطيتها مولاة ليمونة من الصدقة فقال هلا انتفعتم
 باهابها فقالوا أنها ميتة قال انما حرم أكلها). قال العلماء ويحجر على السفهاء
 وهم المبذرون لأموالهم وما في السفه أعظم من تمزيق الثياب. وقال أنس رأيت
 عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة
 رقعة واحدة منها من أديم أحمر. وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انقطع
 شسع نعله فقال ان الله وانا اليه راجعون. ومن أمثالهم من أصلح ماله فقد صان
 الأكرمين دينه وعرضه وتمزيق الثياب داخل في قوله تعالى لا بليس ﴿وشاركهم
 في الأموال والأولاد﴾ واذا كان الكسب خبيثا كان ماله الى مثله انتهى كلام
 الطرطوشى رحمه الله

﴿فصل﴾ وقال الشيخ أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره في
 قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ سئل عبد الله بن مسعود عن
 قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث فقال الغناء والله الذى لا اله الا هو
 يرددها ثلاث مرات وعن ابن عمر هو الغناء. وكذلك قال عكرمة وميمون بن
 مهران ومكحول. وروى شعبة وسفيان عن الحكم وحماد عن ابراهيم قال قال
 عبد الله بن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب. وقال مجاهد وزاد أن لهو الحديث
 المعازف والغناء. وقال القاسم بن محمد الغناء باطل والباطل في النار. وقال ابن
 القاسم سألت عنه مالكا فقال قال الله تعالى ﴿فماذا بعد الحق الا الضلال﴾ أفحق
 هو. وروى الترمذى وغيره من حديث أنس وغيره عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال صوتان ملعونان فاجران انهم عنهما صوت مزمار ورنه شيطان عند نعمة وفرح ورنه عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب . وروى جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بعثت بكسر المزاهر) خرج أبو طالب الغيلاني . وخرج ابن بشران عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (بعثت بهدم المزاهر والطبل) . وروى ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من جلس الى قينة يسمع منها صب في أذنيه الآنك (١) يوم القيامة) . وقد روى مرفوعا من حديث أبي موسى الأشعري أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من استمع الى صوت غناء لم يؤذنه أن يسمع الروحانيين فليل وما الروحانيون يا رسول الله قال قراء أهل الجنة) خرج الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول . ومن رواية مكحول عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه) . ولهذا الآثار وغيرها قال العلماء بتحريم الغناء وهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به الذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع اذا كان في شعر يشب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمر والمحرمات لا يختلف في تحريمه لأنه اللهو والغناء المذموم باتفاق فأما من سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح كالعرس والعيد وعند النشاط على الأعمال الشاقة كما كان في حفر الخندق . فأما ما ابتدعه الصوفية اليوم من الإدمان على سماع الاغاني بالآلات المطربة من الشبابة والطار والمعازف والاوزار فحرام . قال ابن العربي فأما طبل الحرب فلا حرج فيه لأنه يقيم النفوس ويهرب العدو . وذكر أبو الطيب طاهر

(١) الآنك بالمد وضم النون خالص الرصاص

ابن عبد الله الطبري قال أما مالك ابن أنس فإنه نهى الغناء وعن استماعه وقال إذا اشترى جارية ووجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة . قال النحاس وهو ممنوع بالكتاب والسنة . قال الطبري وقد أجمع علماء الأمصار على كراهة الغناء والمنع منه . قال أبو الفرج بن الجوزي وقد قال القفال من أصحابنا لا تقبل شهادة المغنى والرقاص . قال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله واذ قد ثبت أن هذا الأمر لا يجوز فأخذ الاجرة عليه لا يجوز . وقد ادعى أبو عمر بن عبد البر الاجماع على تحريم الاجرة على ذلك . وذكر القرطبي أيضا في سورة سبحان في قوله تعالى ﴿ ولا تمش في الأرض مرحا ﴾ قال استدل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتعاطيه . قال الامام أبو الوفاء بن عقيل قد نص القرآن على النهي عن الرقص فقال ﴿ ولا تمش في الأرض مرحا ﴾ وذم المختال والراقص أشد والمرح الفرغ أولسنا قسنا النبيذ على الخمر لا تفاقهما في الطرب والسكر فما بالناس لا تقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والطلل لاجتماعهما فما أقبح ذلحية سيما إذا كان ذا شية يرقص ويصفق على توقيع الألحان والقضبان خصوصا إذا كانت أصوات نسوان وولدان وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم مآله الى احدى الدارين يشمس بالرقص شموس البهائم ويصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ في عمري ما بان لهم سن من التبسم فضلا عن الضحك مع ادمان مخالطتي لهم . وقال أبو الفرج بن الجوزي ولقد حدثني بعض المشايخ عن الغزالي أنه قال حماقة لا تزول الا باللعب . وذكر القرطبي أيضا في قوله تعالى ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك ﴾ قال في الآية ما يدل على تحريم المزامير والغناء والله ليقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك على قول مجاهد وما كان من صوت الشيطان أو فعله وما يستحسنه فواجب التنزه عنه ﴿ فصل ﴾ وقد حكى عن امام هذه الطريقة وهو الشيخ الجنيد رحمه الله

أنه سئل لحضور السماع فأبى ثم سئل فأبى ف قيل له ألسنت كنت تحضره قال مع من
ومن وقد حكى عن غيره من الأكا بر أنه سئل لحضور السماع فأبى ف قيل له أنتنكر
السمع قال ومثلي ينكره وقد فعله من هو خير مني ومنكم عبد الله بن جعفر الطيار
وانما أنكرا ما أحدث فيه. وهذا كما قد سبق من أن الغناء هو رفع الصوت بالشعر
فحضره هذا السيد لما أن كان كذلك فلما أن حدث فيه ما حدث تركه. وهذا أيضا
موافق لكلام الجنيد في قوله مع من ومن لما تقدم عنه رحمه الله ان القوال هو
شيخ الجماعة الذي منه يستمدون وبه يقتدون ولا شك أن هذه الصفة بعيدة
من سماع هذا الزمان لما احتوى عليه مما لا ينبغي كما هو مشاهد مرئى وقد
وقعت الاشارة لبعضه. وهذا مع ما فيه مما تقدم ذكره قل أن يسلم من حضور
النساء في المواضع المشرفة عليه من سطح أو غيره وسماعهن الأشعار المهيجة للفتنة
والشهوات والمملذذات فان ذلك يحرك عليهن ساكنا لما تقدم من أن الغناء
رقية الرنا وهن ناقصات عقل ودين سيما اذا انضاف الى ذلك أن يكون لهن طريق
الى التوصل الى الرجال أو الرجال اليهن فأعظم فتنة وبلية سيما اذا انضاف اليه أن
يكون المغنى شابا حسن الصورة والصوت ويسلك مسلك المغنيات في تكسيرهم
وسوء تقلباتهم في تلك الحركات المذمومة مع ما هو عليه من الزينة بلباس الحرير
والرفيع من غيره وبعضهم يبالغ في أسباب الفتنة في تقلد بالعنبر بين ثيابه لتشم
رائحته منه ويجعل على رأسه فوطة من حرير لها حواش عريضة ملونة يصففها
على جبهته ولهم في استجلاب الفتن بمثل هذا أمور يطول ذكرها. ثم العجب
من هذا المسكين الذي عمل السماع لهم وجمعهم له كيف يطيب خاطره أو يسكن
باطنه برؤية أهله لما ذكر ان ذلك كله فتنة عظيمة قل من يسلم عند
سماعها أو رؤيتها فانا لله وانا اليه راجعون أين غيرة الاسلام أين نجدة الرجال
السادة الكرام أين الهمم العالية العفيفة عن الحرام أين اتباع السلف الاعلام

فتحصل مما تقدم ذكره أن كل من حضر السماع من الرجال والشبان ومن
اطلع عليه من النساء أو سمعهم افتتن وقل أن يرضى بما عنده من الحلال غالبا
فتشوف نفوسهم الى ارتكاب المحرمات فمنهم من يصل الى غرضه الخسيس
وهي البلية العظمى ومنهم من لا يقدر على ذلك لقلته ذات يده أو غيره من العوائق
المانعة له فيكون آثما في قصده ولو وقف الأمر على ما ذكر لرجيت لهم التوبة
والاقلاع والاقالة مما وقعوا فيه لكن البلية العظمى ان كثيرا منهم يتدينون
بذلك ويعتقدون به القربة الى الله عز وجل سيما ان عملوه بسبب المولد فهو
أعظم في الفتنة لأنهم يعتقدون أنهم في أكبر الطاعات واطهار شعائر الدين
وتعطى هذه القاعدة التي اتحلوها أنهم أعرف بالشعائر من سلفهم نعوذ بالله
من الخن والفتن ومن الابتداع وترك الاتباع . وبالجملة ففتنته أكثر من أن
تتحصر وهذا مع ما فيه من اضاءة المال والرياء والسمعة لوقيل لاحدهم تصدق
ببعض ما تنفقه فيه على المضطرين المحتاجين سرى الشح بذلك وبخل وما ذلك الا
لوجوه . الوجه الأول خبث الكسب غالبا لان المال الذي يتحصل من وجه
خبث لا يخرج الا في وجه خبيث مثله بذلك جرت الحكمة . الثاني ايثار الشهوات
والملذات . الثالث الرياء والسمعة . الرابع محبة الشاء والمحمدة والقبل والقيل كما
تقدم . الخامس محبة النفوس في الظهور على الأقران . السادسة ان صدقة السر
خالصة للرب عز وجل فلا يقدر عليها الا ذو حزم ومروءة واخلاص فالسعيد
السعيد من تمسك بنور الشريعة وسلك منهاجها وشديده عليها وترك كل ما أحدثه
المحدثون وعمل على خلاص مهجته وأهله وولده ولا خلاص الا بالاتباع وترك
الابتداع سلك الله بنا الطريق الأرشد انه ولي ذلك والقادر عليه بمحمد وآله
(فصل) وقد تقدم في أول الكتاب أن تصرف المكلف لم يبق الا
في قسمين وهما الوجوب والتدب فاذا كان هذا في حق غير الفقير المنقطع فما

بالك بالفقير المنقطع المتوجه الى ربه الذى ترك الدنيا وشهواتها وملذوذاتها خلف ظهره فهو أولى وأوجب بالمطالبة بالاتباع وترك الابتداع أكثر من غيره وإذا كان ذلك كذلك فالسمع اذا سلم مما تقدم ذكره لم يدخل فى باب الواجب والمندوب بدليل ما تقدم عن الجنيد رحمه الله حيث قال لا يصير السمع مباحا الا بعشرة شروط وقد تقدم أكثرها والفقير أولى بل أوجب أن يحتاط لنفسه ويتقى مواضع الريب ويسد عن نفسه أبواب المفسد كلها فانه شبيهه بالعالم فى الاقتداء به فصلاحه يتعدى لغيره وفساده كذلك فيتعين عليه أن يحفظ مهجته ومهجة غيره من المسلمين بالنهوض الى ما يجب عليه أو يندب اليه ويترك ما عدا ذلك ويعرض عنه والله المستعان

(فصل) وينبغى له أن يصون حرمة الخرقه التى ينسب اليها بترك الوقوف على أبواب أبناء الدنيا ومخالطتهم والتعرف بهم وقد تقدم قبح ذلك فى حق العالم فى حق الفقير أولى وأحرى اذ أنه أقبل على طريق الآخرة وترك الدنيا وأهلها فوقوفه على أبواب من تقدم ذكرهم نقيض طريقه ومقصده بل ينقطع عنهم ظاهراً وباطناً أعنى أنه لا ينقطع فى خلوته وقلبه متعلق بغير ما هو فيه فان تعلق خاطره بشئ من ذلك فهو منهم وان كان لم يدخل معهم فى الظاهر ولم يكثروهم . ألا ترى أنهم قد قالوا اذا رأيت الأمير على باب الفقير فاتهم الفقير لأنه ما جاء الا للنسبة حصلت فى الفقير من أجل ما يتعاطونه من أمور الدنيا ولأجل ذلك جاء الأمير لحصول الجنسية أو كما قالوا . وقد يكون الفقير لا يشعر بما أوجب ذلك فى حقه . حتى لقد حكى عن بعضهم أنه كان لا يمر له خاطر فى الدنيا ثم حصل له فى بعض الأيام التفات اليها واذا بجندى يدق الباب فدخل اليه وجلس يتحدث معه فى الدنيا فرجع الشيخ الى نفسه وقال هذه عقوبة من الله من أين أتيت واذا هو قد ذكر الخاطر الذى مر به فتأب

الى تعالى وأقلع عنه واذا بالجندى قد قام وخرج من حينه . فهذه كانت أحوالهم وسيرتهم الحسنة وهم قدوة لمن بعدهم من يتمسك بطريقهم أسأل الله أن لا يخالف بنا عن حالهم . ومع وهذا فلا نسكر الاجتماع بهم أعنى اذا جاءوا الى الفقير راغبين فقد وردت السنة بحسن البشاشة عند اللقاء والأخذ مع المضطرين والمساكين فيما نزل بهم ولا شك أن احتياج أبناء الدنيا للبريد وخطره أعظم من احتياج غيرهم من الفقراء والمساكين الى المرید المنقطع الى ربه عزوجل لأن الفقير المسكين أقرب الى ربه سبحانه وتعالى اذ هو في حالة الاضطرار والمسكنة عليه ظاهرة بخلاف أبناء الدنيا لأن الغالب عليهم الشرود عن باب ربهم لأجل تعلقهم بمن هو فوقهم أو من هو مثلهم من أبناء الدنيا فيحتاج المرید اذا أتوا اليه أن يباسطهم لكي يتوصل بذلك الى موعظتهم وسياسة اخلاقهم ليسرق طباعهم بالرفق والتيسير وعدم التنفير قاصدا بذلك وقوفهم بباب ربهم وارشادهم اليه لا لغرض دنيوى لأن نجاة هؤلاء من باب خرق العادة بخلاف الفقير والمسكين فاذا خلص واحدا من هذه صفته فلا شك أنه من الجهاد وفي الجهاد من الفضيلة ما فيه فيحتاج أن يغتم ماسيق اليه من هذا الخير العظيم ويشد يده عليه بشرط أن يتحفظ على مقامه الذى هو فيه من تدنيسه بالتشوف الى ما فى أيديهم أو التعزز بعزهم الفانى أو الركون الى شىء من أحوالهم الزائلة فاذا سلم من ذلك فلا ينافى قضاء حوائج المضطرين من المسلمين على أيديهم لأن له بذلك المنة عليهم لأنه ساق اليهم خيرا عظيما ومعروفا جسيما لكن بشرط يشترط فيه وهو أن يريهم أن الحظ والمنفعة والحاجة الكبرى لهم فى استقضاء حوائج المسلمين منهم بعد أن يحقق عنهم أنهم مضطرون الى ذلك أكثر من أرباب الحاجات اليهم وأن ذلك متعين عليهم من غير أمره لهم بذلك فكيف مع اطلاعه واطلاعهم وهذا باب كبير متسع فيكفى التنبيه عليه . وبالجملة فالفقراء السالكون بمن مضى

منهم نفعنا الله بهم قد انقسموا في هذا الباب على ثلاثة أقسام . فمنهم من كان لا يخالط أحداً من غير جنسه فان وقع لأحدهم شيء من ذلك استعمل التحيل في التخلص منه . كما حكى عن سفيان الثوري أنه لما أن تولى الخلافة من يعتقده ويرجع إليه هرب منه الى البلاد وسافر الى مواضع لا يعرف فيها فبقى الخليفة يسأل عنه ويبحث عن أمره الى أن اجتمع به بعض من يعرفه فتكلم معه في أن اجتماعه بالخليفة فيه خير كثير للمسلمين فكان جوابه أن قال يصلح ما يعلم فساده فاذا فرغ من ذلك أتيتته وجلست معه وعلمته ما لم يعلمه أو كما قال . وقد حكى عن بعضهم أنه أظهر التوله حين اتيان السلطان اليه بأن جعل على بابه أحمالا من الخبز فوضعها وجلس هناك فلما أن رأى السلطان مقبلا أخذ رغيفا وجعل يعرض فيه ويأكل بنهمة فجاء السلطان فسأل عنه فقيل له هوذا فسلم عليه فرد عليه السلام فكلمه فأبى عن جوابه فسأله لم لا ترد على الجواب فقال أخاف أن تشغلني عن أكلى أو أن تأكل معى فيذهب هذا الخبز وأنا لا أشبع أو كما قال فرجع السلطان عنه وهذا باب السلامة ولا يعدل بالسلامة شيء . القسم الثاني أنهم يجتمعون بهم اذا أتوا اليهم بالشروط المتقدم ذكرها . القسم الثالث الاتيان اليهم وفيه خطر من أجل مخالطتهم والوقوف على أبوابهم لقضاء حوائج المسلمين اذ أن ذلك جمع بين أمرين متضادين أحدهما حسن وهو قضاء حوائج المسلمين والتفريغ عنهم والثاني ضده وهو اهانة خرقة الفقير بالوقوف على أبواب من لا ينبغي . وقد قال بعضهم ما أقبح أن يسأل عن العالم فيقال هو يباب الأمير فاذا كان هذا القبح في حق العالم فما بالك به في المرید الذي خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة يطلبها وتوجه الى الله عز وجل بالانقطاع اليه ولو لم يكن فيه من القبح الا أنا مأمورون بالتغيير عليهم في بعض أحوالهم والوقوف ببابهم ينافي ذلك . وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله يختار الطريقة الوسطى لاشرقية ولاغربية لا يقف

ببأبهم ولا ينفر منهم بل يستقضى حوائج الضعفاء والمساكين منهم إذا أتوا إليه وأما من لم يأت منهم إليه فإنه كان لا يرسل إليه أصلا ومن نزلت به ضرورة وأتى إليه يحيله على الصدقة والتوبة مما جنى وأما الإرسال إليهم فكان لا يرسل لمن يعرف ولا لمن لم يعرف فمن كان يعرفه منهم إذا جاء ذكر له ما طلع عليه من ضرورات المسلمين فأزالها وهذا الذي درج عليه هو حال أكثر السلف أعنى الطريقة الوسطى المتقدم ذكرها والله الموفق هذا حاله مع زيارة من ينسب إلى الدنيا . وبالجملة فمن يأتي إلى زيارة المرید ينقسمون على ثلاثة أقسام . الأول اتیان أبناء الدنيا له . والثاني زيارة المریدین والصلحاء . والثالث زيارة من شاركه في الخرقه من جهة شيخه أو من جهة العالم الذي اهتدى بهديه فالقسم الأول قد تقدم ذكره وأما القسم الثاني فيتعين عليه أن يلقى من أتاه برحب وسعة صدر وأن يكثر التواضع لهم ويرى الفضل لهم عليه فيما فعلوه ويرى نفسه أنهم مقصرة في حقهم إذ أنه قعد عن زيارتهم حتى احتاجوا إلى زيارته فيعوض لهم عن ذلك كثرة الأئس واطهار الود بشرط أن يكون ذلك منه باطنا كما فعله ظاهرا والمقصود أن يباليغ في الأدب معهم بتوقير كبيرهم واحترامه واللفظ بصغيرهم في إرشاده وتهذيب أخلاقه وتبهيء أمره للسلوك والترقي وإن استطاع أن لا يخرج عنه أحدا من هذه الطائفة إلا عن أكل فليفعل لأنه قد ورد عن السلف رضی الله عنهم أنهم كانوا لا ينصرفون إلا عن ذواق فإن لم يمكنه ذلك إلا بتكلف مثل أخذدين أو ما يقاربه فالترك أولى به . وقد حكى عن بعضهم أنه جاءه أضياف فقدم لهم خبزا وملحا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفتم لكم لكن يعرضهم عن ذلك أمدادهم في بواطنهم إن كان من أهل ذلك فإن لم يكن من أهل الامداد فيدعولهم بظاهر الغيب ولعل أن يكون فيهم وهو الغالب من هو أرفع منه قدرا وأعظم شأنًا فيكون دعاؤه إذ ذلك يعود عليه بركته . لما ورد أن المرء إذا دعا لأخيه

في ظهر الغيب فان الملك يقول له ولك مثل ذلك أو كما ورد . وقد قال بعض السلف كل حاجة أحاجها وأريد أن أدعو بها لنفسي أدعو بها لأخي في ظهر الغيب لأنى اذا دعوت لنفسي كان الأمر محتملا للقبول أو ضده واذا دعوت لأخي في ظهر الغيب فالملك يقول ولك مثل ذلك ودعاء الملك مستجاب . وقد حكى عن بعضهم أنه جاء الى زيارة أخيه فقال له المزور ياأخي أما كان لك شغل بالله عن زيارتي فقال له الزائر شغلى بالله أخرجنى الى زيارتك . وقد حكى عن بعضهم أيضا انه كان اذا سأله أحد من اخوانه فى حاجة يبكى ثم بعد ذلك يقضى حاجته فسئل عن موجب بكائه فقال أبكى لغفلتى عن حاجة أخى حتى أحجاج أن يديها الى وهذا الذى ذكر هو جار على جادة غالب حال الناس وبعض الأكاير يعوض عن ذلك ما هو فى الايثار أكثر وأعم وله فى ذلك اقتداء حسن صحيح . كما حكى لى من أثق به ان الفقيه الامام المعروف بابن الجمى جاء الى زيارة الفقيه الامام المحدث المعروف بالظهير الترمىنى وكان اذ ذاك منبسطا مع من حضره فلما أخبر بمجىء الفقيه ابن الجمى الى زيارته انقبض عن ذلك وزال بسطه فدخل عليه وهو منقبض فسلم عليه فرد عليه السلام ولم يزد عليه شيئا ولم يكن كلامه له الا جوابا فلما ان خرج رجع الى ما كان عليه من البسط مع من حضره فسئل عن موجب ذلك فقال استصغرت نفسى أن يكون مثل هذا السيد يزور مثلى فأردت أن أكافه ببعض ما يستحقه فوجدت نفسى عاجزة عن مكافأته فأثرته بالأجر كله حتى يكون فى صحيفته دونى لما ورد اذا التقى المسلمان فأكثرهما ثوابا أبشهما لصاحبه فأثرته بذلك أو كلاما هذا معناه . وهذا له أصل فى الاتباع للسنة المطهرة وهو ما روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كنت اذا لقيت عليا ابتدأنى بالسلام فلقيته اليوم فلم يسلم على حتى ابتدأته بالسلام

فقال له اجلس فجلس واذا بعلي بن أبي طالب قد جاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم لم تبتديء ابا بكر اليوم بالسلام فقال يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم قصر افي الجنة لم ارمثله فقلت لمن هذا القصر فقيل لمن يبتديء اخاه بالسلام فأردت أن أوثر اليوم ابا بكر على نفسي أو كما قال . وهذا أعظم في الاكرام وأبر في الاحترام فمن كانت له استطاعة على مثل هذا الايثار فهو أولى به لكن يخاف على فاعل ذلك في هذا الزمان أن ينفر الناس غالبا عن باب ربهم ويوقعهم فيما لا ينبغي فارتكاب الطريقة المتقدمة والحالة هذه أولى بل أوجب اللهم الا أن يقع ذلك مع من له رسوخ في السلوك كما تقدم وصف من وقع له ذلك والله الموفق

﴿ فصل ﴾ اعلم رحمتنا الله واياك أن لقبول الدعاء مواضع عديدة ينبغي الاعتناء بها ليعرف المكلف أما كتبها فيتعرض لها لقوله عليه الصلاة والسلام (أن لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله) فمن جملة النفحات ما تقدم ذكره من دعاء المؤمن لأخيه في ظهر الغيب . والثاني المضطر وهو الأصل لعمومه قال الله تعالى ﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ﴾ وهذا لفظ عام دون الاتصاف بصفة دون أخرى وكثير من يقع له الغلط والوهم في هذا القسم فيرى أنه مضطر فيدعو فلا يستجاب له فيقول أني هذا فيقع له الجواب بلسان الحال ﴿ قل هو من عند أنفسكم ﴾ اذ أنه لو حصلت له حالة الاضطرار مارد وما خيب لأن الله سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد . ومثال ذلك في الحسن ما كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول مثله مثل من ركب في السفينة فهو مضطر الى ريح يمشى بها والى بجرهاد قليل الآفات لكنهم مطمئنون بسفينتهم راكنون اليها وفي هذا السكون من عدم الاضطرار ما فيه فلو جاء الريح العاصف وتحرك عليهم هول البحر لكان اضطرارهم أكثر من الأول لكنهم عندهم قوة في أنفسهم بالسفينة التي هي سبب السلامة غالبا فلو انكسرت السفينة مثلا وبقى كل واحد منهم أو جماعة على لوح

لاشتد اضطرارهم أكثر من الثاني لكنهم يرجون السلامة لما تحتمهم من الألواح وذلك قدح في حقيقة اضطرارهم فلو ذهبت الألواح وبقوا بعد ذلك في لجج البحار لا يرى ولا جهة تقصد ولا لوح يرام أن يصعد عليه فهذه الصفة هي حقيقة الاضطرار أو كما قال . فمن اتصف بهذه الصفة وهو في حالة الاتساع من أمره كان مضطرا حقيقة فلا يشك ولا يرتاب في اجابته وما وقع الغلط الا في صفة التحصيل لهذه الصفة الجميلة التي أخبرنا الله تعالى بها في كتابه العزيز الثالث من مواطن الاجابة عند نزول الغيث . الرابع عند الأذان . الخامس عند اصطفاة الناس للصلاة . السادس عند اصطفاة فهم للجهد . السابع الثلث الاخير من الليل في كل ليلة الى طلوع الفجر . الثامن الدعاء عند المحتضر فان الملائكة حضور يؤمنون على دعاء داعي . التاسع الدعاء من الصائم عند افطاره . العاشر الدعاء من المسافر عند سفره . الحادي عشر وهو آكد ما الساعة التي وردت في يوم الجمعة وقد تقدم بيانها . الثاني عشر يوم الاثنين وليلته وقد تقدم بيانه الثالث عشر ليلة القدر وهي أم البواب وخلاف العلماء فيها مشهور معروف الرابع عشر الدعاء من الوالدين لولدهما . الخامس عشر الدعاء عند حدوث الخشوع واقشعرار الجلد والخوف والقلق وغلبة الرجاء فان هذه المواطن كلها محل للاجابة . السادس عشر وهو أعظمها وأولها الدعاء باسم الله الأعظم وقد اختلف الناس في تعيينه اختلافا كثيرا حتى قال بعضهم ان ذلك راجع الى الاتصاف بحالة الاضطرار كما تقدم ومنهم من قال انه قوله تعالى ﴿ والهمك اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ﴾ ومنهم من قال ﴿ الله لا اله الا هو الحي القيوم ﴾ و ﴿ الم الله لا اله الا هو الحي القيوم . وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ ومنهم من قال ﴿ لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ﴾ ومنهم من قال آخر سورة الحشر الى غير ذلك وهو كثير . السابع عشر يوم عرفة . الثامن عشر شهر رمضان . التاسع عشر

في السجود . وبالجملة فالدعاء له أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فان صادف أركانه قوى وان صادف أجنحته طار في السماء وان صادف أسبابه نجح وان صادف أوقاته فاز فمن أركانه الاضطرار وقد تقدم . وأجنحته قوة الصدق مع المولى سبحانه وتعالى فيما يرجوه ويؤمله منه ويخافه . وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . وأوقاته الاسحار . وما تقدم ذكره انما هو فيمن هو على جادة التكليف . وأما من هو في مقام الرضى أو ما يقاربه فقد يكون السؤال في حقه ذنباً يتعين عليه التوبة والاستغفار منه . كما قد حكى عن بعض السلف أنه قال تجاسرت البارحة وسألت ربي المعافاة من النار وكما حكى الشيخ الامام أبو طالب المكي رحمه الله عن بعضهم أنه قال كل المقامات نلت منها شيئاً الا هذا الرضا فاني مانلت منه الا مقدار سم الخياط . ومع ذلك لو أخرج أهل جهنم أجمعين وأدخله جهنم وملاها بجسده وعذبه بعذابهم أجمعين لكان راضياً بذلك وقد تقدم ما جرى للكليم عليه الصلاة والسلام مع العابد . وبالجملة فالامر راجع الى حال من وقع له ذلك وفي أى وقت يقع له ذلك وقد يكون في بعض الأحيان الرضا في حقه أولى وأفضل بالنسبة الى حاله وما اختص به في وقته ذلك وقد يكون في وقت آخر الدعاء والتعلق واظهار الفاقة والاضطرار والحاجة أولى وأفضل وكل ذلك مأخوذ من السنة المطهرة وعن السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين . ثم نرجع الى ما كنا بسبيله من أقسام الزائر والمزور . القسم الثالث الاشتراك في الرضا في مجالس العلم ومجالس الشيوخ فمن جاءه من هذا القسم فهو من الخاصة به فان استطاع أن يكون لهم أرضاً فليفعل اذ أن احترامهم احترام لشيوخه الذى أخذ عنه . وآداب المرید مع شيخه لا تنحصر ولا ترجع الى قانون ولا يقدر المرید أن يقوم بحقه في الغالب اذ أن حقيقة أمر الشيخ أنه وجدته في بحار الذنوب والغفلات فأخرجه من كل ذلك وأدخله الجنة وهو أمر

هذا المقام السنى ترقى الى ما هو أسنى منه وهو الفهم عن الله تعالى فى آياته وفى أحكامه وفى تدبيره فى خلقه واحسانه الى أوليائه وقربه منهم وعلمه بحالهم اذ هو سبحانه وتعالى الكريم الذى من بذلك وسهل الأمر عليه فيه والفهم عن الله أعم من هذا كله وانما هو اشارة الى ما عدا ما ذكر . ثم انتقل بعد هذا المقام السنى الى ما هو أسنى منه وهو العلم لانه نتيجة الفهم اذ أنه اذا فهم علم وهذا العلم عام فى العلم بالله تعالى والعلم بأحكام الله اذ أنه لا يوجد جاهل بأحكام الله عليه عالم بالله والعلم بالله ليس له حد ينهى اليه بخلاف العلوم الشرعية فان لها نهاية على ما قد علم فلما أن حصل هذه الدرجة السنية انتقل منها الى ما هو أسنى منها وهو التعم فى خلوته والتلذذ بالطاعات التى يحاؤها اذ أنه عبد قد خلعت عليه خلع القرب فاتصف بالمقامات السنية التى لا يستحقها ولا بعضها الا بفضل المولى سبحانه وتعالى وكرمه وامتنانه اذ لا فرق بينه وبين اخوانه من المسلمين فكونه خلع عليه دونهم هذا فضل عظيم لا يقدر أن يقوم بشكر بعضه اللهم لا تحرمنا ذلك فانك وليه والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم . فاذا حصل فى هذه الدرجة انتفع بنفسه وانتفع به من عرفه ومن لم يعرفه . فاذا حصل فى هذا المقام السنى جاءت الألفاظ تترى اذ أنه تشبه فيه بالملائكة الكرام الذين لا يأكلون ولا يشربون وبذكر ربهم يتنعمون اذ أن الذكر لهم كالنفس لنا ومن هذا حاله تكون العبادة له كالغذاء لان الغذاء جمع أشياء منها شهوة النفس للأكل والشرب وقوام البدن والاعانة على فعل الطاعات . ومن حصل فى هذا المقام الذى تقدم ذكره فقد تم له النعيم . ألا ترى أن بعضهم كان يأكل أكلة فى الشهر وبعضهم فى ثلاثة أشهر وبعضهم فى ستة أشهر وبعضهم لاهذا ولا هذا كل ذلك راجع الى حال التعم فى الخلوة كما تقدم . ومن هذا الباب انقطع كثير من المرادين لانهم لم يحكموا الآداب فى الوصول الى هذا المقام فيريدون أن يتشبهوا بمن هو فيه

فینقطعون وما ذاك الا أن هذا غذاؤه بالتنعم الذى هو فيه وقد مضت حكمة الحكيم سبحانه وتعالى أن هذا البدن لا قوام له الا بقوت فالقوت المعنوى الذى حصله هذا الذى تقدم ذكره أغناه عن القوت الحسى وهم لم يحكموه وتركوا القوت الحسى . وقد قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله اعلم أن الله عز وجل قد تكفل لهذا الهيكل برزق لا قوام له الا به قال وهذا الرزق الذى تكفل به ليس من شرطه أن يكون محسوسا فتارة يكون محسوسا وتارة يكون معنويا أو كما قال ولاجل الجهل بتحصيل هذا القوت المعنوى حصل لبعض من يتعانى كثرة المجاهدة أشياء رديئة مثل العريضة أو الجنون أو النشاف (١) الى غير ذلك فمن تأدب بهذه الآداب المذكورة فى الخلوة يغلب الرجاء أنه من الناجين والحمد لله رب العالمين . وقد سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول انه قد كان دخل فى مجاهدة بنية أمد معلوم فلم تقدر نفسه على اتمام المدة وضاق ذرعه بذلك قال فأردت ان أفطر ثم حصلت لى عزيمة على ترك ذلك فلما أن شعرت نفسى بهذه العزيمة غشى عليها فرأيت فى تلك الغشوة كأن انسانا يطعمنى فأكلت حتى شبعتم ثم سقانى فشربت حتى رويت ثم استفقت وأنا شبعان ريان فقمت أغتتم الطاعة مبتدرا بقوة ونشاط ففرغت المدة وأنا على ذلك الحال ثم بقيت بعد مدة أخرى كذلك ولو بقيت على ذلك ببقية العمر لرأيت أنى لأحتاج الى غذاء بعدها لكن رجعت الى الغذاء خوفا منى على ترك السنة اذ أن السنة وردت بالغذاء . هذا الوجه الذى ذكره رحمه الله . وفيه وجه آخر وهو أنه لو تمادى على ذلك الحال لاشتهر أمره وعرفه الناس بذلك وهذا فيه مافيه . وبالجملة فبركة الخلوة لا تنحصر ولا تنقف على حد ينتهى اليه كل

(١) النشاف بالتشديد كشداد من يأخذ حرف الرغيف فيغمسه فى رأس القدر

ويأكله دون أصحابه اه قاموس

على قدر حاله ومرتبته وأقل فوائدها بل أعظمها وزبدها ما يحدته الله عز وجل عند ذلك من الخشوع وتصاغر النفس والاحتقار بها وذاتها والاطلاع على مسكنتها وقلة حيلتها وفقرها واضطرابها الى سيدها ومدبرها . وقد سأل سفيان الثوري الأعمش رحمهما الله تعالى عن الخشوع فقال يا ثوري أنت تريد أن تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع سألت ابراهيم النخعي عن الخشوع فقال يا أعمش تريد أن تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع بأكل الجشيم ولا بلبس الحشن وتطأطئ الرأس لكن الخشوع أن ترى الشريف والذنى سواء وأن تخشع لله فى كل فرض افترض عليك . والغالب أن هذا قل أن يحصل الا مع كثرة الخلوات فالخلاة نور ذلك كله وبهاؤه وعليها تقرر الأحوال السنية والمراتب العالية فليشد المريـد يده ليحصل ما يترتب عاها من البركات والله الموفق للصواب

﴿فصل﴾ وآكد ما عليه فى خلوته النظر فى الجهة التى يقتات منها فايحفظ على نفسه من الشبهات التى تطرأ عليه فيها اذ أن ذلك لا يخلو من وجوه اما أن يكون يعرف أصلها مثل أن يكون من كسب يده أو ميراث أو غيرهما من وجوه الحل فهذا قد لطف الله به اذ يسر له ذلك من وجه حل وانقطع بسببه الى الخلوات وبركاتها واما أن يكون ذلك من جهة ما يفتح الله تعالى به من الغيب فذلك على وجهين أحدهما أن يكون بغير واسطة والآخر بواسطة فان كان الأول فهو مثل القسم الذى قبله ملطوف به الا أنه قد يخشى على بعض من يقع له ذلك من الدسائس الواردة على النفوس وهى كثيرة لا تنحصر . وأما القسم الثانى وهو أن يكون تيسير ذلك على يد مخلوق فهنا يحتاج الى تفصيل . سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول ان ذلك ينقسم على أربعة أقسام . القسم الأول يسر ويضر . القسم الثانى عكسه لا يسر ولا يضر ، القسم الثالث يسر ولا يضر

القسم الرابع عكسه يضر ولا يضر . فالقسم الأول وهو الذى يضر ويضر هو الفتوح الذى يأتى من جهة فقير محتاج معتقد فان أنت قبلته منه سر بذلك ويتضرر فى نفسه لأجل فقره فهذا ينبغى للبريد أن لا يرزأه فى شئ ويرده عليه بسياسة حتى لا ينكسر خاطره أو يقبله منه ويكافئه عليه بما تيسر وليحذر أن يشوش عليه بدفع العوض له بل يعوضه دون اشعاره بذلك . وأما القسم الثانى وهو عكس الأول وهو الذى لا يضر ولا يضر فهو الفتوح الذى يأتى من عند من له جدة واتساع وهو مستور بلسان العلم وصاحبه ليس بمعتقد فان هو أخذه منه لم يضر بذلك ولم يضره أخذه منه فالمرید فى هذا القسم مخير ان شاء أخذ وان شاء ترك وذلك راجع الى حسب حاله فى الوقت ولو قدر على أن لا يأخذ منه شيئاً لكان أولى به وأرفع لمقامه لأن هذه الطائفة ينبغى أن تكون يدهم هى العليا . كما جاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (اليد العليا خير من اليد السفلى) وقد فسرته فى الحديث فقال اليد العليا هى المنفقة واليد السفلى هى السائلة . وقد اختلف الناس فى هذا . وكان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول ان المراد بالعليا والسفلى السائلة والمسئولة فان كنت سائلاً فى قبول معروفك فيدك سفلى وان كنت مسئولاً فيدك هى العليا . وكان رحمه الله يستدل على ذلك بما ورد أن المكلف لا يخرج صدقة حتى بفك فيها لحي سبعين شيطاناً فاذا هم المكلف باعطاء صدقة واعتورته هذه الشياطين وغلبهم وأتاك بمعروفه فان أنت رددته عليه فقد أعنت الشياطين عليه وقد لا تسمح نفسه بعد ذلك أن يعطيها لغيرك فيحرم من هذا الخير العظيم وتجذب الشياطين السليل الى تقصير يده عن الصدقة وان أنت قبلت منه ذلك فقد أعنته عليهم ويؤسوا منه فقد حصل لك بذلك الثواب الجزيل . واذا كان كذلك فيد الآخذ هى العليا والحالة هذه . ثم مع ماتقدم يحصل لأخيك المؤمن من الثواب فى الدار الآخرة

ما يعجز عن وصفه . يشهد لذلك ما حكى أن شابا جاء الى شيخ هذه الطائفة
وامامها الجنيد رحمه الله تعالى فقال له أنا جائع فهل من يطعمني فقام انسان بمن له
اتساع فقال عندي فأخذ الشاب ومضى معه الى بيته وقدم له طعاما كان الشاب
يشتهي فمد يده فرفع لقمة وبقي بها في يده لحظة فقال له صاحب المنزل كل
فالقمة اذا أكلتها عندي خير من الدنيا وما فيها فوضع الفقير اللقمة من يده
وخرج ولم يأكل عنده شيئا وأتى الى الجنيد فقال مثل مقالته الأولى فقام
فقير فقال عندي فذهب معه فقدم له خبزاً وبصلاً فأكل حتى شبع ثم رجع فجاء
الأول الى الجنيد فأخبره بما جرى فقال له اجلس فلما أن جاء الشاب سأله
الجنيد هل أكلت قال نعم قال له وما أكلت قال خبزاً وبصلاً فقال له وما قدم لك
هذا قال له قدم لي طعاما مفتخراً فقال له ما منعك من أكله فقال له كنت
جائعاً فرفعت اللقمة وأنا أتخير أى قصر آخذه في الجنة فينبأ أنا كذلك واذا هو قد
قال اللقمة اذا أكلتها عندي خير من الدنيا وما فيها فاستحييت من الله تعالى أن
أكل طعام رجل خسيس الهمة ليس له همة الا في الدنيا فتركته ومضيت وأما
هذا فنبهته أن لو كانت له الدنيا بجذافيرها فهو يستقلها تقدماً أو كما قال . فهذه
الحكاية تشعرك بان الآخذ من هذه الطائفة يده هي العليا اذ أنه في حقيقة الأمر
يعطى ما يبقى ويأخذ ما يفنى فتأمل ذلك تجده صواباً وذلك محمول على أنه مستور
بلسان العلم وأما لسان الورع فهو أمر آخر وهو متعذر في هذا الزمان غالباً فن
وقع له الحال على ذلك فالأولى له أنه لا يخاطب الناس ويقوم في البرارى والقفار
أو يكون خرق الله تعالى له العادة فلا يتكلم عليها . وأما القسم الثالث وهو الذى
يسر ولا يضرب فهو الفتوح الذى يأتى على يد بعض الاخوان المعتقدين الذى
يعرف سببهم وهم من أهل اليسار فان أخذت منهم دخل عليهم السرور بذلك
ولا يتضررون به . فهذا أحسن الأقسام كلها وأسلمها من الآفات المتوقعة

وأما القسم الرابع وهو الذى يضر ولا يسر فهو ما كان من بعض الناس وهو متصف بوصفين أحدهما أن يكون محتاجاً لما يعطيه والثاني عدم اعتقاد الدافع للدفوع له فإن أنت قبلت منه ما أتاك به تضرر بذلك لحاجته اليه ولا تدخل عليه سرورا لعدم اعتقاده لك . وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله التزم فى نفسه طريقة غريبة قل من يقدر عليها من أصحابه وغيرهم إلا من وفقه الله تعالى وقليل ما هم . وذلك أنه كان لا يقبل صدقة واجبة كانت أو تطوعا ولا يقبل شيئا من أرباب الخدم وإن كان معتقداً وإن قلت خدمته وإن تحرز ما أمكنه ومن أهدى له من الإخوان المعتقدين فيختلف حاله فى ذلك فبعضهم يرد عليه ما أتى به وبعضهم يقبل منه ثم يعوض له عن ذلك بلطف وسياسة وما أتاه من جهة الإخوان المتسببين المعتقدين نظر الى اكتسابهم فإن كان مستورا بلسان العلم نظر فى حال صاحبه هل يدخل عليه سرور بالأخذ منه أم لا فإن ظهر له منه أنه سواء عنده أخذ منه أو رد عليه لم يأخذ منه شيئا وإن ظهر له أنه ينكسر خاطره عند الرد عليه وينجبر خاطره ويدخل عليه السرور حين الأخذ منه أخذه منه فمن اتصف بهذه الصفة فهو الذى يقبل منه . وهذه طريقة غريبة عزيزة لا يقدر عليها إلا من كان مثله أو يقاربه لاجرم أنه كان هو وأهله ومن يلوذبه من شظف العيش بحيث المنتهى فلقد كان يأخذ بفلس ليمونا فيأتمم به غدوة وعشية هو وأهله وقد بقى أهله فى بعض الأيام لاشيء عندهم يتقوتون به فأخذ ثوبا ودخل به الى البلد ليبيعه فلم يدفع أحد فيه شيئا لأنه كان من زى المغاربة فرده وجاء الى المسجد ولم يدخل البيت خشية من الأولاد أن ينقطع رجائهم من القوت اذ ذاك فيزيد قلقهم فجلس فى المسجد حتى صلى العشاء الأخيرة رجاء أن يكون الأولاد قد ناموا فلما أن دخل عليهم وجدهم وهم مسرورون يكثرون من شرب الماء فسألهم عن ذلك فقالوا كأن كل واحد منا أكل خروفا وهم فى الشبع بحيث لا يحتاجون

الى زيادة على ما هم فيه وبقى أمرهم كذلك مدة حتى فرج الله عنهم . وأنواع
هذا كثيرة وهو باب لا يقدر عليه الا الأفراد من الأولياء لأنه وان صبر في نفسه
فالأهل والأولاد لا يصبرون في الغالب فان وجد ذلك فهو من باب الكرامات
ولأجل هذا المعنى قال سيدى أبو مدين رحمه الله العارف من أخذ نفسه بالورع
وأطلق غيره في ميدان العلم وما تقدم وصفه فهو من هذا القسم نفعنا الله بهم
ورزقنا التصديق بأحوالهم اذ لم نكن أهلا للاقتداء بهم . اللهم لاتحرمننا من
بركاتهم بمنك بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا

(فصل) في ذكر ما تبلى به بعض من ينسب الى طريق القوم وغيرهم
من تعلقت خواطرهم بفعل الكيمياء واستخراج ما في الأرض من الاموال
المدفونة فيها وهي التي اصطالحوا على تسميتها بالمطالب . وليحذر مما يفعله
بعض الناس في هذا الزمان من تعانيم استخراج ما في الارض مما تقدم ذكره
وهذا قبيح لوفعله بعض العوام فهو في حق المرید أقيح وأشنع اذ أنه خلف
الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بكليته لانه يطلب له سواها وتعلق خاطره
بما تقدم ذكره يشهد بكذبه في طريقه من دعواه الانقطاع الى الله تعالى
والتوجه اليه مع أن من تعلق خاطره بهذا فالغالب عليه فيما يظهر الفقر المدقع
والديون الكثيرة ومخالطة من لا يرضى حاله في دينه ودنياه وذلك سبب كبير
الى وقوع الناس في عرض من اتصف بذلك بسبب تعاطيه ما يوقع الناس فيه
فيكون شريكهم في اثم وقيعتهم فيه وقد يؤول أمر فاعل ذلك الى الحبس والاهانة
وغير ذلك مما هو معلوم من العوائد الجارية في ذلك كله ولولم يكن فيه من
الذم الا أن من تعلق خاطره بذلك فهو متصف بحب الدنيا ومن أحب الدنيا
فمؤ قال للآخرة اذ أنهما ضررتان متنافرتان فهما أقبل الانسان على احدهما
أضر بالأخرى ولو لم يكن فيه من الذم الا ماورد (من أحب الدنيا ينادى عليه

يوم القيامة هذا أحب ما أبغض الله) وقد تقدم فعل السالف رضى الله عنهم
 في هر بهم من الدنيا خيفة منهم على أنفسهم منها ومن طاب شيئاً مما تقدم
 ذكره فهو مستشرف لطلبها وذلك مذموم يذهب بجميع خاطره واشتغاله عن
 أمر دينه ودنياه بل كانوا يعدون الدنيا اذا أقبلت عليهم عقوبة نزلت بهم وقد
 مضت حكاية أبى الدرداء رضى الله عنه فيما جرى له في العطاء الذى أتاه وعلى
 هذا درج فعل السلف والخلف رضى الله عنهم. وقد حكى في الاسرائيليات أن
 عيسى عليه الصلاة والسلام مر في سياحته ومعه الحواريون بموضع فيه ذهب
 كثير فنظر عيسى عليه الصلاة والسلام اليه وقال لمن معه من الحواريين
 انظروا الى هذا القاتول ومر في سياحته فتخلف ثلاثة منهم وقالوا الى أين هذا
 المقصود أو كما قالوا فتمسموا ذلك أثلاثاً فجلس اثنان بحرسان ذلك وأرسلا
 ثالثهما الى البلد ليأتى بالدواب والأعدال وما يأكلونه فلما أن مضى لذلك
 تحدث الاثنان فيما بينهما فقالا لو كان هذا المال بيننا لكان أولى ثم قالا
 وكيف الحيلة فاتفقا على أنه اذا جاء يقومان اليه ويقتلانه ويبقى المال بينهما
 نصفين وقال الثالث الذى ذهب الى قضاء الحاجة مثل قولهما فقال لو كان
 ذلك المال كله لى لكان أولى ثم قال وكيف الحيلة فحظر له أن يعمل سما
 فى الغذاء الذى يأتى به فيأكلانه فيموتا فيأخذ المال كله لنفسه ففعل فلما
 أن أقبل على صاحبيه وثبا اليه فقتلاه ثم أكلاما أتى به من الغذاء فماتا فبقى
 الثلاثة هناك مطروحين فلما أن رجع عيسى عليه الصلاة والسلام من سياحته
 ومر بهم فوجدهم هناك طرحى فقال للحواريين ألم أقل لكم هذا القاتول
 وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام (ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه
 بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه) ولا
 شك أن من اتصف بما تقدم ذكره يربو على المستشرف فترتفع البركة

منه فطلب المرید وغيره لهذه الاشياء على تقدير حصولها يذهب البركة منها
والمقصود حصول البركة وانها اذا عدت من الشيء لو كان ملء الأرض
مأغنى صاحبه لعدمها منه . وقد حكى الامام الجليل الحافظ أبو نعيم الاصفهاني
رحمه الله في كتاب الحلية له في ترجمة طاوس بن كيسان رحمه الله باسناده الى
ابن طاوس عن أبيه قال كان رجل له أربع بنين فرض فقال أحدهم اما أن
تمرضوه وليس لكم في ميراثه شيء واما أن أمرضه وليس لي في ميراثه شيء
قالوا مرضه وليس لك في ميراثه شيء قال فرضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه
شيئاً قال فأتى في النوم فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار
فقال في نومه أفيها بركة قالوا لا فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت
امرأته خذها فان من بركتها أن نكتسى بها ونعيش منها فأبى فلما أمسى
أتى في النوم فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير فقال أفيها
بركة قالوا لا فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل مقالها الأولى فأبى
أن يأخذها فأتى في الليلة الثالثة فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه ديناراً قال
أفيه بركة قالوا نعم فذهب فأخذ الدينار ثم خرج به الى السوق فاذا هو برجل
يحمل حوتين فقال بكم هما قال ديناراً قال فأخذهما منه بدينار ثم انطلق بهما الى
بيته فلما دخل بيته شق بطنهما فوجد في بطن كل واحدة منهما درة لم ير الناس
مثلاً قال فبعث الملك يطلب درة ليشتريها فلم توجد الا عنده فباعها بوقر ثلاثين
بغلاً ذهباً فلما رآها الملك قال ما تصلح هذه الا بأختها فاطلبوا أختها وان أضعفتم
قال فجأوه فقالوا أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك قال وتفعلون قالوا نعم
قال فأعطاهم اياها بضعف ما أخذوا به الأولى والله سبحانه وتعالى أعلم . فانظر
رحمنا الله واياك الى هذه البركة ما أعظمها أين هذا من المائة دينار التي عرضت
عليه أو لا . فالخاص من هذا أن البركة كامنة في امتثال السنة حيث كانت لأن

من فعل مثل هذا فالاستشراف منه بعيد وإذا عدم الاستشراف حلت البركة ولا جل هذا المعنى تجد كثيرا من أهل هذا الشأن الغالب عليهم شطف العيش وقلة ذات اليد ثم انهم مع ذلك لا يسبقهم غيرهم في أمر الآخرة وما ذاك الا لوجود البركة الحاصلة معهم فيما يتناولونه من أمر الدنيا لعدم استشرافهم لدنياهم واهتمامهم بأمر دينهم والوقوف بباب ربهم والتضرع اليه ولزوم الامثال لاوامره والاجتناب لنواهيه والنزول بساحة كرده . وقد سمعت سيدي أبا عبد الله الفاسي رحمه الله يقول انه كان بمدينة فاس وكان يصحب بعض الفقراء فرآه مرة وهو يبكي ويتضرع ويسأل الله تعالى أن يرفع عنه ما نزل به فسألته عن موجب ذلك فأني عن اجابته فيقي كذلك أياما ثم سرى عنه فرجع الى حاله الأول قال فسألته عن موجب بكائه وسروره فقال اني كنت أجمع بين الماء والأحجار في الاستنجاء فابتليت بأني اذا أخذت حجرا أستجمر به أجده ذهباً فأرميه وأخذ غيره فأجده كذلك ثم كذلك فضاق ذرعى من ذلك لما نزل بي فبقيت أتضرع الله تعالى في دفعه حتى أزاله عني فصرت أخذ الحجر فأجده حجرا كما هو . وقد حكى لي رحمه الله أيضا عن نفسه أنه كان بمدينة فاس قال فكنت أخرج من البلد فأرى عند السور صندوقا مفتوحا مملوءا ذهباً قال فكنت أولى وجهي عنه فلما أن كان في بعض الأيام التفت اليه واذا بيد من الهواء لطمت وجهي فردته الى الناحية الأخرى فتبت الى الله تعالى أن لا ألتفت اليه بعد . وقد حكى عن بعضهم أنه كان لا يبيت على معلوم حتى يخرج منه وهو مع ذلك يرى في المنام كل ليلة قائلاً يقول له انك لبخيل ويكر ذلك عليه مرارا فلما أن كان ليلة وقيل له ما قيل آلى على نفسه أنه اذا فتح له من الغد بشيء يعطيه أول من يلقاه كأننا ما كان فلما أن كان من الغد فتح له بخمسمائة دينار فأول من لقيه من الغد شاب وهو عند مزين يحلق له رأسه فأعطاه الهرة فقال له الشاب لا حاجة لي بها عندي قوت يومي فقال له

اعطها في أجرة المزين فقال له المزين قد دخات على هذا العمل لله تعالى فلا
أخذ عنه عوضا فقال له خذها لك دون أجرة فقال له لا حاجة لي بها فقال له هي
خمسائة دينار فقال له المزين أما قد قيل لك انك لبخيل فوجد في نفسه وجدا
شديدا وأخذ الصرة فرمى بها في الفرات . فاذا قيل لمثل هذا ببخيل فما بالك بمن
ينسب الى الطريق ويطلب المطالب ثم يزعم أنه على الطريق المستقيم هيئات
هيئات ليس الأمر لآرائنا ولا لما اصطاحنا عليه من عوائدنا ولا لما يخطر
من الهواجس في أنفسنا بل المشى على الطريق المستقيم الذى وقع من السلف
الماضين وقد مضى ذكر بعض أحوالهم . وليس لقائل أن يقول ان ما ذكرتموه
لا يليق بهذا الزمان لغلبة البخل فيه وقلة البركات بخلاف زمان السلف الماضين
اذ أن الزمانين سواء بالنسبة الى الانقطاع الى الله تعالى والنزول بساحة كرمه مع
أن ما تقدم ذكره عن الشيخ أبى عبد الله الفاسى فى هذا الزمان وقع مثله كثيرا
من غيره . وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام (ان هذا المال خضرة حلوة
فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بأشراف نفس لم يبارك له
فيه) ولا شك أن من اتصف بما تقدم ذكره أعظم من المستشرف
فترتفع البركة عنه من باب أولى . ثم انظر رحمتنا الله وإياك الى مخالفة السنة
ما أكثر قبحها وبشاعتها . ألا ترى الى ما وقع بسبب ما تقدم ذكره فقد جر ذلك
الى تسليط بعض الناس على هدم كثير من بيوت المسلمين ومساجدهم بسبب
حفرهم على ذلك فمن كانت له شوكة فعلة جهارا سواء كانت مسجدا أو غيره
من أملاك المسلمين ومن لم تكن له شوكة عمل الحيل الكثيرة على ذلك حتى
تخرب وتهدم وهذا ضرر عظيم حتى صار بعض أهل الأديان الباطلة اذا أراد
أن يخرب مسجدا أودار مسلم بينه وبينه عداوة كتب فى ورقة أن موضع
كذا فيه كذا وكذا ويكتب تاريخها قديما ويخربها حتى تبقى كأنها ورقة

عتيقة ثم يعلقها في موضع من يعلم أنه يفعل ذلك بسبب قدرته عليه امايايه.
الباطشة أو كثرة التحيل فكان ذلك سببا لتخريب مساجد المسلمين ودورهم
يدلك على ذلك أن أكثر اليهود والنصارى قل أن تحفر لهم دار أو كنيسة أو بيعة
والكل في بلد واحد وموضع واحد . ثم ان بعض أهل الأديان اذا عجزوا عن
تخريب المساجد والدور تسلطوا على تعب المسلمين في أبدانهم وخسارتهم في
أموالهم فيكتبون أوراقا في ذروة الجبل الفلاني من الناحية الفلانية منه كذا
وكذا اذا حفرت فيه كذا وكذا وقست كذا وكذا تجد فيه كذا وكذا وفي
ورقة أخرى الغار الفلاني في جهة كذا وكذا منه تحفر قدر كذا وكذا تجد
كذا وكذا الى غير ذلك وهو كثير وكل هذا باطل . ثم على تقدير أن يكون
شيء من ذلك صحيحا فعليه المهالك الكثيرة لأن من فعل ذلك انما هو من الامم
الماضية فلم يضعوا شيئا الا وقد أحاط به مهالك عظيمة فقل أن يصل أحد الى
ذلك الا بعطبه وعطب غيره . ثم ان ما يوجد من ذلك في الأرض فلا يتخلو اما أن
يكون في فيافي الأرض من أرض العرب فذلك فيه الخمس يصرف في وجوهه
وباقه لو اجده سواء كان ذلك ذهبا أو فضة أو لؤلؤا أو نحاسا أو حديدا أو رصاصا
كل ذلك سواء فيه الخمس . والذي يؤخذ منه الخمس ثلاثة هذا واحد منها . والثاني
الندرة توجد في المعدن بغير مؤنة أو بمؤنة يسيرة والثالث الغنيمة . وأما ما يوجد
في غير أرض العرب فلا يتخلو ذلك من وجهين أحدهما أن يكون ذلك الموضع
أخذ عنوة والثاني أن يكون أخذ صلحا فان كان عنوة فهو لتلك الجيوش الذين
فتحوا ذلك الموضع ثم لأولادهم ثم لأولاد أولادهم وذلك موجود في الغالب
اذن أولاد الصحابة موجودون بين أظهرنا في هذا الزمان وان كانت صلحا
فما يوجد في ذلك الموضع فهو لأهل الصلح فان عدموا فلا ولادهم ثم لأولاد
أولادهم وهم أيضا موجودون وهلم جرا . وللمسئلة فروع موجودة في كتب

الفقهاء . فالحاصل من هذا أن واجده ليس له فيه شيء الا التعب واشغال ذمته بشيء كانت عنه في غنى وقد يكون ذلك سبب هلاكه واذا كان ذلك كذلك فالعاقل اللبيب يتعين عليه الفرار من هذا وماشاكله اذ ان غنيمته المسلم انما هي براءة ذمته ومن اشتغلت ذمته قل أن يتخلص فالسعيد من لجأ الى الله تعالى في اعانتة على ذلك فانه الكريم المنان اللطيف الرحمن .

(فصل) وأما الاشتغال بتحصيل علم الكيمياء فهو من الباطل البين والغش المتعدى ضرره لأهل زمانه ومن بعدهم وذلك أن من فعلها فقد خلط على الناس أموالهم وبخسها عليهم اذ أنهم يخلفون في فعلها . فمنهم من يعملها ولاعلم عنده أنها تتغير بعد زمان وذلك الزمان يختلف بحسب القلة والكثرة . وكثير منهم من يعلم أنها تتغير ويغش الناس بها فيشغلون ذمتهم بأموالهم وكل ذلك حرام سحت . ومنهم من يزعم أنها لا تتغير وهو بعيد بولو قدرنا عدم تغييرها فذلك لا يجوز أيضا لأن الذهب المعدني والفضة المعدنية ينفعان لأمراض ولهما خاصية في الأدوية وغيرهما يعود بالضرر على المريض فيزيد مرضا أو يموت بسببه لأنه لا بد أن يكون في غير المعدني عقاقير قد يسقم بعضها وقد يقتل بعضها فعلى هذا فكل من تعاطى شيئا من ذلك فقد شغل ذمته بأموال الناس ودمائهم . وقد سمعت سيدي أباحمد رحمه الله يقول ان صرفها لا يجوز حتى يبين أنها من عمل يده وليست بمعدنية وهذا الذي قاله رحمه الله من اجازة ذلك بعد البيان لا يسوغ في هذا الزمان بسبب أنه ان بين هو فن صارت اليه فالغالب أنه لا يبين والاحتراز من هذا متعذر . هذا وجه ووجه ثان وهو أنه ان بين أنها من صنعة يده تمزق عرضه والغالب أنه يؤول الى سفك دمه واذا كان كذلك فلا يعدل بالسلامة شيء . فاذا سلم من الاتصاف بطلب المطالب والكيمياء فليحذر من خلطة من يتعانى ذلك أو يشار اليه

بشيء ما فان ذلك سبب لاستشراف نفسه بسبب سماعه منهم ما يخوضون فيه وذلك يذهب بيهاء عزة الفقر وعزة الاياس اذ لا بد لمن خالطهم أن يشغف بشيء ما من حالهم ولو قل وذلك شغل للقلب عما هو فيه من التوجه والاقبال على المولى الكريم فيتعين على من تعلق بالارادة الهرب الكلى من يشار اليه بشيء من ذلك لأن حال المرید نظيف جداً والنظيف أقل شيء يقابله من الوسخية ثريه . ألا ترى أن الثوب المصبوغ في الغالب لا يؤثر فيه ما وقع فيه بخلاف الثوب الرفيع الأبيض النظيف فان أقل شيء من ذلك يدنسه . ولهذا المعنى يقال في صفتهم قلت ذنوبهم لمعرفة من أين أصيبوا وكثرت ذنوب غيرهم فلم يعرفوا من أين أصيبوا والكيمياء على الحقيقة انما هي الرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والنزول بساحة كرمه وطلب العبد منه ما يحتاج اليه من ضروراته لأنه عز وجل كما ورد في الحديث يستحي أن يرد يدي سائله صفراً . وقد قال عروة بن الزبير رضي الله عنه اني لأدعو الله في صلاتي لحوائى كلها حتى الملح العجيني وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى سلني حتى الملح لعجينيك فوعزتي وجلالي لئن منعتك فلا أحد يعطيك اياه أو كما قال وقد روى الترمذى ان النبي صلى الله عليه وسلم (قال ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسعه اذا انقطع) . فسبيل العبد طلب حوائجه من ربه عز وجل فان جاع يقول يارب أنا جائع وكذلك ان عطش أو تعرى الى غير ذلك من حوائجه كلها في جلب النفع ودفع الضرر . قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز ﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ وقال ﴿ ومن أصدق من الله قبيلاً ﴾ . فالعاقل اللبيب من شمر عن ساعديه وتوكل في الحقيقة على ربه وأتاب اليه . فاذا حصل للبريد هذا الحال فلو عرضت عليه الدنيا بخذا فيرها

ماقبلها ولا أقبل عليها لما حصل عنده من الاستغناء بربه عز وجل وحسن نظره له إذ أن مفاتيح هداياه لا تنحصر ولا ترجع الى قانون معلوم لأنه عز وجل لا يأخذه حصر ولا يقال في حقه أين ولا كيف فكذلك ماستره سبحانه وتعالى عن عبده من عطايه الجمّة وهداياه التي لا حصر لها . وقد حكى عن بعضهم أنه أصابته ضرورة وجوع شديد فتضرع الى الله سبحانه وتعالى في خلوته وطلب منه العطاء فسمع هاتفا وهو يقول أتريد طعاما أو فضة فقال بل فضة وإذا بصرة بين يديه فيها أربعمائة درهم . وقد حكى عن بعضهم أنه كان إذا طلب منه شيء أدخل يده في جيبه وأخرج ما طلب منه وكان أصحابه ينظرون الى جيبه ويقطعون بأنه لاشيء فيه ثم انه مع ذلك اذا طلب منه شيء في الحال أدخل يده في جيبه فأخرج منه ما طلب منه فسئل عن ذلك فأخبر أن الحضرم يأتيه بكل ما يطلب منه . وقد سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يحكى أنه كان يصحبه رجل من أهل الخير والصلاح يعرف بأبى عبد الله بن الطفيل وكان صاحب عائلة وفقير وكان الناس في سنة شديدة وغلاء فجاء ليلة بعد أن صلى العشاء الآخرة في جماعة الى بيته فوجد أولاده يبكون فقال لأهمهم مم يكون فقالت من الجوع قال فتركتهم على تلك الحالة وطلعت على سطح البيت ومرغت خدى على الأرض وقلت يارب هؤلاء يبكون الى وأنا أبكى اليك اعطنا شيئاً نأكله قال فاذا سحابة قد طلعت فجاءت فعمت الدار فأمرت فولا على الدار وحدها قال فنزلت الى الأولاد وأخبرتهم فطلعوا فأكلوا حتى شبعوا ثم بقى عندهم يأكلون منه الى أن دخل القمح الجديد . وقد تقدمت حكاية سيدى الشيخ أبى محمد رحمه الله في أنه بقى في وقت لا يحتاج الى أكل ولا شرب قال ولو بقيت كذلك لم احتج الى شيء طول حياتى لكن رجعت الى الأكل من طريق الامتثال للسنة لا غير . فمن رجع الى الله تعالى فطرق الفتح له متعددة في كل زمان وأوان

ولاحجة لمن يقول ان هذا زمان وذاك زمان . لأن المعطى فيهما واحد لا يتغير ولا يزول . والعجب من يتوكل على الله في نجاته من النار وجوازه على الصراط وشره من الحوض ودخوله الجنة الى غير ذلك ولا يتوكل عليه في كسيرات يقيم بها صلبه وفي ثوب يستر به عورته . ولاجل هذا المعنى كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول لو كان الايمان بسوق يباع فيه لما ساوى ايمان أحدكم كسيرة فيسأل عن ذلك فيقول كل واحد منا يتوكل على الله تعالى أن ينجيه من جميع أهوال يوم القيامة بسبب ايمانه ويقول فضل الله أعظم ورحمته أوسع ثم ان الايمان الذى أعده لنجاته من تلك الأهوال ماخلصه للتوكل على الله تعالى في كسيرات يقيم بها صلبه ويقول لا بد من السبب فلو انقطع عنه السبب أيس وضجر وشكا وبكى . فاذا لم يخلص ايمانه في هذا النزر اليسير فكيف يخلصه مما بين يديه من الأهوال ففضل الله أعظم ورحمته أوسع في هذا النزر اليسير من باب أولى وأوجب لقوله عليه الصلاة والسلام (لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب) لكن المولى سبحانه وتعالى يبتلى خلقه لينظر كيف يعملون ليقع الجزاء وفاقا كما قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فالسعيد من كان فرحاً مسروراً بربه وبحكمه وبارادته ماقتاً لأحوال نفسه ورأيه وتديره اللهم لاتحرمنا ذلك بمنك انك على كل شىء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فصل فى دخول المرید الخلوۃ

وينبغى للمرید أن لا يدخل الخلوۃ بنفسه لأن الخطر فى ذلك عظيم لما يخشى عليه من القواطع الرديئة مثل ما تقدم ذكره من حصول عربة أو جنون أو فعل نشاف أو غير ذلك من المهالك لأن الخطر فيها كثير متعدد . وقد قال نعمان

علیه السلام فی وصیته لولده یابن علیک بذوی التجارب لأن من جرب قد دخل
 فی المخاضة وعرفها وعرف موضع السلامة فیها وموضع العطب فعلم ما یتجنب
 منها وما یحذر وما ینبغی أن یفعل وما یتعان به
 ﴿فصل﴾ و أكد داعلیه فی خلوته التعلق بر به والسکون الیه وانقطاع
 رجائه ممن هو مخلوق مثله . ومن کتاب سیر السلف للامام الحافظ اسماعیل بن
 محمد بن الفضل الاصبهانی رحمه الله ولقد قال شقیق البلخی رحمه الله من أراد
 أن یعرف معرفته بالله فلینظر الی ما وعده الله ووعدہ الناس بأیها قلبه أوثق
 وقال اتق الأغنیاء فانک متى عقدت قلبک معهم وطمعت فیهم فقد اتخذتهم ربا
 من دون الله . وقال اذا أردت أن تكون فی راحة فکل ما أصبت والبس ما وجدت
 وارض بما قضی الله علیک . وقال من دار حول الشهوات فانه یدور بدرجاته
 فی الجنة لیأکلها فی الدنیا . وقال یحیی بن معاذ الرازی العبادة حرفة وحوانيتها
 الخلوۃ ورأس مالها الاجتهاد بالسنة وربحها الجنة . وقال الصبر علی الخلوۃ من
 علامات الاخلاص . وقال اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء
 الغافلین والقراء المداھنین والمتصوفة الجاهلین . وقال الزهد ثلاثة أشياء القلة
 والخلوۃ والجوع . وقال علی قدر حبک الله یحبک الخلق وعلی قدر خوفک
 من الله یخافک الخلق وعلی قدر شغلك بالله یشغلك الخلق فی أمرک الخلق
 وقال أبو حفص عمر النیسابوری لو أن رجلا ارتكب کل خطیئة ما خلا الشریک
 بالله وخرج من الدنیا سلیم القلب لأصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم غفر له
 قیل یا أبا حفص هل لهذا فی القرآن من دلیل قال بلی قوله تعالی ﴿قل ان کنتم
 تحبون الله فاتبعونی یتبعکم الله﴾ فاتباعه محبة أصحابه لأجله وقال أبو القاسم
 الحکیم السمرقندی کم من مستدرج بالاحسان الیه وکم من مغتر بالثناء علیه
 وکم من مفتون بالستر علیه . وقال أبو تراب النخشی رحمه الله الفقیر قوته

ما وجد ولباسه ماستر ومسكنه حيث نزل . وقال حقيقة الغنى أن تستغنى عن
هو مثلك . وقال الذى منع الصادقين الشكوى الى غير الله الخوف من الله
وكتب أبو الأيضا كتابا الى بعض اخوانه سلام عليك ورحمة الله وبركاته
وانى أحمده الله الذى لا اله الا هو أما بعد فانك لم تكلف من الدنيا الانفسا واحدة
فان أنت أصلحتها لم يضرك فساد غيرها وان أنت أفسدتها لم ينفعك صلاح غيرها
واعلم أنك ان تسلم من الدنيا حتى لا تبالي من أكلها من أحر وأسود . قال شقيق
ابن أدهم البلخى رحمه الله تعرف تقوى الرجل فى ثلاثة أشياء فى أخذه ومنعه
وكلامه . وقال دخل الفساد فى الخلق من ستة أشياء أولها ضعف النية فى عمل
الآخرة والثانى صارت أبدانهم رهينة بشهواتهم والثالث غلبة طول الأمل على
قرب أجلهم والرابع اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وراء ظهورهم والخامس آثروا رضى المخلوقين فيما يشتهون على رضى خالقهم فيما
يكرهون والسادس جعلوا أدلالت السلف دينا ومناقب لأنفسهم . وقال حاتم
الاصم الزم خدمة مولاك تأتيك الدنيا راغمة والجنة راغبة . وينبغى أن يكون
دخول المرید الخلوۃ على يد شيخ متمكن فى العلمين علم الحال وعلم السنة ان أمكنه
ذلك ولا يدخل بنفسه كما تقدم . واذا كان ذلك كذلك فالشيخ لا يخلو حاله من
أحد أمرين . اما أن يكون عنده من المكاشفات وخرق العادات ما يبده المرید
فى خلوته فان كان كذلك فهو الكبريت الاحمر الذى لا يفوقه غيره والسلامة
بل الغنيمة موجودة على يده متيسرة لأنه يعرف مزاج المرید وقدر ما يحمل
من المجاهدات وقدر ما يشق عليه منها وقدر ما يخاف عليه ومن سعادة المرید
ان وجد من هذه صفته . واما أن يكون الشيخ ليس من أهل المكاشفات
ولا ظهور خرق العادات فلا بد أن يكون عنده العلم حاصلًا بالتجربة لأنه قد جرب
ذلك واطلع على المفاصد والمصالح وما يليق بالمرید فى خلوته وما يقع له من جهة

العادات . والحذر الحذر أن يدخل بنفسه خيفة من مواضع العطب . وأعنى بدخول الخلوۃ هنا ما يستعمله المرید من المجاهدات وأما لو خلا بنفسه دون مجاهدة فلا يحتاج هذا الى شيخ يسلكه بل لسان العلم قائم عليه مطلوب به في الخلاء والملاّ لافرق اذذاك في حقه مع أنه اذا اتبع لسان العلم في هذا الزمان في خلوته وجلوته فهو ولي وقته لأجل حال الزمان فما أسعده ان قدر على ذلك وهذه الطريقة هي طريقة السلف الماضين رضی الله عنهم أجمعين أعنى ترك دخول الخلوۃ على نظام معلوم . ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يربى أصحابه تحت ظلال السيوف وفي الأسواق يحترفون وفي الحوائط يعملون . وإنما حدثت الخلوۃ على يد المرين بعد انقراضهم رضی الله عنهم . وكان سيدي أبو محمد بن أبي جمره وسيدي أبو محمد المرجاني رحمهما الله يقولان إنما جعلت الخلوۃ للنبات الأبرار . وإنما جعلت للمریدين لما أن كثرت الفتن والمخالفات فاحتاج المریدون اذذاك الى الفرار لأجل صلاح دينهم وقلوبهم وخواطرهم وليس لهم السبيل الى ذلك الا بدخول الخلوۃ والقلوات . والمقصود أن لا يدخل الخلوۃ المعهودة عند السالكين الا بعد المعرفة بمصالحها ومفاسدها والدسائس التي تطرأ عليه فيها فان كان على يد شيخ فيشترط في الشيخ أن يكون عارفا بحال المرید وما يتقلب فيه من الأطوار وما يليق بحاله كما تقدم لأن الشيخ له مراتب عديدة وكذلك المرید مثله . وألخص من ذلك ما سمعت سيدي أبا محمد يقوله نظر الأذني بعين الأذني يوجب الهلاك ونظر الأعلى بعين الأذني يوجب الحيرة ونظر الأعلى بعين الأعلى هو السمو والرفعة ونظر الأعلى للأذني بعين الأعلى يوجب التعب له ولا يتبعه ونظر الأعلى للأذني من جنسه يوجب الراحة له ولا يتبعه . أما قوله نظر الأذني بعين الأذني يوجب الهلاك . فمثاله النظر الى الدنيا وزينتها بعين التمني والاشتهاء فذلك يوجب الحرص والحسد والتقاطع والتدابير وهو عين

الهلاك . قال الله تعالى ﴿ ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ﴾ وكذلك أيضا النظر الى أهل المعاصي لأنك اذا نظرت اليهم فان كنت على معصية فبالنظر لمن يفعل ما هو أكبر منها يهون عليك ما أنت فيه من المخالفة ويصغر في عينك ذنبك فيكون ذلك سببا الى الزيادة في المعصية وهذا هو عين الهلاك نعوذ بالله من ذلك . وأما قوله ونظر الأعلى بعين الأذنى يوجب الحيرة . فمثاله المبتدى ينظر الى أهل النهايات فيريد أن يتشبه بهم في تعبدهم وتصرفهم مرة واحدة فانه لا يستطيع ذلك ومن تناهى في ذلك الشأن لم يكن أخذه لذلك مرة واحدة وانما هم يأخذون الشيء اليسير ويقتصرون عليه ثم يزيدون على ذلك قليلا قليلا حتى يحصل لهم من العلم والتعبد أو فر نصيب وتستغرق أوقاتهم في ذلك وهم لم يشعروا به ولم يتعبوا فيه لرفقهم وسياستهم وقد قال عليه الصلاة والسلام (ما كان الرفق في شيء الا زانه وما كان الخرق في شيء الا شاناه) وقال عليه الصلاة والسلام (علموا وارفقوا) اللهم الامن ندر من الفضلاء فدخل في ذلك مرة واحدة فذلك محمود وما ندر لا يحكم به . نعم اذا وقع المرء هذا الحال فلا ينبغي له التشبث بما قد ذكر وانما الكلام فيمن بقى مع نفسه فشأنه ما تقدم عن أحوال من تقدم ذكرهم كيف كان كسبهم ولم اكتسبوه وان لم يفعل ذلك تحير في طريقه وحير من لاذبه . هذا هو عين الحيرة نعوذ بالله من ذلك . وأما قوله ونظر الأعلى بعين الأعلى هو السمو والرفعة . فمثاله الرجل العالم ينظر لمن هو أعلم منه فيعمل على أن يصل الى ما وصل اليه فيجتهد في طلب العلم والرجل الصالح ينظر لمن هو أصلح منه فيجتهد في التعبد ويزيد في عمله على ما تقدم بالرفق والسياسة حتى يلحق بمن نظر اليه . ولهذا المعنى الذي أشار الشيخ اليه قال عليه الصلاة والسلام (خصلتان من كاتفايه كتب عند الله شاكر اصابرا أن ينظر في الدين لمن هو أعلى منه فيقتدى به وأن ينظر في الدنيا لمن هو أقل منه

فیحمد الله الذی فضله علیه) هذا هو السمو والرفعة اللهم من علمنا بذلك ولا تجعل حظنا منه الکلام بمحمد وآله . وأما قوله ونظر الأعلى للادنی بعین الأعلى یوجب التعب له ولاتباعه . فمثاله من کان من أهل الفضل والخیر وأقامه الله فی مقام من مقامات أهل النهايات اذا جاءه أحد من یرید أن یرجع الی الله ویتوب یرید من حینه أن یحمله علی المقام الذی هو فیہ من غیر سباسة تقع له قبل ذلك ولا تدریج هذا ذو التعب مع نفسه لاشک فیہ لانه یرید أن یحمل الناس علی طریقہ وهم لا یساعدونه علی ذلك ومن تبعه فی التعب أكثر لانهم یدعون الی مقام لاطاقة لهم به ولا یقدرون علیه . ولاجل هذا المعنی کان كثير من أهل السبق والخیر اقتصر خیرهم علی أنفسهم ولم ینتفع بهم من لاذ بهم وبخدمتهم أعنی فی الاقتداء وأما البرکة فلا بد من حصولها غالباً للحديث الوارد (هم القوم لا یشتقی بهم جلسهم) نسأل الله أن لا یجر منا من برکاتهم بمنه وأما قوله ونظر الأعلى للادنی من جنسه یوجب الراحة له ولاتباعه . فمثاله الرجل الصالح المتسکن فی طریقہ اذا جاءه أحد من یرید التوبة والرجوع أخذه بالطف والرحمة وأقبل علیه وساس حاله برأیه السدید وتدییره الرشید فینظر له من جنسه علی لسان العلم ما یصلحه وما هو العون له علی ما أراد ثم یرقیه بعد ذلك شیئاً فشیئاً حتی قد یبلغ فی أقل زمان الی المرتبة العلیا بحسن تدیر هذا السید وسیاسته اياه . وصاحب هذا الحال هو أعظم من تقدم وأفضلهم وهو الجاری علی السنة لأن الله عز وجل لم ینزل الفروض أو لامة واحدة ولا أمر بالقتال أو لامة أمر أو لامة بالتوحید لا غیر وأمر نبيه محمداً علیه الصلاة والسلام بسباسة الناس والطف بهم فقال تعالی ﴿واخفض جناحک لمن اتبعک من المؤمنین﴾ ثم لما أن ظهر المشرکون علی المؤمنین أمر عز وجل نبيه علیه الصلاة والسلام بالخروج من مکة الی المدينة ولم یأمره بالقتال ثم لما أن کثر المؤمنون وظهرت الکلمة نزلت الفروض شیئاً

فشیئاً فلما أن تقر لهم الدين وتقوى أهل الاسلام فعند ذلك أمر عز وجل بالجهاد باللسان قبل الأمر بالقتال فقال عز وجل ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ فلما أن تقوى الأمر أكثر من ذلك أمر عز وجل بقتال الأقربين من الكفار فقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ فلما أن تقوى الأمر وظهر أمر الله عز وجل بالقتال مطلقاً فقال عز وجل ﴿ وقاتلوا المشركين كافة ﴾ ثم ان الفروض لم تتم الا في حجة الوداع قال تعالى فيها ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ﴾ فهو سبحانه وتعالى العالم بعباده وبما يصلحهم فلو كان أمرهم ومخاطبتهم أولاً بالقتال وبجملة الفروض فيه مصلحة ومنفعة لهم لأمر بذلك أولاً ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ وصاحب الحال الذي أشار الشيخ رحمه الله اليه أخيراً مضى على هذا الأسلوب فانتفع بنفسه واستراح وانتفع الناس به ووجدوا الراحة في ذلك على يديه وهذا هو الأصل وعليه العمل . وقد قال عليه الصلاة والسلام (خاطبوا الناس على قدر عقولهم) فليس من دخل في التعب وتمرن فيه وكثرت المجاهدة لديه كمن ابتداء الدخول . ولاجل هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام في السوداء حين سأله أين الله فقالت في السماء فقال لصاحبها اعتقها فانها مؤمنة ففنع عليه الصلاة والسلام منها بالاقرار بأن الله واحد موجود وذلك ينفي ما كانوا يعتقدون من أن الأصنام هي الآلهة في الأرض فالله السماء والله الأرض هو الله الواحد الأحد الموجود لأنه سبحانه وتعالى حل في السماء تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً إذ أن السماء مخلوقة له ولا يحل الصانع في صنعته ومعاذ بن جبل رضى الله عنه الذي كانت هجرته قديمة وتمكن من العلم ومن فعل الخير حين سأله عليه الصلاة والسلام كيف أصبحت فقال معاذ أصبحت مؤمناً حقاً فقال عليه الصلاة والسلام لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك فلم يكتف

من معاذ باللفظ الأول حتى سأله عن حقيقة إيمانه وقع من السوء بما قد ذكرت لأجل ما بينهما من العلم وأنواع التعبد والله الموفق للصواب

(فصل) وينبغي للمرید إذا اجتمع له في زمانه أو بلده مشايخ يرجو برکتهم وهو بعد لم يسكن إلى أحد منهم فينبغي له أن ينظر إلى حاله بعد انفصاله عن كل واحد منهم فن حصل له بالاجتماع به منهم علم أو انابة أو رجوع فليشديه عليه وان كان غير ذلك فلا حاجة تدعو إلى العودة إذ أن خطاه تبقى لغير فائدة. سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يعيب هذا ويقول لا ينبغي للمرید أن يتردد إلا لموضع تحصل له فيه فائدة أو فوائد ولا يكون مثل بهيمة السانية (١) لاتزال تمشي طول يومها وهي لم تبرح من موضعها ذلك. ولا ينبغي أن يسيء الظن به لم يحصل له منه شيء إذ أن ذلك محتمل لوجهين الأول أن يكون المزور من الأكابر والفضلاء لكن أصحابه معلومون معروفون بخيره مقصور عليهم لا يتعداهم فإذا لم يجد المرید زيادة عند زيارته فيعلم أنه ليس له عنده نصيب فترك ذلك به أولى. وقد يكون آخر خيره مقصورا على نفسه لا يتعدى لغيره. ووجه ثالث يفصل فيه بين أن يكون المرید من أهل التمييز لما تقدم ذكره فإن كان كذلك فخمه ماسبق وان لم يكن في تلك الدرجة فالمواظبة على رؤيتهم واغتنام برکتهم به أولى ما لم يعارضه أمر شرعى من ارتكاب بدعة أو رؤيتها أو شيء من المكروهات أو يحصل له بسبب ذلك بطالة أوقاته عما هو بصدده ويكفيه من ذلك زيارتهم في وقت دون وقت كما تقدم في زيارة طالب العلم لهم. وبالجملة فأحوالهم في هذا المعنى لاتتضبط والقليل النادر منهم من يكون خيره عاما لسائر الناس. فالحاصل من هذا أن المرید له اتساع في حسن الظن بهم وفي ارتباطه على شخص واحد يعول عليه في أمره ويحذر

(١) السانية كالمشبية هي الناقة التي يسقى عليها

من تقضى أوقاته لغير فائدة. قال سيدى أبو مدين رحمه الله عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لا عليك. لأن الفكر فيما مضى هو من باب ندب الأطلال كما تقدم والفكر فيما يأتى ادعاء من النفوس تحصيل الأعمال وهو لا يعرف ما يبرز من العلم الممكنون والتقدير المغييات عنا وهى كثيرة

﴿فصل﴾ وينبغى للريد أن يكون أشد الناس نظرا الى نعم الله تعالى عليه والى لطفه به واحسانه اليه قال الله عز وجل فى كتابه العزيز ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم وائىن كفرتم ان عذابى لشديد﴾ بيان ذلك أن المرید يصبح عليه الصباح فينهض الى صلاة الصبح فى وقتها فى جماعة ويذكر ما قدر له ثم يجلس بعد ذلك فى مجلس علم فيفهم بعضه أو كله ثم يأتى الى من يعتقده فيتكلم معه فى مسائل من الخير ثم يصلى الصلوات الخمس فى جماعة وان فتح له فى شىء من أوراد الليل أو أوراد الصوم فبخ على بخ فان قيد هذه الأشياء بالشكر زادت أوتمادت وان رأى وهو الغالب أنه فى نفسه لاشىء وأنه لم يفتح عليه بشىء فهذا يخاف عليه لقوله تعالى ﴿وائىن كفرتم ان عذابى لشديد﴾ والكفر عام ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام فى أمر النساء (انهن أكثر أهل النار قيل بم يارسول الله قال بكفرن قيل أيكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان) وقد بوب البخارى رحمه الله لهذا المعنى فقال باب كفر دون كفر وكثير من الناس من يغفل عن هذه النعم فلا يقيد بها بالشكر كما تقدم لأجل أنه يستقلها فتذهب عنه فليحذر من هذا كله جهده. ولا يظن ظان أن قول من قال ان الصديقين لا يكونون فى يومهم على ما كان عليه حالهم بالأمس بل يزدادون فى اليوم الثانى ترقيا. ومن ذلك قول عائشة رضى الله عنها كل يوم لا أتخذ فيه برا أو قالت لا أزداد فيه علما لا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم. لأن المؤمن اذا جاءه اليوم الثانى فلا بد له فيه من أداء الفرائض وتوابعها وما يتلقاه من الأمر والنهى والترغيب

والترهيب والتحذير فيتبع ذلك ويعمل على خلاص مهجته في يومه وذلك ترق لاشك فيه . ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أخرجه مالك رحمه الله في موطنه (ان آخرين مات أحدهما قبل صاحبه بأربعين يوماً فأثنى الصحابة على الأول فسأل عليه الصلاة والسلام عن الثاني فقالوا لا بأس به فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم ما بلغت به صلاته إنما مثل الصلاة كمثل نهر غمر عذب بياب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فهل ترون ذلك يبقى من درنه شيئاً قالوا لا فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم ما بلغت به صلاته) وقد قال بعض الشيوخ أن الدوام على الحال زيادة فيه فإذا أصبح المرید وامثل ما كلفه فهو زيادة في حقه ثم كذلك الى حين أجله فينبذ تطوى صحيفة عمله فلا زيادة بعدها فان حصل للمرید زيادة على ماتقدم ذكره فبخ على بخ والا فالطريق حاصل له والحمد لله فليحذر أن يكفر هذه النعم بترك النظر الى من من عليه بها وأحسن اليه فيها

(فصل) و ينبغي للمرید أن يكون عارفاً بالخواطر حسنها وسيئها فاما أن يميز ذلك بنفسه أو يكون على يد شيخ عارف بها اذ أن الخواطر والهواجس والهواتف لا تنحصر أعدادها ولا يمكن حصرها لكثرتها وتشعبها فأشكلك عليه أكثر ما يقع منها وتلبس الأمر عليه فان وقف مع ما يقع له من ذلك قل أن يتخلص ويذهب عليه أكثر زمانه بغير عمل لان اللعين اذا لم يقدر على المرید من جهة الترك أتاه من وجوه آخر لا تنحصر فاذا كان مميّزاً للخواطر وغيرها انسدت هذه الثلثة الكبرى . والخواطر أربعة رباني وملكي ونفساني وشيطاني . سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول الرباني أولها وهو مثل لمحة البرق لا يثبت والنفساني يعقبه مثل المصلي مع السابق فما يمر ذاك الا وقد استقر هذا في محله وحدث وسول وشهى ولأجل هذا المعنى وقع الخلف عند بعض من ينسب الى شيء

من هذا المعنى وماذاك الا لسرعة ماتقدم ذكره فيخبرون بأشياء قبل أن تقع في الغالب وان وقعت بالمصادفة لان ذلك من جهة أخبارهم وأما المحققون المميزون للخاطر الأول فقل أن يخبروا بشيء الا ويقع كما أخبروا به لأن ما كان من عند الله فهو واحد لا يختلف قال تعالى ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ وهذه الخواطر ليست خاصة بالشيوخ والمریدین بل هي موجودة فيهم وفي غيرهم لكن التمييز يختص به من يختص ومع ذلك فمن تحقق بهذه الخواطر فلا بد لها أن يزنها على لسان العلم فما وافق أمضاه والا تركه لان التكليف لا يقع الا من جهة الشرع المنقول وغير ذلك لا يعول عليه الا على سبيل التبع والتأنيس . وأما الخاطر الملكي فهو كل خاطر يأمر بطاعة أو خير ما اذا كان سالما من الوصول الى ما لا ينبغي أو يتوقع معه ترك أو بطالة وقت فان كان كذلك فليس من الملكي في شيء . وأما الخاطر الرابع وهو أرذلها وهو الخاطر الشيطاني فهو لا يأمر بخير أصلا الا أن يكون ذلك الخير يؤدي الى الشر ويقع الفرق بين الخاطر النفساني والشيطاني بأن الشيطان لا يريد الا الوقوع في المخالفة كيف كانت ومن حيث كانت فان عجز عن هذه المعصية تركها وأتى الى معصية أخرى فهو ينتقل من حال الى حال اذ مقصوده انما هو المخالفة من حيث هي كائنه ما كانت والخاطر النفساني هو الذي يلزم أمرا واحدا لا يفارقه فان أنت رددته عليه ألح به عليك وقال لا بد من وقوعه ويمنيك بالتوبة والاستغفار بعده ويعدك بالغرور وأنت اذا نلت ما ألقته اليك تفعل أنت ما تحب أن توقعه من الطاعات فيحتاج المرید الى التشمير الى معرفة هذه الخواطر حين نزولها به وما يترتب عليه من الأحكام فيها فان لم يكن عارفا بها ولم يكن تحت نظر شيخ يرجع اليه عند اشتباه الأمور عليه فيأخذ معه فيها والا فإسان العلم عليه قائم وهو المرجوع اليه عند الاختلاف وهو طريق

السلامة التي لاشك فيها والعطب في غيرها موجود غالبا الا لمن عرف الحكم عليه في ذلك والله الموفق

فصل جامع لبعض آداب السلوك ولبعض الآثار

عن السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين

ومنع ما تقدم ذكره فلا بد له من الخلووات اذ أنه بسببها يدرك المكلف ما هو فيه من الخطر ومن النعم ومن تحف المولى سبحانه وتعالى ويتبين له بها أشياء كثيرة مما مضى عليه سلفه . ألا ترى الى بركة هذه الحكم التي ينطقهم الله بها اذ أن ذلك ليس في قوتهم ولا من قدرتهم الا ببركة توجههم واقبال المولى سبحانه وتعالى عليهم وأعظم ما يتوصلون به الى هذا المعنى التزام الخلووات كما تقدم . فانظر رحمتنا الله واياك الى ما نقله الامام الحافظ اسماعيل ابن محمد بن الفضل الأصفهاني رحمه الله في كتاب سير السلف له عن أبي حازم رحمه الله ونفع به وأعاد علينا من بركاته أنه قال قد رضيت من أحدكم أن يتقى على دينه كما يتقى على دنياه وقال شيثان هما خير الدنيا والآخرة اذا عملت بهما أتكفل لك بالجنة ولا أطول عليك قيل وما هما قال تحمل ما تكره اذا أحبه الله وتترك ما تحب اذا كرهه الله . وقال أيضا قاتل هواك أشد ما تقاتل عدوك . وقال رجل له انك مشدد فقال مالي لأشدد وقد صدني أربعة عشر عدوا أما أربعة فشیطان يفتنني ومؤمن يحسدني وكافر يقاتلني ومنافق ييغضني وأما العشرة فالجوع والعطش والعري والحر والبرد والهزم والمرض والفقر والموت والنار ولا أطيقهن الا بسلاح ولا أجد لهن سلاحا أقوى من التقوى . وقيل له ما مالك فقال ثقى بالله واياسى مما في أيدي الناس وقال ما رأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من شئ تحن عليه وقال ينبغي

للدؤمن أن يكون أشد حفظاً للسانه منه لموضع قدميه وقال أفضل خصلة ترجى
للدؤمن أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه وأرجاه لكل مسلم . وقال بعضهم
ان لم يكن في المبتدى خمس خصال والافلاترجه عقل حسن واتباع السنة وصحبة
الأكابر ومن أين يأكل وحفظ لسانه وصيائته أو كما قال . ومن كتاب سير
السلف أيضا وقد قال أبو سفيان اذا رأيت العالم لا يتورع في علمه فليس لك
أن تأخذ عنه شيئا . وكان يقول وضعوا مفاتيح الدنيا على الدنيا فلم تفتح
و وضعوا عليها مفاتيح الآخرة فانفتحت . وقال رجل للجنيذ من أصحاب قال من
تقدر أن تطلعه على ما يعلمه الله منك وسئل مرة أخرى من أصحاب قال من
يقدر أن ينسى ماله ويقضى ما عليه . وقال قدمشى رجال باليقين على الماء ومات
على العطش أفضل منهم يقينا . وقال من عرف الله لا يسر الابنه . وقال لو أقبل
صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله .
وقال من نظر الى ولى من أولياء الله بقلبه وأكرمه أكرمه الله على رؤس
الاشهاد . وقال ذوالنون المصرى رحمه الله من علامات المحب لله متابعتة حبيب
الله فى أخلاقه وأفعاله وأوامره وسنته . وقال من نظر الى سلطان الله ذهب سلطان
نفسه لأن النفوس كلها فقيرة عند هيئته . وقال رويم رحمه الله لا تزال الصوفية
بخير ما تنافروا فاذا اصطالحوا هلكوا . وقال بن حنيف رحمه الله قلت لرويم
أوصنى فقال أقل ما فى هذا الأمر بذل الروح فان أمكنتك الدخول فيه مع هذا
والافلا تشتغل بترهات الصوفية . وقد قيل أن لقمان عليه السلام كان عبداً
أسود نوبيا وكان لبني فلان فقيل له ما بلغ بك ما نرى فقال تقوى الله وطول
الصمت وترك ما لا يعينى . ومن كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين للقاضى
أبي الوليد الباجى رحمه الله قال وروى عن أبي الدرداء أنه قال لولا ثلاث ما أحببت
أن أعيش يوماً الظمأ لله بالهواجر والسجود فى جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون

خيار الكلام كما تنتقى أطايب الثمر. وروى عن بلال بن سعد أنه قال زاهدكم راغب
 ومجاهدكم مقصر وعالمكم جاهل وجاهلكم مغتر. وقال بعض الحكماء جاهد نفسك
 بأصناف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من
 المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام
 موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة
 من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ الى الغايات فليس على العبد شيء أشد من
 الحلم عند الجفاء والصبر عند الأذى. وقال عيسى عليه الصلاة والسلام طوبى
 لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته. وقال الفربري اجتمع أصحاب
 الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته
 ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث إنما
 هو زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق إنما هذا زمان احفظ
 فيه لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر. وقال كعب
 الاحبار رحمه الله والذي نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل
 دموعى على خدى أحب الى من أن أتصدق بجبل من ذهب. وقال وهب بن
 منبه فقد زكريا ابنه يحيى عليهما الصلاة والسلام فوجده بعد ثلاث مضطجعا
 على قبر وهو يبكي فقال له ما هذا يا بنى فقال أخبرتنى أن جبريل أخبرك أن بين
 الجنة والنار مفازة لا يطوىء حرها الا الدهوع فقال ابك يا بنى. وقال عبد الله
 ابن عمر رضى الله عنهما لأن أدمع دموع من خشية الله أحب الى من أن أتصدق
 بألف دينار. وقال ابراهيم بن أدهم ان للذنوب ضعفا فى القوة وظلمة فى القلب
 وان للحسنات قوة فى البدن ونورا فى القلب. وقيل لسفيان الثورى رحمه الله
 لو دعوت الله عز وجل فقال ترك الذنوب هو الدعاء وأنشدوا
 خلقت من التراب فصرت حيا وعلمت الفصحى من الخطاب

وعدت الى التراب فظلت فيه كأنى ما برحت من التراب
 خلقت من التراب بغير ذنب وأرجع بالذنوب الى التراب
 ولقى حكيم حكيمًا فقال له انى لأحبك فى الله فقال لو علمت منى ما أعلم من
 نفسى لأبغضتنى فى الله فقال له الاول لو أعلم منك ما تعلمه من نفسك لكان لى
 فيما أعلمه من نفسى شغل عن بغضك . وكان الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف
 أصبحت قال أصبحنا ضعفى مذنبين نأكل أرزاقنا ونتنظر آجالنا وقيل للغيرة
 كيف أصبحت يا أبا محمد فقال أصبحنا معترفين بالنعم موقرين بالذنوب يتحجب
 الينا ربنا وهو غنى عنا وتبأغض اليه ونحن اليه فقراء . وقد قيل لابراهيم بن
 أدهم رحمه الله تعالى من أين عيشك فقال

نزع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا مانرقع

وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله كيف أصبحت فقال أصبحت طويلًا أملى قصيرا
 أجلى سيئًا عملى . كلام الباجى رحمه الله . ومن كتاب سير السلف أيضا وقال بشر
 ابن الحارث رحمه الله سمعت منصورا يقول لما خلق الله آدم قال انى جاعل لبصرك
 طبقا فاذا عرض لك أمر لا يحل لك أن تنظر اليه فاطبقه وانى جاعل لفيك
 طبقا فاذا عرض لك أمر لا يحل لك أن تنطق به فاطبقه وانى جاعل لفرجك
 سترا فلا تكشفه على ما لا يحل لك . وقد قال بعضهم الأصحاب ثلاثة صاحبك
 وصاحب صاحبك وعدو عدوك والاعداء ثلاثة عدوك وعدو صاحبك وصاحب
 عدوك . ومن كتاب الباجى أيضا رحمه الله وروى عن بعض العلماء أنه قال
 انما يدخل الله الجنة من يرجوها وانما يحنب الله النار من يخشاها وانما يرحم
 الله من يرحم . وقال لقمان لابنه يابنى خف الله خوفا لا تياس فيه من رحمته
 وارجه رجاء لا تأمن فيه من عقابه فقال يا أبتاه وكيف وامالى قلب واحد
 فقال يابنى ان المؤمن لو شق قلبه لوجد فيه نور رجاء ونور خوف لو وزنا لم يمل

أحدهما بصاحبه . وقال عبد الله بن دينار قال لقمان لابنه يا بني كيف يأمن النار من هو واردها وكيف يطمئن الى الدنيا من هو مفارقها وكيف يغفل من لا يغفل عنه يا بني لاشك في الموت فانك كما تنام كذلك تموت ولاشك في البعث فانك كما تستيقظ كذلك تبعث يا بني ان الانسان لثلاثة فنهه الله ومنه لنفسه ومنه للدود والتراب فأما ما كان لله فروحه وأما ما كان لنفسه فعمله خير أكان أو شرا وأما ما كان للدود والتراب فجسده . وقال سفيان الثوري ما أمن أحد على دينه الا سلبه . وقال أبو حنيفة أكثر ما يسلب الناس الايمان عند الموت وقال ابيس لعنه الله اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطلبه غيرها اذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وقال ابن القاسم قال مالك بلغني أن عيسى ابن مريم قال له رجل من أصحابه انك تمشي على الماء فقال له عيسى وأنت ان كنت لم تخطيء خطيئة مشيت على الماء فقال له الرجل ما أخطأت خطيئة قط فقال له عيسى فامش على الماء فمشي ذاهبا وراجعا حتى اذا كان في بعض البحر واذا هو قد غرق فدعا عيسى ابن مريم ربه فأخرج الرجل فقال له مالك ذهبت ورجعت ثم غرقت أليس زعمت أنك لم تخطيء خطيئة قط قال ما أخطأت خطيئة قط الا أني وقع في نفسي أني مثلك . وروى عن عاصم قال أم أبو عبيدة بن الجراح قوما مرة فلما انصرف قال مازال بي الشيطان آنفا حتى رأيت أن لي فضلا على من خلقي لا أووم أبدا . وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال ما كانت الدنيا من رجل قط الا لزم قلبه أربع خصال فقر لا يدرك عناءه وهم لا ينقضى مداه وشغل لا ينفذ لأواه وأمل لا ينقطع منتهاه وقال الأصمعي قيل لبعض الصالحين كيف حالك قال حال من يفنى ببقائه ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمته . وقال بعض الحكماء ان كان شيء فوق الحياة فالصحة وان كان شيء فوق الموت فالمرض وان كان شيء يعدل الحياة فالغنى وان كان شيء يعدل الموت فالفقر

اتتهى كلام الباجي رحمه الله . ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم وليلة ألف سجدة وكان يسمى السجدة . وقد أنشد بعضهم وغير تقي يأمر الناس بالتقى طيب يداوى الناس وهو عليل وقال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله من أراد أن يحبه الله عز وجل وأن تدعوه الملائكة ويحشر في زمرة النبيين ويعظم قدره عند الاولياء فليطع الله فيما أمره به ونهاه عنه ويلزم المنهاج الاول . وروى أن الله تعالى أوحى الى نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هبلى من قلبك الخشوع ومن عينك الدموع ثم ادعنى أستجب لك فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان . ومن كتاب سير السلف أيضا وقال محمد بن أسلم الطوسي لخادمه يا أبا عبد الله ان معى في قيصى من يشهد على فكيف أكتسب الذنوب انما يعمل الذنوب جاهل ينظر فلا يرى أحدا فيقول ليس يرانى أحد أذهب لأذنب أما أنا فكيف يمكننى ذلك وقد علمت أن داخل قيصى من يشهد على ثم قال يا أبا عبد الله مالى ولهذا الخلق كنت فى صلب أبى وحدى ثم صرت فى بطن أمى وحدى ثم دخلت الدنيا وحدى ثم تقبض روحى وحدى وأدخل قبرى وحدى ويأتينى منكر ونكير فيسألاننى وحدى فان صرت الى خير كنت وحدى وان صرت الى شر كنت وحدى ثم أقف بين يدى الله تعالى وحدى فان بعثت الى الجنة بعثت وحدى وان بعثت الى النار بعثت وحدى فمالى وللناس ثم فكر ساعة ووقعت عليه الرعدة حتى خشى أن يسقط ثم رجعت اليه نفسه ثم قال يا أبا عبد الله أصل الاسلام فى هذه الفرائض وهذه الفرائض فى حرفين ما قال الله ورسوله افعل ففعله فرضة ينبغى أن يفعل وما قال الله ورسوله لا تفعل فتركه فرضة ينبغى أن ينتهى عنه

﴿فصل﴾ وينبغى للمرید أن يتفقد حاله فى الاجتماع باخوانه ولا يواظب على الخلوة ويترك التبرك بهم وبسماع فوائدهم مع التحفظ عليهم وعلى نفسه جهده

قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن السلي رحمة الله في كتاب آداب الصحبة له
الصحبة على وجوه لكل وجه منها آداب ولوازم . فالصحبة مع الله تعالى باتباع
أو امره واجتناب نواهيه ودوام ذكره وتلاوة كتابه ومراقبة الاسرار أن يختلج
فيها مالا يرضاه والرضا بقضائه والصبر على بلائه والرحمة والشفقة على خلقه
وما ينحو نحوه من هذه الاخلاق الشريفة والصحبة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم باتباع سنته واجتناب البدع وتعظيم أصحابه وأهل بيته وأزواجه وذريته ومجانبة
مخالفته فيما دق وجل وما يجرى مجراه . والصحبة مع أصحابه وأهل بيته بالترحم
عليهم وتقدير من قدموه وحسن القول فيهم وقبول قولهم في الاحكام والسنن فان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) وقال عليه
الصلاة والسلام (انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتي) والصحبة
مع أولياء الله تعالى بالخدمة والاحترام لهم وتصديقهم فيما يخبرون به عن أنفسهم
وعن مشايخهم لأنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى
(من أهان لى وليا فقد آذنى بالمحاربة) والصحبة مع السلطان بالطاعة
إلا أن يأمر بمعصية أو بمخالفة سنة فاذا أمر بمثل هذا فلا سمع له ولا طاعة
والدعاء له بظاهر الغيب ليصلحه الله ويصلح عن يديه والنصيحة له في
جميع أموره والصلاة والجهاد معه . فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال (الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله
ولأئمة المسلمين وعامتهم) والصحبة مع الوالدين ببرهما بالنفس والمال وخدمتهما
في حياتهما وانجاز وعدهما والدعاء لهما في كل الأوقات ماداما في الحياة وحفظ
عهدهما بعد الممات وانجاز عاداتهما واكرام أصدقائهما فقد روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال (ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه) وعن
أبي أسيد مالك بن ربيعة قال (بيننا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه

رجل من بنى سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من بر أبوى شيء أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما واثبات عهدهما وكرام صديقتهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما) والصحبة مع الأهل والولد بالمدارة وحسن الخلق وسعة الصدر وتمام الشفقة وتعليم الكتاب والسنة والأدب وحملهم على الطاعات قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقدها الناس والحجارة﴾ الآية وقال عليه الصلاة والسلام (رحم الله والدا أعان ولده على بره بالافضال عليه) والصفح عن عثراتهم والغض عن مساويهم ما لم تكن اثما أو معصية . والصحبة مع الاخوان بدوام البشر وبذل المعروف ونشر المحاسن وستر القبائح واستكثار قليل برهم اليك واستصغار ما منك اليهم وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة الحقد والحسد والبغى والأذى وما يكرهون من جميع الوجوه وترك ما يعتذر منه . والصحبة مع العلماء بملازمة اكرامهم وقبول قولهم والرجوع اليهم في المهمات والنوازل وتعظيم ما عظم الله من محلهم حيث جعلهم خلفاء نبيه عليه الصلاة والسلام ووارثيه فانه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (العلماء ورثة الأنبياء) والصحبة مع الضيف بحسن البشر وطلاقة الوجه وطيب الحديث وازهار السرور والسكون عند أمره ونهيه ورؤية فضله واعتقاد المنته له حيث أكرمه بدخول منزله وتناول طعامه وقال بعضهم

من دعانا فأيننا فله الفضل علينا

فاذا نحن أتينا رجع الفضل إلينا

فصل في آداب صحبة الأعضاء

اعلم أن لكل جارحة من الجوارح آدابا تختص بها . فأداب البصر أن ينظر الى أخيه نظر مودة ومحبة يعرفها هو منك ومن حضر المجلس ويكون نظره الى

محاسنه والى حسن شئ يبدومنه وأن لا يصرف عنه بصره في وقت اقباله عليه وكلامه معه . وآداب السمع أن يستمع الى حديثه سماع مشته لما يسمعه مثلذبه وكذلك اذا كلمك لا تصرف بصرك عنه ولا تقطع حديثه بسبب من الأسباب فان اضطرك الوقت الى شئ من ذلك استعذرت فيه وأظهرت له عذرك . وآداب اللسان أن تكلم اخوانك بما يحبون فتختار وقت نشاطهم لسماع ماتكلمهم به وتبذل لهم نصيحتك وتدلم على ما فيه صلاحهم وتسقط من كلامك ما تعلم أن أخاك يكرهه من حديث أو لفظ أو غيرهما ولا ترفع عليه صوتك ولا تخاطبه بما لا يفهم عنك وتكلمه بمقدار فهمه . وآداب اليدين أن يكونا مبسوطتين لآخوانه بالبر والمعونة لا يقبضهما عنهم وعن الافضال عليهم . وآداب الرجلين أن يمشي اخوانه فلا يتقدمهم بل يكون تبعاً لهم فان قربوه تقرب اليهم بقدر ما يعلم من رغباتهم ثم يرجع الى موضعه ولا يقعد عن حقوق اخوانه معولا على الثقة بهم لأن الفضيل بن عياض قال ترك حقوق الاخوان مذلة

(فصل) اعلم وفقنا الله واياك أن هذه الآداب المذكورة انما هي آداب الظواهر وهي عنوان على آداب السرائر . ألا ترى الى ما روى في الأثر عنه عليه الصلاة والسلام أنه رأى رجلا يعبت بلحيته في الصلاة فقال عليه الصلاة والسلام لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه . واذا كان ذلك كذلك فمراعاة الباطن أوجب من مراعاة الظاهر لأن الظاهر للخلق والباطن للخالق وما كان للخالق فهو أوجب فلو جمع بينهما فهو الكمال والسعادة لمن اتصف بهما . وصفة اخلاص الباطن التحقق بالتوكل على المولى سبحانه وتعالى والخوف منه والرجاء فيه والاتصاف بالصبر وسلامة الصدر وحسن ظنه بربه وحسن ظنه باخوانه بالمؤمنين والاهتمام بأمورهم فاذا فعل ما تقدم ذكره قوى الرجاء أن يكون من الموقنين

﴿فصل﴾ قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله الاخوان أربعة أخ كالدواء وأخ كالغذاء وأخ كالداء وأخ كالدفلى . فالأول معدوم والثاني مفقود . والثالث موجود . والرابع مشهود . أما الأول الذي هو كالدواء فهو مثل المشايخ الذين أهلهم الله تعالى لتربية المريدين وكالصلحاء والعلماء فهم قدوة للمقتدين ومجالستهم تشفى الاسقام ظاهرا وباطنا . وقد كان المريدون قبل هذا الزمان يدخلون الى خلواتهم فان حصل لهم عجز أو كسل خرجوا الى مجلس واحد من هؤلاء الشيوخ فتنتعش قواهم بسماع كلامه ورؤيتهم له ويمدحهم بهمته فيتغذون بذلك ويرجعون الى خلواتهم أنشط ما كانوا أولافهم دواء للخلق أجمعين وأنت ترى تعذر هذا الزمان غالبا من هذه صفته . وأما الذي هو كالغذاء فهو مثل الأخ في الله تعالى المشفق الودود الحنون الذي يؤلمه ما يؤلمك ويسره ما يسرك ويجوع نفسه لجوعك ويتعري لعريك ويكابد ما نزل بك أكثر من مكابدة ما نزل به وأنت ترى فقده في هذا الزمان لكن بين الفقد والعدم فرق وهو أن المعدوم لا يوجد البتة والمفقود قد يوجد في موضع ما . سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول مراتب الاخوان ثلاثة لارابع لها . فالأول أن يكون أخوك عندك مثل أهلك وهو أعلاهم . والثاني أن يكون مثل أخيك الشقيق وهو أوسطهم . والثالث أن يكون عندك مثل عبدك وهو أقل الاخوان مرتبة فان عجزت عن ذلك فلا أخوة اذذاك أعنى الاخوة الخاصة بالفقراء وأما أخوة الاسلام فهي حاصلة . فأما الأخ الذي يكون عندك مثل أهلك فهو حال المريد مع شيخه اذانه ليس للولد مع أبيه حديث في شئ لقوله عليه الصلاة والسلام (أنت ومالك لأبيك) فحال المريد مع شيخه من باب أولى اذ أن المريد ليس له تصرف ولا اختيار في كل ما يحاوله الابرضا شيخه واذنه . وأما الذي عندك كأخيك الشقيق فهو حال المريد مع اخوانه وهو أقل رتبة من الأول

لأن الأخ الشقيق يقاسم أخاه في جميع الأشياء فإن أخذ الأخ ديناراً أو درهماً أو ثوباً أو غير ذلك أخذ الأخ مثله فكذلك حال المريد مع أخوانه بهذه الصفة إن لبس ثوباً كسا أخاه مثله وإن أكل طعاماً أطعم أخاه منه أو مثله إلى غير ذلك .
المرتبة الثالثة وهي أقل الدرجات في الأخوة وهي أن يكون عندك مثل عبدك أعني أن العبد يجب عليك أن تقوم بضرورته من غذائه وكسوته وما يحتاج إليه من ضروراته في صلاح دينه ودنياه وكذلك المريد مع أخيه إذ أنه لا يشبع المكلف وعبده جائع ولا يلبس وعبده عريان إلى غير ذلك . وقد خرج البخاري من حديث سعد المعرور بن سويد قال رأيت أبا ذر الغفاري وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألناه عن ذلك فقال أني سأبيت رجلاً فشكلني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم أعيرته بأمه ثم قال (إن أخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم) فإن تعذرت عليه هذه المرتبة الثالثة فينبغي أو يتعين عليه أن لا يدعى الأخوة لعجزه عن القيام بحقها إذ أنه قد يشبع وأخوه جائع وقد يلبس وأخوه عريان فيوجب على نفسه حقاً لم يكن عليه فتتعمر الذمة بالحقوق لغير ضرورة شرعية . وهذا المعنى قد كثر في هذا الزمان فاذا أحسنوا الظن بأحد من الفقراء طلبوا منه الأخوة فإن أجابهم لما طلبوه وجبت عليهم حقوق كثيرة ثم إنهم ينصرفون بعد الأخوة معه ولا يرجعون إليه غالباً بعد ذلك ولا يعرفون كيف حاله أبان جائعاً أم لا أو هو عريان أم لا . وقد يكون منهم من يتفقده لكن بالرؤية والسؤال ليس إلا دون اعانة ومشاركة فشغلوا ذمتهم بشيء كانوا في غنى عن ترتبه فيها . ألا ترى أن العبد إذا لم يقدر السيد على نفقته وكسوته أمره الشرع ببيعه فالبائع في حق العبد مقابله في حق الأخ فانك إذا عجزت عن المرتبة الثالثة نزلت

أخاك منزلة بيع العبد عند العجز كما تقدم . يشهد لذلك ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أن آخى بين المهاجرين والأنصار كان الأنصارى يقول لأخيه من المهاجرين عندى من المال كذا وكذا فلك نصفه ولى نصفه ولى من الزوجات كذا وكذا فاختر منهن ما تريد أنزل لك عنه وكان المهاجرى يسأل عن السوق وعن الحيطان يعمل فيها فهذا أصل مقرر فى الشريعة المطهرة . وقد حكى أن بعضهم جاء لزيارة أخيه فقيل له انه فى الموضع الفلانى وكان ذلك الموضع لا يدخله أحد الا للخالفة فتأوه وقال أخى يقع وأنا بالحياة فرجع الى بيته ودخل خلوته وعزم أن لا يخرج منها الا بأخيه فجاء أخوه الى بيته فأخبر بمجيئه اليه وسؤاله عن حاله فجاء مستغفرا تائبا الى بيته فسأل عنه فقيل له انه دخل الخلوّة فقال أخبروه بأنى قد تبت الى الله تعالى ورجعت اليه فما خرج اليه الا بعد أن تحقق قضاء حاجته فيه فينبغى أن تكون المؤاخاة على هذا الأسلوب فان رأيت أخاك قد غرق فتأخذ بيده وتنجيه من المهالك فان لم تكن لك قدرة فلا تدعيها اذ أن من ادعى ماليس فيه فضحته شواهد الامتحان . وأما القسم الثالث من التقسيم الأول للامام الشيخ الصقلى رحمه الله وهو قوله والثالث موجود فلا شك أنك اذا خالطت كثيرا من الناس فى هذا الزمان أو عاشرتهم بملاسة ما تجد من كثير منهم الأذية البالغة اما فى دينك أو دنياك أو عرضك وهذا هو الداء الذى لا شك فيه فان أنت خالطته وجدت ما ذكره رحمه الله . وأما القسم الرابع الذى قال عنه أنه مشهود فلا شك فى مباشرة ذلك فى هذا الزمان . ألا ترى أنك اذا تكلمت مع أحد منهم فى صلاح دينه فى شىء ما قابلك بانزعاج وخلق سيء وأقل جوابه أن يقول لك ما حقرت فى الناس الا أنا حتى تأمرنى وتنهانى أو يتسلط عليك ببدانة لسانه وينظر لك عورات يظهرها أو حسنات يخفيها أو يردها سيئات وهذا فيه من المرارة بحيث المنتهى كما هى الدفلى اذا تناولت منها شيئا وقد يفضى ذلك

الى العدم اذ قيل انها سم فيتعين عليك أن تفر من هذه صفته فالعاقل اللبيب من
شمر عن ساعديه وبالغ في الفحص عن القسمين الأولين فياسعاده ان ظفر
بأحدهما كما قيل

وإذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد
فان عدمهما فيتعين عليه الخلو والاعتزال ان أراد السلامة اذ أن الاجتماع
بالناس إنما يحتاجه المرید للزيادة لالنقص فاذا علم أنه ما يحصل له فيه الا
النقص فليحذر منه جهده ويستعين بربه مع سلامة صدره لهم وحسن ظنه بهم
عموما والله المستعان

(فصل) من كلام بعضهم بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى . وينبغي
للرید أن يكون نظره للخاق بعين الرحمة والشفقة والتودد وذلك يقع منه على
وجوه فاذا نظر اليهم بالرحمة فسييل العلم بقرهم واذا أحسن الظن بهم فسييله
طلب السلامة لهم بالميل الى حزب الفائزين . واذا احتمل الأذى منهم فسييله
الرحمة لهم . واذا جازى على السيئة بالحسنة فسييله التخلق بالأخلاق المحمودة
واذا راعى حق كل ذى حق وان صغر فسييله التخلق بأخلاق الشاكرين واذا
تناسى الشر جملة فسييله تطهير القلب من دنس هو اجس النفوس في حق اخوانه
المسلمين . واذا عاملهم بالسخاء فسييله البعد من صفة البخل والتشبه بأهل الفضل
واليقين بالخلف وليحذر من أن يطلب الخائف الفاني اذ أن كل ماجاه من
الدنيا فهو ذاهب فان . واذا عاملهم برفع الأذى عنهم جملة فسييله عدم الفراغ
والاشتغال بوظائف التكليف . واذا عاملهم برؤية الحسن منهم في كل شئ والتعمى
عن القبيح في كل شئ فسييله الغيرة في مشاهدة المحاسن والاشتغال عن القبايح
بعيوب النفس مع حسن الظن بهم في بعض المواطن . واذا تواضع لله فسييله
اجلال الربوبية و اظهار العبودية . واذا تواضع للخلق فيكون ذلك منه دون

تماوت وإنما يفعله لاعتقاد الأثر (١) لهم عليه وإذا أظهر ذلك لهم في بعض المواضع فسيئله احتقار النفس ورؤية عيوبها وحسن الظن بالمؤمنين . وإذا ترك العجب وهو أن لا يرى لنفسه شيئاً أحسن من فسيئله العلم بأنه لا فاعل للأشياء إلا الله سبحانه وتعالى فيلزم نفسه الافتقار إليه جل وعلا . وإذا أخلص العمل لله بأن لا يريد بصالح عمله سوى الله تعالى فسيئله الخوف الشديد من حبط الأعمال مخافة توقع الرياء فيقدر الخلق في حزب العدم فانهم لا يملكون له شيئاً . وإذا استشعر اطلاع الحق عليه فسيئله ترك الفراغ وهو أنه لا يمر عليه وقت إلا وهو مشغول بالله تعالى فيحصل له بسبب ذلك الريح أو جبر رأس المال . وإذا ترك المباح فسيئله عمارة الوقت بالواجبات والمندوبات . وإذا أحب المساكين وخدمهم وأماط الأذى عنهم وأدخل السرور عليهم بارفادهم والعون لهم وأظهر البشر واحتمل الجفاء والاختلاط بهم والتلطف في نصيح من زل منهم فسيئله طلب حظ الأوزار والظفر بمحبة الملك الغفار . وإذا ترك المزاح جملة فسيئله الإهتمام بسالف الذنوب . وإذا راعى الفرض بطاب أدائه كما وجب فسيئله طلب التقرب الى الله عز وجل . وإذا أحسن لكل مخلوق يجوز الاحسان اليه فسيئله طلب الانصاف بالمحامد . وإذا ترك الشهوات فسيئله العلم بعاقبتها وآلها وطلب الرقي عن الأرضيات . وإذا قلل الطعام بحيث لا يدخل عليه به ضرر فسيئله التحقق للعبادة والتهوؤ للفهم عن الله تعالى والاقبال على المعرفة به سبحانه وتعالى . وإذا لبس الدون من الثياب مع مجانبية الشهرة واقتصر على الضرورة فسيئله خوف الحساب . وإذا ترك التنعم بملاذ الطيبات فسيئله التشبه بأولياء الله . وإذا ترك الهمز والاحتقار بالخلق فسيئله طلب التبري من صفة الجاهلين . وإذا ترك الفرح بامور الدنيا والآخرة فسيئله الجهل بالعاقبة وعدم المبالاة بالدنيا . وإذا

(١) الأثر بالضم المكرومة

ترك الحزن على ما فات فسييله شغل الوقت بالخدمة والايان بالقدر . واذ
واصل الاحزان خوفا من السابقة والخاتمة فسييله طلب التقرب من الله تعالى
بانكسار القلب وجمع الهم . واذ جمع همومه عليه فسييله الفرار من تفرقة القلب
في شعاب الغفلة . واذ فوض أموره لله تعالى بطرح نفسه بين يديه دون
اقتراح عليه فسييله استعمال الأدب مع جلال الربوبية . واذ توكل على الله لثقتة
بالمضمون فسييله شغل الوقت بالتكليف . واذ ترك رؤية الأسباب حتى استوى
عنده وجودها وعدمها فسييله افراد الحق بالخلق والتبرى من الشرك الخفي والجلي
كالخبز لا يشبع والماء لا يروى والثوب لا يدفىء وكذلك الأمور العادية كلها .
واذ ترك التملق لغير العلماء فسييله العلم بأنه لا يملك الضر والنفع الا الله سبحانه
وتعالى وذلك بخلاف التملق للعلماء وهو التواضع والتذلل لهم . واذ افتقر الى الله
تعالى في حركاته وسكناته فسييله اظهار صفة العبودية . واذ اغاب عن الخلق
بباطنه ولم يسع اليهم بظاهره فسييله سد باب الأانس بالخلق . واذ ترك الاقبال
على احاديث العامة وترك التشوف لها بصون قلبه عنها وعمارتها بذكر الحق فسييله
سد باب المحنة واطفاء نار الفتنة وخوف خسران الآخرة . واذ كانت نفس
المريدمتطلعة لأحاديث الناس لم يفلح أبدا . واذ علم أن استفتاح باب الخير
كله وسد باب الشر كله في نفس أداء المفروضات اذهي معيار القلب وبها
تبين الزيادة والنقص ولا يتوصل الى ذلك الا ببذل الجهد وجمع النفس
ومحض الصدق وشدة الخوف ومواصلة الحزن حتى اذا استطعت أن تموت حين
تفتتح الصلاة فمت فسييل ذلك كله قربك من الله . واذ أردت أن تعرف منزلة قربك
عنده فملازمة الجد بحيث لا يكون لغير الحق فيك موضع وسييله مراقبة الحق
واجلال الربوبية . واذ أردت عزة النفس وصيانتها عن سؤال المخلوقين
دقت الحاجة أو جلت فسييله طلب كل حاجة من الله تعالى أدبا مع الربوبية . ومن

آكد ما يحتاج اليه المرید في ذلك أن لا ينزل نفسه في صورة مرشد ولا موص ولا متكلم بالحكمة ولا بالمسائل الفقهية ولكن ليشغله من نفسه شاغل بسبب طلبه العلم . ومن كتاب سير السلف قال ابراهيم الخواص دواء القلوب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء الباطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين . وقال أيضا التاجر برأس مال غيره مفلس . ومن كلام ابن بن رزق رحمه الله ياهذا هلا حجرك عقالك عن ان تبوح بسرك الى أحد من الخلق أو أن تشكو حالك في دين أو دنيا اليهم أو تتكلم بما لا يعينك أو تجيب الى أمر لا تتحقق رشده ولا تأمن ضرره ياهذا اجعل ربك موضع شكواك وقلبك خزنة سرك والزم مراقبة مولاك في كل حال يرد عليك فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت شرا فافتقر فيه اليه وانظر الى الخلق هياكل مصرفة وأسبابا مسخرة ولا تشكر أحدا منهم على فضل الله الا على قدر ما أباحته الشريعة وحسبك من ذلك أن تقول جزاك الله خيرا وترى الفضل كله من مولاك فاشكره بكليتك فهو أهل لذلك حقيقة وشكر سواه مجاز كما أن فعل غيره مجاز لان الافعال كلها صادرة عن المولى الكريم وحده لا شريك له

﴿ فصل ﴾ فان كان المرید له تعلق بالا ولا دفينبغي أن لا يهتم شأنهم ولينظر الى ما سبق فيهم من القدر ويعلم أن الملك لا يضيق عن رزقهم وأن ما كتب لهم لن يفوتهم وما كتب عليهم لن يفوتوه وأن وجوده وعدمه في حقهم سيان اذ أنه لا يملك لهم شيئا ثم انهم ان كانوا لله أو لياء فلن يفعل الله معهم الا خيرا وان كانوا غير ذلك فلا حيلة له في دفع المضار عنهم وليقل قد استودعتهم لمن لا تخيب لديه الودائع فليطرح الهم فيهم جملة واحدة ان عقل وليظن بمولاه خيرا والسلام

﴿ فصل ﴾ فان ابتلى المرید عند الاجتماع بالناس وخلطتهم بالاذية والجفاء منهم فيتعين عليه أن ينظر في أمرهم ويرجع الى حاله ويفتش خبايا نفسه

فی الذی قیل فیہ فقد یکون حقا فان وجدہ فی نفسه علم اذ ذاک أن من قال فیہ
 ما قال انما هو نذیر جاءه من عند ربہ لیتوب أو یوتع به النکال فیحتاج الی
 المبادرة الی التوبه والر جوع ویری الاحسان والفضل لمن قال فیہ ما قال . وان لم
 یجد ما قیل عنہ فیہ فیحتاج الی ثلاثة أشياء . أحدها أن یمثل السنه بالدعاء
 الوارد فی ذلک حیث یقول علیہ الصلاه والسلام (من رأى منکم مبتلی فلیقل الحمد
 لله الذی عافانی مما ابتلاک به وفضانی علی کثیر من خلق تفضیلا) ولا شک أن
 الابتلاء فی الدین أعظم من الابتلاء فی البدن سیمایا اذا انضاف الی ذلک تعلق
 حق الغیر به فهو أعظم فی الابتلاء . هذا وجه . الوجه الثانی أنه یتعین علیہ الشکر
 من وجهین . أحدهما أن یشکر الله تعالى علی سلامته مما قیل فیہ . الثانی وهو
 الوجه الثالث أنه یتعین علیہ الشکر فی أن الله تعالى سلمه مما وقع أخوه فیہ اذ لو
 کان الأمر بالعکس لکان بلاء بیننا اذ الغالب فیہ عدم السلامة أسأل الله العافیة
 بمنه وقد تقدم ذلک . ومن کتاب یمن بن رزق رحمه الله من ساءه الذم وأعجبه
 المدح فذلک ذکر الصورة خنی العزیمه . وقال لو قال لی قائل ان من لم یأخذ بحظه
 من الفقر لم یجد طعم الایمان لما خالفته ولو أخبرنی مخبر أن تسعة أعشار العافیة
 فی الخمول والغنی عن الناس لصدقته . وقال حمل النفس علی الصبر فی مواطن
 الامتحان حیلہ حسنة فی التخاص وان أبطأ . وقال من وطن نفسه علی أن الدنیا
 دار نصب وتعب لم ینکر ما نزل به منها مادام فیها وأخذ من الراحة بحظه ومن توهمها
 منزل راحة لم یقدر الراحة قدرها اذ آتته وكان تعبہ فیها مضاعفا . وقال تقدیم
 صدق اللجا الی الله عز وجل فی مبادئ الحاجات عنوان علی نجح غایاتها وقال
 افکر فی الموت تهن علیک المصائب . وقال مارأیت أفقه من النفس یعنی
 فی شهواتها وملذذاتها ولا أجرأ من اللسان ولا أشد تقبلا من القلب
 ولا أعدم من الاخوان ولا أقل من الاخلاص ولا أكثر من الأمل

وقال الصمت وعض البصر مفتاحان لأبواب القلوب . وقال من أحب أن لا تكون له منزلة عند الناس تربع في بجوحة (١) العافية . وقال ليس الا دنیا وآخرة فان أردت الجمع بينهما رمت محالا وذهبتا عنك معا فاختر لنفسك . وقال الضرورات تدعوا الى شر كثير وفي الصبر على المكروه خير كثير . وقال يحسن بالمؤمن أن يكون ثوبه مرصعا ونعله باليا ومسكنه خلقا ففي ذلك أعظم تذكرة وأكبر شاهد على الغنى وأحث باعث على ترك الطمأنينة الى الدنيا ومن كان يستعمل الجديد من كل شيء قلت عبرته وكان حب العاجلة أغلب على عقله . وقال اطعم في رحمة الله عز وجل على أي حال كنت من التفريط ولا تأمن مكره على أي حال كنت من الاجتهاد واياك والياس من هولاك فانه قطع للسبب بينك وبينه واحذر الامانى فانها اغترار به واعلم أن الكافر لو علم سعة رحمة الله ما يئس وان المؤمن لو علم كنه عقاب الله لمات خوفا والسلام . وقال اذا كان الماضي لا يرجع والمقدر لا يتبدل فاطراح الهم سعادة معجلة . وقال خمس يؤلمك غمها في الدنيا وهي في الآخرة أشد ايلاما الا أن ينالك عفو الله عز وجل فاستقل منها أو استكثر المزاح وكثرة الكلام والتعرف بالناس وافشاء شرك الهم والشكوى بحالك الى الخلق . وقال لقد راى ما أراه من كد الخاق للدينا وقصر همتهم عليها في ايمانهم ولقد راى ما أراه من مكالبتهم عليها وفرط جنوحهم اليها في عقولهم والعجب منهم وهم على هذا الحال انك ان نطقت لهم بالحقيقة سخروا منك وان سكت عنهم اتهموك وان ما زحتهم في دين أو دنيا أهلكوك وان تركتهم لم يتركوك فلاراحة معهم ولا سلامة دونهم حسبي الله ثم حسبي الله منهم . وقال رجلان اكره رؤيتهما وأحب الفرار منهما لياسى من فلاحهما غالبا طالب كيمياء وطالب ملك . وقال رحمه الله من تسامى الى رتب لا يقتضيا حاله ولا حليته وآثرهواه وأمنيته عاش

(١) البجوحة . بضم الباءين وسط الدار

دهره فى تعب ونصب ولم يبلغ الغاية التى يسعى إليها ومن تقاعد عن الرتب التى يمكنه بلوغها عاش مهيناً ملوماً ومن توسط بين الحالين فتناول منها ما كان له صالحاً استحق اسم النبى (١) وكان عيشه هنيئاً وقلبه لله تعالى خاشعاً . وقال أنا لأصدق قول من قال مكلمة الجاهل سجن للعقل . وقال الراحة فى الدنيا لأحد ثلاثة فقير صالح أو غنى عاقل أو أحق مبخوت . وقال يا هذا ان كان العجب من الناس مرة فالعجب منك ألف مرة فقد بان لك بالتجربة المستتينة والدلائل البينة أن مكلمة الناس غنمها ندامة والصمت عنهم سلامة ثم لا يصرفك ذلك عن الهذر معهم والخوض فى أحاديثهم وكلهم مقهورون لطباع أنفسهم سامعون من حالهم مبصرون بعيون رؤسهم الامن رحم ربك وقليل ما هم فما يصغى اليك منهم غالباً الا متهم أو مكذب أو غير محصل فاصححهم بصمت ولا يكون كلامك لهم الاجواب بما لا يدرك فيه عليك فى دين أو دنيا فان أنت صبرت على أذاهم كفيتهم واياك أن تنتصر لنفسك فتوكل إليها وسلم الأمر الى مولاك وافقر اليه تجده والسلام . وقال الالتفات الى الناس تعب فى العاجل وندامة فى الآجل لأن عامتهم ما بين جاف متعسف أو بطر متكلف فليس التأثير بالأول بأسوأ من الاغترار بالثانى فالرأى أن يعدداً جميعاً فى حزب العدم حتى لا تأثير للاضطراب اليهم ولا للجفاء مع امثال الأمر والنهى فيهم واعتقاد الرحمة والصلة لكل مسلم والذى يعين على ذلك بتوفيق الله تعالى الاقبال على ما يعينك والصبر فى طريق الحق فانك اذا وافقت الشريعة ولاحظت الحقيقة لم تبال بمن خالف رأيك من الخليقة . وقال من تفكر فيمن سلف ونظر فى المعاهدان عليه جفاء الخلق ولم يغتر بلطفهم . وقال رحمه الله الزم الصمت عند محاضرة من تكرهه وتكلم مع من لك فى كلامه فائدة . وقال من علم أن له ربا

(١) النبى بضم النون الفضل وبابه ظرف

يفعل ما يريد خاف وحزن ولم يفتر ومن علم ان له ربا ضمن لعباده أرزاقهم لم يشغله طلب المضمون عما كلف ومن علم ان له ربا من انقطع اليه كفاه توكل بالحقيقة عليه ومن علم ان له ربا لا فاعل للوجودات الا هو اقتصر في كل مرام اليه ومن علم ان له ربا رقيبا على كل شيء استحي منه حق الحياء . وقال من نظر الى الدنيا بعين البصيرة فرأى تقلبها بأهلها وانزعاجهم عنها لم يطمئن اليها ومن نظر الى الآخرة بعين البصيرة فتخيل نعيمها وعذابها وأيقن أنه وفد عليها عمل لها . وقال الزم الفضل واترك الفضول واغتم وقتك تفز بخير الدنيا والآخرة فبملازمة الفضل تنال الشرف وبترك الفضول تنال السلامة وباغتنام الوقت تنال الربح وفي هذه الثلاثة مجموع خير الدنيا والآخرة . وقال ليس الا عيش الدنيا أو عيش الآخرة ولن يجتمعا . فالأول مادته الأرضيات وهو عيش النفس . والثاني مادته العلويات وهو عيش الروح وقد علمت المبدأ والغاية فاختر أيهما شئت والسلام . وقال يا هذا الأخذ بالاحتياط نجاة ولاخير في صحبة غير الله . وقال ما أحقك بالنوح على نفسك . ما أولاك بالقاء التراب على رأسك . ما أغفلك عما حل بك . أنسيت عظامك . أم أنت عقاب ربك . بادريامسكين واحذر سد الباب وقطع الأسباب . واستنزل بكف الضراعة رحمة مولاك العزيز الوهاب . وقال اذا سافرت فالتزم في الطريق مع أهل الرفقة الصمت ولا تتكلم معهم الا جوابا يسيرا من القول لفظة أو نحوها . فان سئلت من أين فقل من أرض الله . فان قيل لك ما شغلك فقل أبتغي فضل الله . فان قيل لك ما اسمك فقل عبد الله . فان تصامت لهم فحسن . واذا دخلت بلدا فلا تصحب فيه أحدا صحبة توجب عليك حقا . واحسم التعارف البتة . واققر الى الله في حوائجك فانه لا يضيعك ان شاء الله فانه ليس زمان صحبة ولا مصادقة وانما هو زمان الوحشة والغربة والفرار من الناس مبلغ الوسع . وقال خلقان لأرضاهما للفتى . بظر الغنى

ومذلة الفقير . فاذا غنيت فلا تكن بطرا . واذا افتقرت فته على الدهر . وقال رحمه الله الدنيا دارُ بلاءٍ والبلاءُ لفظٌ مشتركٌ تحته أنواعٌ من التعب والمشقات كفرقة الأحاب وذهاب المال وأذى الناس والاسقام والجوع والعطش والقمل والذباب والعقارب والحيات والسباع وفقد الوطن والبرد والحرق والعري والشهوات كشهوة البطن والفرج الى غير هذا مما لا يكاد ينحصر فما وقع منه فلا تنكر وقوعه في محله ولا تستغربه وانما المستغرب فيها المسرات لأنها ليست بدار لها ولا تقابل شيئا من البلاء الا بالصبر وتوطين النفس عليها متى وقع منها شيء والاستعانة بالله تعالى في زيادة البصيرة والامداد بالمعرفة . وقال من تفكر في أمسه وغده غم ما في يده من يومه . وقال بالله المستعان واللجأ اليه عنوان النجاح . والقرآن حبل العصمة . والسنة طريق السلامة . والفكرة مفتاح الرشد . والهلم مثيرات العزم والتبصر ثمرة الصدق . والظفر نتيجة الصبر . والاستغاثة دزج الوصول . والتضرع أمانة التخلص . والسحر مظنة الاجابة . والالحاح مقدمة المحبة . والتواضع سلم الشرف . والسخاء خلق الايمان . والزهد شعار التقوى . والتوكل حرفة المعرفة . والتفويض علم السعادة . والخوف أثر الجهد . والرجاء افادة الجهد ورحمة الخلق دليل الطهارة . واحتمال الأذى عين الفتوة . والجزاء على الاساءة بالاحسان خلق النبوة . وتلاوة القرآن بالحضور عيش الروح ومخالفة الهوى قتل النفس . وذكر الله رأس مال العابدين . من ترك الشهوات قرع الباب ومن ترك الحظوظ رفع الحجاب . قيام الليل بستان العارفين . الأحوال مبلغ القوم . من رأى لنفسه فضلا على شيء من خلق الله تعالى حتى الكلاب فهو أحد القراعتة السلوعن المتروك على قدر المعرفة بالمطلوب . من هانت عليه نفسه فهي على غيره أهون . ومن صحب التسويف أداها الى الفوت . ومن فاته مولاه غرق في بحر الياس الدنيا سلامتها غرز . ولذاتها قدر . قال الشاعر

تغير لباسها نفثات دود وخير شرابها قى الذباب
 وأشهى ما ينال المرء فيها مبال في مبال مستطاب
 وعن قرب يعود الكل ترابا بلاشك يكون ولا ارتياب

وقال كنت قد رأيت في كتب بعض الحكماء ان أربعة لا ينبغي للعاقل أن يأمنها
 فطلبها في حظي فلم أجد منها سوى واحدة وهي المرأة وان أبت الود
 وأظهرت النصيح. ولا يبعد عندي أن يكون الثاني السلطان وان أبدى التقريب
 والمصافاة. وأن يكون الثالث المال وان كان جما وافرا. وأن يكون الرابع الزمان
 وان كان مطاوعا مسالما. فرب مخدوع بهذه الأربعة نجاته أو ثق ما كان بها
 وأسلته أميل ما كان اليها. وقال الراحة كلها في الرضا باختيار الحقك والتعب
 كله في اختيارك لنفسك. ومدافعة الأيام شيمة الكرام. واغتنام الوقت بالمبادرة
 الى العمل واطراح الأمل سعادة. وانتظار الفرج بالصبر عباده. وقال يا هذا اذا
 رأيت انسانا لم تازمك الضرورة اليه فقرمته فرارك من الأسد أو أشد وان قدر
 اجتماعك معه مفاجأة فاقصر في الكلام معه واعتذر له بشغل واتركه بسلام.
 أما تذكر أن تعبك في الدنيا قديما وحديثا انما جاءك من معرفة الناس

(فصل) وينبغي للبريد أن تكون أوقاته مضبوطة لكل وقت منها عمل
 يخصه من الأوراد فلا يقتصر في الورد على ماسبق من الصلاة والصوم بل
 كل أفعال المرید ورد. قد كان السلف رضوان الله عليهم يقولون جوابا لمن
 طلب الاجتماع بأحد من اخوانه ويكون نائما هو في ورد النوم. فالنوم وما
 شاكله هو من جملة الأوراد التي يتقرب بها الى ربه عز وجل. واذا كان كذلك
 فيكون وقت النوم معلوما كما أن وقت ورده بالليل يكون معلوما وكذلك اجتماعه
 باخوانه يكون معلوما. وكذلك الحديث مع أهله وخاصته يكون معلوما كل ذلك
 ورد من الأوراد اذ أن أوقاته مستغرقة في طاعة ربه عز وجل فلا يأتي الى

شيء مما أبيع له فعله أو ندب إليه الابنية التقرب الى الله تعالى وهذا هو حقيقة
 الورد أعنى التقرب الى الله تعالى وهذا على جادة الاجتهاد والفراغ من الصحة
 والسلامة من العوائق والعوارض أو من حال يرد يكون سبباً لترك شيء من ذلك
 ألا ترى أن المندوب في حق المريد بل الذي يتعين عليه أنه اذا حصل له بكاء
 أو تضرع أو خشية يستمر في ذلك ولا يقطعها اذ أن المقصود انما هو حصول
 مثل هذه الأشياء فاذا حصلت للمريد فقد حصل على فرسته فليشد يده عليها
 ويغتمها لئلا تنفلت منه فقل أن يجدها ولأجل هذا المعنى قال الاستاذ
 أبو سليمان الداراني رحمه الله اذا لذت لك القراءة فلا تركم ولا تسجد . واذا لذ
 لك الركوع فلا تقرأ ولا تسجد . واذا لذ لك السجود فلا تقرأ ولا تركم الأمر
 الذي يفتح عليك فيه فالزمه . رأيت انسانا يطلب شيئاً فاذا وجدته تركه . وقد
 تقدم هذا المعنى قبل ولا يقتصر في هذا على الصلاة ليس الابل هو عام في كل
 أمر أرادته فلو حصل له شيء من هذا في الاجتماع بالاخوان فلا ينتقل منه أيضاً
 بل هذا أكد لاجتماع بركة الاخوان وهي متعددة بخلاف ما لو كان وحده
 وان كانت الخلو في الفضيحة العظمى كما تقدم لكن في الاجتماع بالاخوان
 الخير المتعدى حساساً لاستمداد بعضهم من بعض والمقصود أن تكون أوقاته وحركاته
 وسكناته وأنفاسه في الخلاء والملاء مضبوطة بالاتباع في كل ذلك . وينبغي أن
 يقتصر في أوراده على القليل مثل ما تقدم في أوراد المتعلم سواء بسواء فان حصل له
 شغل أو شيء من العوائق فلا بد من اقامتها ليسارتها لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
 عمل عملاً أثبته وقد تقدم ذلك في المتعلم . وينبغي له أن يكون أشد الناس حرصاً على
 عمل السر لما تقدم أن عمل السر يفضل الجهر بسبعين درجة وما هو بهذه
 المثابة فيأكد تحصيله على ما ينبغي . واذا كان كذلك فلا يخلو حاله من أحد
 أمرين اما أن يكون في بيته وحده أو مع غيره . فان كان وحده فقد حصل له

عمل السر من غير كلفة . وان كان مع غيره أعنى من الأهل وما شابههم . فلا يخلو اما أن يكون فيهم من يرجو أن يقتدى به أم لا فان كان كذلك فإظهاره أولى وقد تقدم أنه لا يخرج ذلك عن عمل السر معهم . ثم الأمر في ذلك بحسب حال الوقت اذ أن من الأهل أو الاخوان من اذا رأى شيئاً من أعمال البر يواظب عليها من يعتقده بادرت نفسه الى فعل ذلك أو شئ منه . وهذا فيه خير كثير لما ورد (لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) فان علم أنه ليس فيهم من يقع ذلك منه فالسر أولى به . وقد تقدم في المتعلم أنه ان وجد الخلوة عن أهله كان به أولى . فللمريد بهذا المعنى أولى بل أوجب لأن المرید لا يزال في عمل السر في غالب أوقاته فيعود عليه آثار ذلك وبركته حتى يصل الى عمل سر فيما بينه وبين ربه عز وجل لا يطلع عليه الحفظة . وقد ذكر الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه عن بعضهم أنه ظهرت له الحفظة وناشدوه الله تعالى أن يدخل عليهم سرورا بحسنة من حسناته يظهرها لهم ليسروا بها لأن الحفظة يفرحون بحسنة العبد حين يعملها أكثر من فرح العبد بها يوم القيامة حين يرى ثوابها وما ذاك الا أن رسل الملك لا يريدون أن يرجعوا اليه الا بما يعلمون أنه يحبه بخلاف العكس فانهم يكرهونه لكرهية الملك له . وهذا الذي حكاه رحمه الله ظاهره مشكل لأن الفرائض لا بد من إظهارها وهي أكبر الأعمال وأزكاها . لما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام عن ربه (لن يتقرب الى المقربون بأحب من أداء ما افترضت عليهم) الحديث بكامله . والحفظة يشاهدون ذلك ويكتبونه . فيتعين أن يحمل ما ذكره على الأوراد التي هي من أعمال القلوب وهي الفكر والنظر والاعتبار اذ أن الله عز وجل تجلى لخلقهم وظهر بآياته وبطن بذاته فهو الظاهر بمادل عليه من مصنوعاته الباطن بذاته فلا يقال أين ولا كيف ولا متى لأنه خالق الزمان والمكان الى غير ذلك من صفاته الجليلة.

وإذا كان ذلك كذلك فمن كان في حال التجلي فهو مستغرق الأوقات حتى لا يرى غير ماهو فيه لكثرة ماهو فيه من النعيم اذ التجلي ليس شيء من النعم أعلى منه في الدنيا والآخرة. ولا يعكر على ماتقدم ذكره من قول الحفظلة ماورد أن المكلف اذا نوى الحسنة خرجت على فمه رائحة عطرة واذا نوى السيئة خرجت على فمه رائحة منتنة لأن هذا قد نوى بقلبه ما نواه فهو عمل من أعمال القلب دلت عليه الرائحة الصادرة عنه بخلاف ما نحن بسبيله اذ التجلي ليس من عمل العبد ولا من حيلته بل هو فيض من المولى سبحانه وتعالى وتفضل منه وامتنان على من خصه واختاره من خلقه في كل زمان وأوان فينبغي للمريد ان كانت له همة سنية أن يعمل على تحصيل هذا المقام السني لأن المولى سبحانه وتعالى كريم منان وهذه الأمة والحمد لله فيها البركة الشاملة فيهم ومقامهم الخاص بهم لا يزول ولا يحول الى أن يأتي أمر الله تعالى. واذا كان الأمر كذلك فلا يقطع المريد اياسه من الوصول الى حالهم السني ولا ينظر في ذلك لنفسه ولا لحيلته وقوته واجتهاده لأنه مهما نظر الى ذلك قطع به بل ينظر الى فضل المولى سبحانه وتعالى ونعمه المترادفة عليه. وليحذر أن يكون بهيمى الطبع لا يرى النعم الا في المأكول والمشروب والسعة في الرزق لأن هذا ليس من حال المريد في شيء بل هو من حال أبناء الدنيا والله عز وجل من كرمه واحسانه وفضله وامتنانه يعطى لكل قاصد ما قصده. وقد تقدم أن المريد غنيمة ما فاته من الدنيا وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول المريد لا يحتاج لشيء من الأشياء فقلت له أليس يحتاج الى الأكل والشرب واللباس فقال نعم لكن طعام المريد الجوع وكسوته العرى فهو يجد ذلك في كل موضع يحل فيه واذا كان كذلك فلا يحتاج الى أحد. والمقصود والحاصل أنهم قد طرحوا أمور الدنيا خلف ظهورهم وأقبلوا بكليتهم على ربهم وأسندوا أمورهم اليه وتوكلوا بالحقيقة عليه

فأنعم عليهم وقربهم واجتباهم وحماهم وتجلى لهم بصفاته الجليلة الجميلة أسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمحمد وآله صلى الله عليه وسلم فانه ولى ذلك والقادر عليه . وما تقدم ذكره من أن المريد يقتصر على الأعمال المتقدم ذكرها انما ذلك في حال بدايته ثم يأخذ نفسه بالتدرج والترقي في الزيادة قليلا قليلا حتى يستغرق أوقاته في أنواع العبادات وهو لم يجد لذلك مشقة ولا تعباً في الغالب وقد تقدم ذلك لكن المريد في بداية أمره يمشى على ماسبق من أورايد المتعلم وأمانهائيه فلا حد لها لأنهم قالوا أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى وكلامهم ضرورة فلا ينام المريد الاغلبة وقد تقدمت حكاية بعضهم في السنة التي أخذته وهو جالس في مصلاه حين صلى ركعتي الاشراف فحرك عينيه وقال أعوذ بالله من عين لا تشع من النوم . ومن كان نومه على هذه الصفة فلا يمكنه أن يتبها لحالة النوم ولا للذاكار المذكورة عنده اذ حال المريد لا ينضبط بقانون معلوم لكثرة اجتهاده وتحصيله وأحوالهم في أعمالهم قل أن تنحصر . لكن يحافظ على السنة ويشديده عليها . وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله يعجبه ما حكى عن بعضهم أنه كان اذا جاء الى فراشه دخل على جنبه الأيمن ثم يرجع على الأيسر ثم يرجع على الأيمن ثم يقوم فيتوضأ ويصلى ركعتين ثم يقول اللهم انك تعلم أن خوف نارك منعى الكرى فيقوم حتى يصبح فكان يعجبه منه محافظته على السنة حتى في الفراش وان كان يعلم أنه لا يتأتى منه النوم فاذا كان المريد على هذا الحال أعنى محافظته على السنة في كل أحواله فهو المقصود الأعظم لا يفوقه غيره نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمنه انه الكريم الوهاب بمحمد وآله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

فصل فی قدوم المرید من السفر ودخوله الرباط

اعلم وفقنا الله وایاک أن آكد ما علی المرید اتباع السنة واتباع السلف الماضین رضی الله عنهم أجمعین فیشد علی ذلك یده ویحذر أن یمیل أو یغتر بما قد أحدثته بعض الناس من أفعال لم تكن لمن مضى . وقد تقدم أن الخیر كله فی الاتباع وعكسه فی الابتداع وأن هذه الطائفة أكثر الناس اتباعا للسنة المطهرة وما فاقوا علی غیرهم الا بذلك لأنهم اختصوا بثلاثة أسماء فقراء ومریدین وصوفیة فالفقیر من افتقر فی كل أحواله الی ربه عزوجل وسكن بقلبه الیه وان كانت الخواطر تلدغه فهو لا یلتفت الیها ویفتقر الی ربه ویعول علیه والمرید من أراد ربه دون كل شیء سواه وكان غاية طلبه ومناه وسلم من لدغات الخواطر ومجاهدتها لارادته لربه وایشاره علی ما سواه . والصوفی من صفی باطنه وجمع سره علی ربه وشاهد عیانا جمیل صنعہ فأسند الامور كلها الیه فهم الذین قربهم الله واجتباهم وخلع علیهم خلع احسانه ولحضرتہ السنية ارتضاهم واذا كان الأمر كذلك فهذا مقام خاص بهم والثوب النظیف أقل شیء یدنسه . وقد تقدمت حکایة سیدی الشیخ الجلیل أبی علی بن السماط رحمه الله فی دخوله المسجد حین قدم رجله الیسرى فغشى علیه لأن هذه الطائفة شعارها الاتباع وترك الابتداع فان وقع لهم شیء مامن بخالفة السنة رأوه أمرا عظیما فأقلعوا عنه فی وقتهم وجددوا التوبة مع الله تعالی ورأوا أن ذلك بسبب ذنب تقدم فعجلت لهم عقوبته فتضرعوا الی الله وابتهلوا الیه مع وجود التوبة النصوح منهم . واذا كان الأمر كذلك فیتعین علی المرید أن لا یساع نفسه فی شیء مما یخالف الاتباع ولو قاله من قاله . فلیحذر من البدع الی قررها بعض الناس . وقد اختلفوا فیها علی ثلاثة أنحاء فمنهم

من استحبها وأنكر على من تركها وهذه طريقة أكثر أهل الشرق. وذهب بعضهم الى أن من فعلها ومن لم يفعلها سيان لاعتب على تاركها ولا حرج على فاعلها. وذهبت الطائفة الثالثة وهم المحققون المتبعون للسنة والسلف الصالح من الامة رضى الله عنهم أجمعين الى التصريح بأن ذلك بدعة ممن فعله أو استحسنته وقال لا حرج على فاعله لمخالفته للسنة المطهرة. وقد كان سيدى أبو الحسن الزيات رحمه الله يقول من أعجب الأشياء صوفى سنى يعنى بذلك والله أعلم ما نحن بسبيله من العوائد المحدثه التى ليس لها أصل فى الشرع ترجع اليه فمن ذلك ما ذهب اليه بعضهم من أن المرید اذا ورد البلد وقصد دخول الرباط وهو المسمى فى عرف العجم الخانقاه فالرباط مأخوذ من الربط لأن ساكنه مرابط فيه وهذا الاسم أولى به ألا ترى أنهم يجنون رؤية القيد فى النوم ويكرهون الغل فهذا منه. ولهم فيما أحدثوه اصطلاح لا ينبغي أن يعرج عليه لكن لما أن كثرت وقوعه والقول به والانكار الشديد على من ترك شيأ منه واتبع السنة المطهرة تعين الكلام فيه على من تعين عليه وهو أنه اذا قصد دخول الرباط كما تقدم يشمر كميته ويتدى فى ذلك باليمين وهذا اذا أراد دخول الرباط أو يتناول شيئاً طاهراً وأما ان أراد أن يدخل الخلاء فانه يتدى بتشمير كميته الأيسر ويالغون فى هذه الأشياء ويسمونها آداباً. حتى أنه قد حكى عن بعض من توغل فى هذا الشأن أنه خدم شيخه سنين متطاولة فلما أن كان فى بعض الأيام أراد أن يدخل الخلاء فشمر كميته الأيمن قبل الأيسر فقال له شيخه أين تريد فاستفاق لحظته على زعمهم فقال ياسيدى الى بغداد فسافر اليها. فانظر رحمنا الله وإياك الى تبديل الخاطر المعجل بمخالفة سنة واحدة كيف وقع بها هذا فى أمرين عظيمين. أحدهما تعب السفر الطويل وترك جمع الخاطر فى الحضر وبركته. والثانى اخبار شيخه بما ليس فى باطنه وطائفة الصوفية برآء من ذلك.

كله . ثم اذا شمر أكامه يشد وسطه بشيء ويأخذ العكاز بيده اليمنى والابريق بيده اليسرى ويجعل السجادة على كتفه الأيسر مطوية وهذا فيه ما فيه لان اتخاذ السجادة من البدع التي أحدثت فكيف يتخذها الفقير . وقد كان كثير من السلف رضوان الله عليهم لا يحول بين وجوههم وبين الأرض حائل لاحصير ولا غيره وما ذلك الا لاتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ألا ترى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شكوا اليه ما يجدونه من ألم السجود على الأرض لم يشكهم ومعنى ذلك أنه لم يزل شكواهم . ألا ترى الى ما ورد (مسح الحصباء مسحة واحدة وتركها خير من حمر النعم) ولا يرد على هذا حديث الخمره لأن ذلك محمول على شدة الألم الذي يوجد في ذلك الوقت بخلاف الألم الذي تحمله البشرة فلا يرخص فيه . والخمره هي شيء هضفور من الخوص قدر ما يضع المصلي عليه الوجه واليدين اذا سجد . وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يسجد ولا يحول بين وجهه وبين الأرض شيء لاتباعه السنة وتواضعه . وهذه الطائفة أولى الناس بالاتباع والتواضع وهو الآن داخل الى الرباط وهو موضع طاهر لا يدخله في الغالب الامن هو متحفظ على دينه فلا حاجة تدعو الى السجادة وانما هي عوائد انتحلت ووقع الاستئناس بها والعوائد كلها مطروحة لأن السنة هي الحكمة على الناس كلهم فضلا عن المريد . ثم يأمرونه اذا دخل الرباط أن لا يسلم على أحد ولا يسلم عليه أحد واعتلوا لذلك بأن المريد لا يذكر الله تعالى الا وهو على وضوء والسلام اسم من أسماء الله تعالى فاذا سلم على أحد أو سلم عليه أحد فقد يكون على غير وضوء فيحتاج الى ذكر اسم الله تعالى وهو على تلك الحالة أو يترك رد السلام وهو واجب فأمره بترك السلام لأجل هذا وهذا أيضا مخالف للسنة اذ أن السنة مضت على أن المكلف يسلم على من عرف ومن لم يعرف فكيف باخوانه وما تقدم من ذكر تعليمهم لذلك فليس بالبين لان الشارع

صلوات الله عليه وسلامه لم يمنع من ذكر الله في حال من الاحوال الا في حال موضع الخلاء فانه يكره ولا بأس بذكر الله تعالى هناك عند الارتياح وما يشبهه وليس بمكروه والسنة عند لقاء المؤمن لأخيه السلام لا بعد جلوسه واستئناسه ، ثم يأمرونه عند ارادة دخوله الرباط أن يقعد عند الباب ثم يخرج اليه من في الرباط من الشبان أو بعضهم فيؤذونه بالشم ويقولون الأدب عليه ويخرجون جرمته ويكسرون الابريق الذي معه ويفعلون ذلك به مرة بعد أخرى حتى يياسوا من غضبه ويعلمون فعلهم ذلك بأن يقفوا على حسن خلقه وحمله للذی اذا أن هذه الطائفة لا تنتصر لنفسها وهم أشد الناس كظماً للغیظ وعفواً عن الناس وهذا التعليل ليس بالبين لان الوارد اذا علم أنه اذا انزعج لذلك وغضب لا يدخلونه الرباط فانه يصبر اذ ذاك على أذيتهم لأجل ما يرجو من حاجته وان كان سيء الخلق ما عسى أن يكون فانه يستعمل ضده في هذا الموطن والحالة هذه . ثم يخرج اليه الخادم فيأخذ السجادة عن كتفه وهو ساكت لا يسلم أحدهما على الآخر ويدخل الخادم والوارد يتبعه حتى اذا حصل في وسط الرباط وقف الوارد ينظر أين يفرش الخادم السجادة فيعرف موضعها وهذا فيه ما فيه ألا ترى أن المعنى في السلام عند اللقاء انما هو التأنيس بالبشاشة وما شابهها من الاكرام للضيف والتودد نقيض ما عاملوه به وأما كسر الابريق فلا خفاء أنه اضعاف مال وهو محرم وكذلك شتمه فوضعوا الشتم وخرق الحرمة واضاعة المال موضع الاكرام والاحترام والضيافة ثم سرى هذا الأمر الى عامة المسلمين اذ أن هذه الطائفة قلوب الناس بهم متعلقة لحسن ظنهم بهم ولكونهم منسويين الى اتباع السنة والزهد في الدنيا وتركها والاقبال على العبادة والدار الآخرة ويرون أنهم محفوظون لا يخالفون ولا يتدعون فاذا صدر منهم شيء من هذا اقتدى بهم غيرهم في فعله فتجد كثيرا من الناس في هذا الزمان يقعد الرجل

وأولاده كل واحد منهم يشتم صاحبه ويشتمون الآباء والأجداد ويلعنون أنفسهم والوالدان ينظران إليهم . وقد ورد في الحديث (المؤمن لا يكون لعانا) ومن كتاب السنن لأبي داود رحمه الله عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسئل فيها عطاء فيستجيب لكم) ومنه عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان العبد اذا لعن شيئاً صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مسافرا رجعت الى الذي لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائمها) ومنه عن سمرة ابن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا تلعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بالنار) ومنه عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يكون للعانون شفعا ولا شهداء) ومن البخارى رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه) وهم اليوم قد جاوزوا الحد في ذلك يشتم بعضهم بعضا دون أجنبي بينهم يكفهم قد كفوا الاجنبى أمرهم ولا يهتمون لذلك ولا يرجعون عنه . ولو قدرنا أن أحدا نبههم على ما فيه من شدة القبح المجمع على منعه فمنهم من يسخر منه ومنهم من يقول ان هذا بسط لا حقيقة وكل ذلك سببه السريان من الخاصة الى العامة فانا لله وانا اليه راجعون على مخالفة السنن وارتكاب البدع . ألا ترى أن من السنة اكرام الضيف بتيسير ما حضر والاقبال عليه وما تقدم من فعلهم عكس هذا الامر سواء بسواء . ثم ان الخادم اذا فرش السجادة يجعل فتحها الى

الجانب الايسر ويعلمون ذلك بأنه إذا جاء أحد يريد أن يجلس معه فيجلسه لناحية اليمين ليكون ذلك أسهل عليه في فرشها له اذ ذاك ويعلمونه بوجه آخر وهو أن القلب في جهة اليسار فينبغي أن يكون فتحها لتلك الجهة تفاقولا بالفتح وهذا ليس من التفاؤل في شيء لان التفاؤل الشرعي انما هو ما كان عن غير قصد وما ذكره كله يحتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم والسجادة مكروهة في الشرع ابتداء الا من ضرورة كما تقدم فكيف تفصيلها فمن باب أولى وأخرى . ثم انه مع ذلك يطوى طرفها من جهة القبلة من ناحية المشرق فاذا علم الوارد موضع السجادة ذهب الى موضع قضاء الحاجة كانت له حاجة أو لم تكن كان على وضوء أو لم يكن فيأخذ الابر يق فيدخل به الى الخلاء ثم يخرج الى موضع الوضوء والابر يق بيدد فيضعه في موضعه الذي أخذ منه ويجعل يزبوزه الى جهة القبلة ويملؤه وكذلك في كل موضع يضعون الابر يق فيه انما يكون مستقبل القبلة وهذا ما يحتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم . وهذه الآداب الشرعية مثل استقبال القبلة وغيرها انما المخاطب بها المكلفون والابر يق لا يتوجه عليه خطاب ولا أمر الشرع فيه بشيء والتزام هذه الاشياء فيه ضيق و حرج . وقد قال عليه الصلاة والسلام (ما تركته لكم فهو عفو) واذا كان الامر كذلك فلا حرج في وضع الابر يق على أى صفة كانت وكذلك في بسط السجادة وغيرها فما وافق السنة امتثلناه على الرأس والعين وما لم يرد فيه شيء فقد وسعه الله علينا فلا نضيق على أنفسنا باصطلاح من ليس بمعصوم ثم يتوضأ فاذا فرغ منه مشى بتؤدة الى موضع السجادة وهو مع ذلك لا يكلم أحدا ولا يكلمه أحدا لا بسلام ولا غيره فاذا جاء الى السجادة قدم رجليه اليمنى فوضعها على طية السجادة ثم قدم رجليه اليسرى فوضعها الى جانبها على الطرف المطوى كما هو ثم يقدم رجليه اليمنى في وسط السجادة ثم الرجل اليسرى ثم يزيل تلك الطية بيده

أو بقدمه ويسمون هذه الطية قفل السجادة حتى لا يفتح ذلك غيره وهذا كله من محدثات الامور التي ليس لها أصل في الشرع الشريف فتعين اطرافها وترك المبالاة بها. ثم يضل ركعتين والصلاة بهذا الوضوء فيها ما فيها لان هذا الوضوء ان كان لاجل دخول الرباط ليس الافلاشك أنه لا يستباح به الصلاة كما قال علماءنا رحمة الله عليهم فيمن توضأ للأكل والشرب أو دخول السوق فلا يؤدي به عبادة يشترط الوضوء فيها وان توضأ لدخول الرباط وللحدث فيجرى فيه الخلاف الذي بين العلماء اذا أشرك في النية هل يجزيه أم لا وأقل ما فيه مما لا ينبغي أن هذا الفعل كله انما هو لاجل رؤية الناس له وأنهم لا يتركونه يدخل الرباط الا على هذه الصفة فقد خرج الوضوء بهذا عن أن يكون لله وحده بل الشائبة فيه ظاهرة بينة والمريد لا يسأح نفسه في شيء من هذا كله فينبغي له أن يتوضأ بعد ذلك لاستباحة الصلاة ويتوب من عمل عمله لأجل رؤية الناس ثم انه اذا سلم من صلاة الركعتين المتقدمتي الذكرا أتى اليه بعض أهل الرباط فسلموا عليه وبسطوا له الانس ويقوم هو اليهم ويعانقهم وهذا الذي فعلوه من سلامهم عليه وبسطهم له هو السنة عند اللقاء فأخرجوه عن موضعه المشروع الى موضع غير مشروع فيه. وأما قيامه لهم فليس من السنة في شيء لان القيام المشروع انما هو قيام الحاضر للغائب حين قدومه عليه. وأما المعانقة ففيها اختلاف بين العلماء ومذهب مالك رحمه الله كراهتها. ثم انهم يتكلمون عند ذلك بالكلام المعتاد بينهم الذي لا يخلو في الغالب من التتميق والتزكية وترفع بعضهم لبعض بأشياء الغالب عدم بعضها الا من وفق الله تعالى وقليل ما هم. واحتجوا على استحباب هذه الاصطلاحات واستحسانها وأمر الفقهاء بها بأن مشايخهم قد قرروا لهم ذلك ليكون تحفظهم عليها علامة ودلالة على تحفظهم على بواطنهم مما يقع فيها فتكون آداب الظاهر دلالة على حصول آداب الباطن وهذه الطائفة يحسنون الظن

بمشايخهم وقد أمرهم بذلك فلا عتب عليهم في فعله بل هم في عبادة وخير وهذا الذي قالوه ليس بالبين لانه لو أجاز العلماء مثل هذا لكان ذلك كله ذريعه الى نسخ الشريعة بالآراء وغيرها فكل من ظهر له شيء أو استحسنت شيئا جعله أصلا معمولا به ويرجع اليه ولا قائل به من المسلمين وهذا الدين والحمد لله قد حفظه الله تعالى من الزيادة فيه والنقص منه . ولا حجة في كون الفقهاء يحسنون ظنهم بمشايخهم لان تحسين الظن بهم له مجال متسع ماداموا على الاتباع للسنة والسلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين فحينئذ يرجع اليهم ويسكن الى قولهم وأما غير ذلك فاتباع السنة أولى وأرجى وأنجح بل أوجب مع سلامة الصدر لمن قال ما قال اذ أنه لم يقصد الا خيرا ولكن المرید يتعين عليه أن يكون ميزان الشرع في يده فان من وفى واعتدل فهو غنيمة ومن نقص فلا ضرورة تدعو الى الاقتداء به فيما خالف فيه السنة اذ أنه لا يتبع أحد في الغلط . وانظر الى قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الورد على الحوض (فيقال انهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقا فسحقا فسحقا) أى فبعدا فبعدا فبعدا . واذا كان كذلك فقد وقع العبد بسبب التبديل ولفظ التبديل يقع على القليل والكثير واذا كان الأمر كذلك فلا ضرورة تدعو الى الوقوع في مثل هذا الاحتمال والمقصود أن تكون السنة واتباع السلف رضى الله عنهم هما الاصل عنده فلا يعرج على غيرها ولو قال من قال . ولأجل هذا المعنى قال بعضهم ان المرید يعرف حين دخوله وما ذاك الا أن المرید يحافظ على السنة اذا استأذن ووقف بالباب حتى يؤذن له ثم دخل وقدم رجله اليمنى وأخر اليسرى ثم سلم السلام الشرعى علم أنه مرید لامثاله هذه السن الثلاث ألا ترى الى ما حكى عن بعضهم أنه جاءه مرید لزيارته فقدم اليه شيئا للاكل فتناول المرید لقمة باليسار فقال له المزور من شيخك يا بنى فقال له ياسيدى الناحية اليمنى توجعنى فقال له كل رضى الله عنك وعمن ربك وقد

تقدمت هذه الحكاية لأن السنة في ابتداء الاكل أن يكون بناحية اليمين فلما أن
 رآه خالف هذه السنة عرض له بقوله من شيخك لينبهه بذلك على ما وقع فيه من
 مخالفة السنة فكان في المرید من اليقظة والحضور ما فهم به مراده فأجابه فهكذا
 تكون المحافظة على السنة والاتباع وفقنا الله لذلك بمنه . وقد تقدم في لباس
 العالم وتصرفه ما فيه غنية عن اعادته لكن المرید يكون أشد حرصا على
 الاتباع لانقطاعه الى الله وتبته اليه وقد تقدم ما في تلك الثياب المذكورة من
 السرف فكذلك ما يشبهها أعنى من الوسع في الثوب الذي لا ضرورة تدعو اليه
 وان كان ثوب المرید قصيرا في الغالب لكنه احتوى على شيئين قبيحين بخالفة
 السنة ووجود السرف فيه أعنى في الوسع الخارق الذي يفعله بعضهم

﴿ فصل ﴾ واعلم ان الطريقة الصوفية نظيفة وأقل شيء يدنس النظيفة
 لاجرم أنه قد كثر التدليس والتخليط وظهر . وسبب ذلك أن كل طريقة
 ادعاهها الانسان فضحته فيها شواهد الامتحان الا هذه الطريقة فانه لا يفتضح
 فيها غالبا وذلك لوجهين . أحدهما أن طريقهم مبني على القوة والستر والعفو
 والتصفح والتجاوز والاغضاء عن العيون وكل من ادعى شيئا يخالف طريقهم
 ستروا عليه وجروا عليه أذبالفتوة . والثاني أن كثيرا من تغيير في هذا الزمان
 أقل ما يقع منه أن يقول لك حسدتي ويقوم في حميته كثير من الناس فتداعى الفتن
 وتكثر الى غير ذلك من الحظوظ التي تعتورهم وهي كثيرة ولأجل ذلك سكت
 من سكت من أهل الصدق والاتباع فظن من لاعلم عنده بحالهم السيء أن
 سكتهم رضا منهم بشيء مما رأوه أو سمعوه ألا ترى أنهم اذا وجدوا من يقبل
 الحق منهم ألقوا اليه ما يخلصون به مهجته من هذه الغمرات وساروا به
 وأقبلوا عليه لالحظ ذنوبى بل يفعلون ذلك فرحا منهم بهداية شارذ عن
 ياب ربه عز وجل مضطر الى من يوصله اليه . وقد ورد في الحديث عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي رضي الله عنه لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم فاذا وجد أحدهم السبيل الى شيء من هذا يادر اليه وان كان ضده تغافل وتناسى لأجل ما تقدم . وقد تقدم أن اللعين بمكيدته وشيظنته يتبع السنن واحدة بعد واحدة يريد بذلك أن يبدل مكان كل سنة ضدها . ألا ترى أنه لما أن وجد المرید . أكثر لباسه على ما ينبغي من القصر وغيره أدخل عليه دسياسة قل من يشعر بها وهي وسع الثوب الخارج عن العادة وفيه شيثان مما لا ينبغي وهما اضاءة المال وهو محرم لمخالفة السنة وكفى بهما وقع بذلك من بعضهم ودس زيادة على ذلك وبدل ما هو أكبر من هذا وأكثر لكثير من العرب في طول ثيابهم حتى صارت اذا مشوا تنجر على الأرض وهذا محرم في حق الرجال متأكد فعله في حق النساء وبدل للنساء ضد ذلك وقد تقدم بيانه وزاد في ثياب بعض من نسب الى العلم قريبا مما سبق في ثياب العرب . فالحاصل أنه حرم كل طائفة من الاتباع وأوقعهم في ضده ومع ذلك قل من يستيقظ لما ألقاه اليه من هذه الدسائس بل تلقوها بالاقبال عليها لما ألقى اليهم من التعليل لكل واحدة لأن من عادته الذميمة تعليل ما يلقيه اليهم وتحسينه لهم ليكون ذلك أدعى الى القبول منه والحرص على فعله فانا لله وانا اليه راجعون على ما حصل من الغفلات عن لا يغفل عنا ولا ينسانا وفي التلويح ما يغنى عن التصريح والله المستعان بمنه وكرمه

فصل في ذكر بعض المتشبهين بالمشايخ وأهل الإرادة

وهذا باب متسع متشعب قل أن تنحصر مفسده أو يتعین ما يقع منه لكثرتة لكن نشير الى شيء منه ليستدل به على ما عاده والله المستعان . فمن ذلك أن كثيرا من الناس يدعى الدين والصلاح وأنه من أهل الوصول ويأتي بحكايات

من تقدم من الاكابر ويطرزها كلامه وهو مع ذلك يشير الى نفسه بلسان حاله وأن عنده من ذلك طرفا. وبعضهم يزعم أنه حصل له من ذلك الأمر حاصل ومنهم من له القدرة على تصنيف الحكايات والمرأى التي يختلقها من تلقاء نفسه سيما والعياذ بالله تعالى ما ابتلى به بعضهم من تجرئه ودعواه رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأنه أقبل عليه وخاطبه وأمره ونهاه بل بعضهم يدعى رؤيته عليه الصلاة والسلام وهو في اليقظة وهذا باب ضيق وقل من يقع له ذلك الأمر الامن كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان بل عدت غالبا مع أنا لانكر من يقع له هذا من الاكابر الذين حفظهم الله تعالى في ظواهرهم وبواطنهم. وقد أنكر بعض علماء الظاهر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة وعلل ذلك بأن قال العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبي صلى الله عليه وسلم في دار البقاء والرأى في دار الفناء. وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يحل هذا الاشكال ويقول ما قاله هذا القائل صحيح ولكن يرد ما ورد أن الله تعالى يوقف هذه الطائفة بين يديه ويقول عز وجل (أولياى لم أز و عنكم الدنيا لهوانكم على ولكن زويتها عنكم لتستوفوا اليوم نصيبكم عندى اذهبوا فاخترقوا الصفوف فمن سلم عليكم من أجلى أوزارك من أجلى أو أطعمكم لقمة من أجلى فخذوا بيده وأدخلوه الجنة فيأتون الى المحشروهم يحرون أذيال الفخر فيقول أهل المحشر يا ربنا ما بال هؤلاء دوننا فيقول الله عز وجل أتمتم في الدنيا مرة واحدة وهؤلاء كان الواحد منهم يموت في اليوم سبعين مرة) أو كما قال. وقال سيدى أبو مدين رحمه الله من مات رأى الحق ومن لم يمت لم يرا الحق فاذا كان المرء اذا مات مائة واحدة رأى الحق فما بالك بسبعين مرة في كل يوم ((فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين)) فذهب الاشكال والحمد لله وظهر الصواب والله المؤتمل في الثواب. ومنهم من يشير الى نفسه بالكرامات وخرق العادات وهو عرى عنها بالاتصاف بضعها

ومنهم من يدعى رؤية المشايخ ولقبهم وهو مع ذلك لم يجتمع بهم ولا رآهم . ومنهم من يدعى صحة بعض الشيوخ والاهتداء بهديهم وهو لم يجتمع بهم ولا هو على طريقتهم بل رأى بعض من صحب الشيوخ وحكى عنهم فحكى ذلك عن نفسه ومنهم من يدعى رؤية الخضر ثم ان بعضهم يؤكد ذلك باليمين ليكون ادعى للقبول منه حتى لقد قال بعض من ينسب اليه شئ من هذا ان الخضر يأتيه في كل يوم ويقف على بابه أو دكانه ويتحدث معه وهو يبيع ويشترى وذلك كله تقول واقفال لا أصل له ولا فرع مع أن هذا لا ينكر اذا وقع من أهله في محله . ومنهم من اذا أراد أن يلقى شيئاً مما يخطر له قدم قبله الاستشهاد بكتاب الله تعالى فيقول قال الله تعالى ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ ثم يحلف عند ذلك أنه رأى ورأى وأنه خوطب في سره والغالب أنك تجد كثيراً من العوام لغلبة الجهل عليهم بأهل الحق والخير والصلاح والاتباع اذا موه عليهم أحد من أهل التمويه انقادوا له وقالوا به واتبعوه ونزلوه المنزلة التي يدعيها أسأل الله السلامة من ذلك بمنه وكرمه . وبالجملة فأحوالهم الرديئة لا تنحصر وفيما وقع التنبيه به كفاية ومقنع . هذا حال المستترين منهم . وأما غيرهم فقد خرقوا السياج (١) وايس العجب منهم بل العجب بمن يعتقدهم أو يميل اليهم مع ما هم فيه من مخالفة الشرع الشريف مثل ما يفعل بعضهم من أنه يظهر للناس الزهد في الدنيا وترك المبالاة بها حتى انه ليجلس مكشوف العورة وقد تقدم ذلك . ومنهم من يدخل النار على زعمه ولا يحترق بمراى من الناس وذلك لو كان صحيحاً لكان بدعة ومنكراً إذ أن من شرط المعجزة اظهارها والتحدى بها ومن شرط الكرامة عكس ذلك فاذا أظهرها للناس فقد خرجت عن باب الكرامة . اللهم الا أن تقع ضرورة شرعية داعية الى اظهارها . مثل ما حكى عن بعضهم أنه كان في مركب موسوقة

(١) السياج ككتاب ما يحاط به

قمحا فهاج البحر عليهم وكان القمح لبعض الظلمة المسلمين على الخلق في وقته فسمع النواتية وهم يقولون أن هذا القمح مكيل علينا فان نقص منه شيء أخذنا الظالم به فالرأى أن نرمى الركاب في البحر ويبقى القمح فلما أن سمعهم قال لهم ارموا القمح في البحر وأنا الضامن له فأشهدوا عليه ورموا القمح حتى لم يبق الا القليل فسكن البحر فلما أن وصلوا الى البلد طالبوه بما التزمه فأمرهم أن يأتوا بالكيلين فجاءوا بهم فقال اكتالوا ما بقي من القمح فاكتالوه فوفى ما عليهم أئني ما كان على النواتية مسطورا ثم رد رأسه الى أصحابه وقال لهم والله ما عملتها الا حقنا لدماء هؤلاء المسلمين. فما كان مثل هذا فهو الذي يظهر ونه للضرورة الشرعية مع أن لدخول النار أدوية تستعمل حتى لا تعدو على من دخلها بمن نستعمل تلك الأدوية لكن لو حضر أحد من أهل السنة ودخلها لاحترق صاحب البدعة والزعبله وخرج المحق سالما. وقد وقع ذلك في حكايات يطول تتبعها. منها الحكاية المسندة في مصباح الظلام للشيخ الامام الجليل أبي عبدالله ابن النعمان رحمه الله وما جرى للسني والبدعي في دخولها النار فخرج السني ولم يحترق وبقي البدعي حممة. وقد كان بعض من ينسب الى المشيخة يدخل أصحابه النار ولا يحترقون فقال لى سيدى أبو عبد الله الفاسى رحمه الله والله لولا أنى أخاف من سيدى الشيخ أن يطردنى لأخذت الشيخ نفسه ودخلت أنا واياه النار حتى ننظر من يحترق فينا. وقد كان ببلاد المغرب من زمن قريب رجل يدعى الولاية وخرق العادة وكان اذا ورد عليه الفقراء والأضياف يعمل لهم فطيرا ويفته في قهصة ويؤتى بها اليه فينصب يده عليها فيخرج من بين أصابعه عسل نحل فيلص به ويطعمه من هناك حتى يكفيهم ثم يرسل يده فينقطع فسمع به بعض الأكارب في وقته فجاء اليه فلما أن جلس عنده قال له نريد أن تطعمنا من البسيصة التي تطعم الناس منها فقال نعم فأمر بالفطير على

العادة فأحضر فمد يده ليسيل العسل على العادة فلم يخرج شئ فقال له وأين ماتدعيه فقال انقطع الآن فقال لو كان حقا ما انقطع لان الباطل اذا حضره الحق زهق ثم عززه ووجّهه بالكلام وقال له كنت تطعم المسلمين أبو الشياطين وأخرجه عن ذلك الحال وتوبه عنه . ومنهم من يظهر الكرامة بامسك الثعابين والأانس بها وهذا فيه نافية من مخالفة الشرع الشريف والتمويه على الأمة بما لاحقيقة له اذ أن مثل ذلك يفعله كثير من الناس لمعيشتهم فكيف يعد كرامة . ومن ذلك أيضا ما يفعلونه من أكلهم الثعابين بالحياة بمرأى من الناس وذلك محرم أى لو كان صحيحا لأن أكلها لا يجوز الا بعد تذكيتها عند من يرى أكلها وهم ياكلونها من غير تذكية بل يؤدبون على كل أكلة من أكلاتهم تأديبا بلغا رادعا ثم ان كان ذلك من غير حقيقة فهو من صنعة النارجيات والسيميا وما شاكلها وليس من باب الكرامة فى شئ . وكنت أعهد مثل هذه الأشياء ببلاد المغرب تفعل على أبوابها ويتضحك الناس عليها فى لهوهم ولعبهم ويستغنون بسببها وهم فى هذه البلاد فى بعض الأماكن يعدونها من الكرامات ويعتقدونهم بسببها ومنهم طائفة استنت سنة سيئة وهم الذين يحلقون لحاهم وذلك مخالفة للسنة وارتكاب للبدعة لغير ضرورة شرعية . وأما اذا كان للضرورة مثل التداوى وغيره فجائز . ومنهم من يفعل عكس ذلك فلا يأخذون شيئا من شعور أبدانهم ويعلمون ذلك بأنه من حسن الصحبة وذلك قبيح شنيع لانه يشبه فعل الرهبان وفيه المثلة والاستقذار وقد نهينا عن ذلك كله . ومنهم من يلبس الليف والأشياء التى لاتستر عند الركوع والسجود مثل الشعر وغيره وهذا أيضا من المثلة والشبهة والبدعة وكشف العورة وترك الصلاة اذ أنه لا يجوز كشف العورة ولا غيرها وأشنع من هذا كله وأقبح ما اتخذه بعضهم من لبس الحديد فيتخذ سوارين فى يديه كما تتخذها المرأة من الفضة والذهب . وبعضهم يحمل فى عنقه طوقا

من حديد كالغل بل هو نفسه ويلقون في آذانهم حلقام حديد . وبعضهم يجعل على ذكره طوقاً من حديد القفل ويزعمون أن شيوخهم حين يأخذون عليهم العهد يفعلونه بهم ويأمرونهم أن يلبسوه لمن اقتدى بهم ويقولون ان ذلك قفل على محل المعاصي حتى لا ترتكب ولا خفاء في تحريم هذا وشناعته وقبحه وأنه لا مدخل له في الشرع الشريف . ثم مع ادعائهم أن ذلك قفل على محل المعاصي يأتون بنقيض ما زعموا وهو أن فيهم شبانا لهم صور حسان وهم مقيمون معهم مساءً وصباحاً ويخلو بعضهم مع بعض دون تكبير . وقد قال بعض السلف رضي الله عنهم لأن أوتمن على سبعين عذراء أحب الي من أن أوتمن على شاب . وبعضهم يتخذ حديداً كالعمود يمشى به . وقد ورد أن الحديد حلية أهل النار . وقد ورد (من تشبه بقوم فهو منهم) فيقعون في هذا الخطر العظيم بسبب الجهل والجهل بالجهل كل ذلك سببه مخالفة السنة المطهرة . وأشد من هذا كله أن أكثرهم يدعى أنه على الحق والصواب وأن طريقته هي المثلى ومنهم قوم تنزهوا عن هذه الرذائل وعابوا على فاعلها ثم انهم يقعون في أشياء رذلة نهى صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه عنها وهي عندهم كأنها من شعار الولاية . فمن ذلك اتخاذ بعضهم الأعلام على رأسه وهو لا يخلو اما أن يكون ولياً لله تعالى على ما يزعم أم لا فان كان ولياً فالولي لله تعالى لو قدر أن يدفن نفسه أو يكون أرضاً يمشى عليه لفعل حتى لا يكون مع الناس بالسواء فكيف ينشر الأعلام على رأسه وهذا من باب الشهرة والدعوى وأهل الايمان برآء من ذلك كله . ألا ترى الى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتميم الداري رضي الله عنه لما أن سأله أن يعظ الناس ويذكرهم فقال له أنت تريد أن تقول أنا تميم الداري فاعرفوني فكل من أراد الظهور فليس من أهل الطريق في شيء بل هو عكس حالهم ولولم يكن فيه الا أنه بدعة ممن فعله فكيف

بانجرار هذه المفاصد التي وقعت بسبب الأعلام اذ أنهم يجتمعون رجالاً وشباناً فاذا أشرفوا على بلد ذكروا الله تعالى جهرًا يرفعون بذلك أصواتهم ولا يقصدون به الذكر ليس الا بل الاعلام لأهل تلك البلدة ومن قاربها بورود الشيخ والفقراء الذين معه حتى يخرجوا الى تلقيهم فاذا سمعوا ذكرهم خرجوا اليهم رجالاً ونساءً واختلطوا بهم فصاروا مجتمعين رجالاً ونساءً وشباناً وهذا فيه ما فيه من مخالفة الشرع الشريف وقد تقدم غير مرة أن المرأة لا تخرج من بيتها الا لضرورة شرعية ومع ذلك فتكون اذا خرجت خرجت على الصفة المتقدم ذكرها من الستر والمشى مع الجدران لا تتكلم الا لضرورة شرعية وهن اذا خرجن للقائهم خرجن منكشفات في الغالب وان تستر بعضهن فبعض تستر يرفعن أصواتهن بالزغاليط (١) ويسمع لهن اذ ذاك ضجيج وذلك كله بمراى من الشيخ وعلمه بهم فما أقبح هذا وأبعده ممن ينتمى الى طريق أهل الدين والصلاح فكيف بمن يزعم أنه يدعو الناس الى الله تعالى فانا لله وانا اليه راجعون على انعكاس الأمور . وبعضهم يزيد على ذلك فعلاً قبيحاً فيه اضاءة المال وهو وقود الشمع نهراً حين يلتقونه ويقصدون بذلك القرية الى الله تعالى وهيئات هيئات . التقرب الى الله تعالى لا يكون الا بامثال أوامره لا بالوقوع في نواهيه بل هو نفس البعد والقلا أسأل الله العافية من ذلك كله بمنه . ثم مع ذلك ينزل على أهل تلك البلدة بالجمع الذي معه ومفاسده قل أن

(١) قوله الزغاليط قال في شفاء الغليل زغلط اذا صوت بلسانه بغير حروف كما

تفعله نساء العرب . ولمحمد بن سمنديار

سماح غناء الطير للدوح مرقص ومن طرب بالزهر منه ينقط

وللناس في عرس الربيع مسرة وللخلق حتى القرفيه يزغلط

وفي شرح القاموس ان زغردة النساء في الافراح من زغردة البير . وأما الزغاريث

والزراغيت فهو لحن ومعنى زغردة البعير هديره الذي يردده في جوفه

تنحصر فمن ذلك أنه يضر بحال كثير منهم بسبب تكلفه لهم أشياء من الأطعمة تليق بهم ويتفخرون بذلك وبعضهم يعيب على من أتى بطعام لا يختارونه وليت هذه الضيافة لو كانت عن طيب نفس لكنهم يقسطون ما ينفقونه في تلك الضيافة على الروس من غنى وفقير ومضطر ومحتاج وأكثرهم يتدانيون بسببها وبعضهم يعجز عن شيء يعطيه وعمن يداينه فيهرب قبل وصول الشيخ إلى البلد فيتسلطون على بيته وهو غائب فيأخذون ما وجدوا من دجاج أو داجن وبعض من يعجز عن الهروب يمتحن مع كبراء أهل البلد بما يوجبون عليه ممالا قدرة له به وتفصيل أحوالهم في هذا المعنى تطول . وقد قال عليه الصلاة والسلام أنا وأمتي برآء من التكلف ولو لم يكن من التكلف لهم إلا علف دوابهم لكان فيه من المحرم ما فيه . ثم مع ذلك لم يقتصروا على هذا التكلف العظيم حتى أضافوا إليه ما يأخذونه من الهدايا ويسمون ذلك بالفتوح للشيخ ولاصحابه كل على قدر حاله سيما صاحب المنزل الذي نزلوا عنده فهذه الوظائف أعنى الضيافة والعلف والفتوح للشيخ وجماعته لا بد له منها حتما ثم انهم لم يقتصروا على ذلك الأخذ للشيخ وحده حتى يأخذوا لخادم السجادة وقد تقدم أن السجادة في نفسها بدعة فكيف يتخذها خادم ثم يأخذون لخادم الأبريق ثم لخادم السباط ثم لخادم العكاز ثم لخادم الدابة أو الفرس ثم للمزمرين الذين معه . ثم مع هذه الأحوال الرديئة يرقص بعضهم مع بعض نساء ورجالا وشبانا . ثم انهم لم يقتصروا على هذه المفاصد حتى آخى بعضهم بين الرجال والنساء من غير نكير ولا استخفاء في ذلك . ثم انهم لم يقتصروا على هذا الفعل القبيح حتى يقعد بعض النساء يلبسن بعض الرجال ويزعمون أنها أخته من الشيخ وقد آخته فلا تحتجب عنه إذا أنها صارت من ذوى المحارم على زعمهم وكتب العلماء والحمد لله بين أيدينا وليس فيها شيء مما ذكره بل افعال منهم وتقول باطل فمن استحله منهم فقد خرج عن الدين ومن لم يستحله منهم فقد ارتكب أمرا

عظيماً يجب عليه أن يتوب و يقلع عما هو بسبيله من المخالفة والضلال . فاذا علم هذا من أحوال بعضهم فأى فرق والحالة هذه بينهم وبين الظلمة المتسلطين على الخلق بأخذ المال والأذية بل قد يوجد بعض الولاة يتحاشى عن مثل هذه الرذائل و ينزه منصبه عنها فلا يأكل الا من اقطاعه مع أن الولاى مأمور بالاعتداء بالفقراء المتبعين فصار الأمر بالعكس اذ أنه يتعين على من اتصف بشئ مما تقدم ذكره فى أمر من انتسب الى الفقراء أن يقتدى بالوالى فى هذا الفعل الحسن . وزاد بعضهم على هذا شيئاً قبيحاً وهو استهتار فى الدين و زندقة فيقولون المال مال الله ونحن عبيد الله فلا فرق بيننا وبين صاحب المال لأننا شركاؤه فيه وهذا منهم حل و نقض للشريعة المطهرة وقد أبى الله ذلك و رسوله صلى الله عليه وسلم و المسلمون . قال الله تعالى فى كتابه العزيز ﴿ وياأبى الله الا أن يتم نوره ﴾ فالشريعة و الحمد لله مصونة عن الزيادة فيها و النقص منها فلا تزال على صفة الكمال حتى يأتى أمر الله . ثم العجب بمن يدعى المشيخة منهم و الهداية لطريق القوم كيف يعطى الاجازات للفقراء من تحت يده بالمشيخة و لو سألته عن فرائض الوضوء أو سننه أو فضائله و كذلك فى الغسل أو فى التيمم أو فى الصلاة لجهل ذلك غالباً و قد قال بعض العلماء اذا صلى المكلف وهو لا يعرف المفروض من المسنون فلا تصح صلاته و كذلك لو سألته عن مفسدات الصلاة لما علمها و كذلك لو سألته عن حكم السهو اذا طرأ عليه فى صلاته لما علمه . فاذا كان هذا حاله فى أمر وضوئه و صلاته اللذين بهما قوام دينه و صلاحه فما بالك به فى غيرها و قد تقدم أن من لم يأتمنه الله عز و جل على أدب من آداب الشريعة فبعيد أن يؤتمن على سر من أسرار الله تعالى . فاذا كان هذا حال الشيخ فى جهله بمبادئ أمر دينه فكيف بمن يصحبه أم كيف بمن يجيزه اذ الغالب من ينتمى الى مثل هذا أنه لا يباشر العلماء اذ لو باشرهم لأنكر عليهم ما هم فيه فكيف يصحبه

أو يتبعهم على أن هذه الاجازة والحالة هذه لأصل لها في الدين ومع كونها لا أصل لها فالاجازة التي يعطونها شبيهة بالظلم. ألا ترى أنهم لا يعطونها في الغالب لمن سألها حتى يعطى على ذلك عطاء جزيلًا بحسب حالها ويسمون ذلك بشكران الدخول في طريق القوم فيعطى الشيخ ما يليق به ولخداًم الشيخ المتقدم ذكرهم ما يليق بدرجاتهم وكذلك الأكارب أصحاب الشيخ المذكور ولا بد من ليلة يطلبونها منه للسمع كل على قدر حاله ويختلطون كما تقدم. ثم مع هذا الحال لا يقتصرون على كتب الاجازات لمن طعن في السن ولمن له ثبوت في العقل من الكهول بل يعطونها للشبان المردان ولهم صور حسان فيتسلطون بسبب ذلك على الكشف على حريم المسلمين في بعض الأحيان والاماكن بسبب الاختلاط بهم من أجل الاجازات التي بأيديهم. هذا حالهم مع من سأل الاجازة منهم. وأما من لم يسألها فهو على قسمين اما أن يكون له وجهة أو جدة أو أحدهما ويعلمون من حاله أنه يميل الى شيء من أحوالهم واما أن يكون عارياً عن الوجهة والجدة وهو مع ذلك متشوف للاجازة كالأول. فأما الأول فيعملون عليه الحيل في ربطه عليهم وسكونه الى قولهم والرجوع اليهم فاذا ظفروا منه بذلك كلفوه التكاليف التي تضر بحاله وحال عياله غالباً. واذا كان كذلك فلا فرق اذن بين من هذا حاله وبين الظلمة الا أن الظلمة يفعلون ذلك بالعنف والقهر وهؤلاء يفعلون مثله بالحيل والخديعة. وأما ان كان فقيراً لآمال له ولا وجهة فانهم يستخدمونه المدة الطويلة ليحصل لهم من تكاف الناس والتساط عليهم والالحاح عليهم بالمسئلة على الغنى منهم والفقير حتى يحصل لهم ما يريدونهم كالأول وهذا أمر لا يمس أخلاق المسلمين في شيء اذ أن من أخلاقهم المناصحة بينهم والشفقة وورحة بعضهم مع بعض نسأل الله السلامة من بلائه بمنه وكرمه

(فصل) ثم العجب من ادعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادئ أمر

دينهم كما تقدم فكيف بالانتماء الى المشيخة . وقد قال أهل التحقيق من أهل الطريق ان الفقير لا يكون فقيرا حتى يكون قلبه كأنه في كفه يعنى من قوة معاينته له ونظره اليه فيعرف الزيادة فيه من النقص بديهة . هذا حال الفقير المنفرد بنفسه دون أن يصل الى اقتداء غيره . وأما الشيخ فلا بد له من زيادة على ذلك . وهى أن تكون قلوب أصحابه كأنها في كفه وكذلك أحوالهم في تصرفاتهم وخواطرم فيعلم ما يزيد فيها وما ينقص منها فيرى بهم على ما يتحقق من حال كل واحد وينبهم على ذلك بحيث لا يشعر أحد من جلسائه بل الشخص نفسه قد لا يشعر بذلك في بعض الأحيان ولهم في معرفة هذا أمور وتصرف لا يعرفه غيرهم فان كان الشيخ عاجزا عن هذه الرتبة أعنى أنه لا يعرف ما زاد في حال أصحابه وما نقص في غيبته فلا يدعى المشيخة ولا الهداية بل اخوان مجتمعون يتذاكرون في مسائل الدين ومناقب أهل الأحوال السنية فلعل بركة ذلك وبركة اجتماعهم تعود عليهم دون أن يدعى أحد منهم حالا أو مقالا هذا حال القوم مع وجود الاخلاص منهم والصدق والتصديق والركون الى مولاهم في دقيق الامور وجليلها والتزام الوقوف ببابه سبحانه وتعالى ومع هذه المقامات العلية والأحوال السنية لا يدعون لأنفسهم حالا ولا مقالا بل يقول أكثرهم الى الآن ما أحسن أن أتوب حتى قال قائلهم

يظنون بي خيرا وما بي من خير ولكننى عبد ظلوم كما تدرى

سترت عيوبى كلها عن عيونهم وألبستنى ثوبا جميلا من الستر

فصاروا يحبونى ولست أنا الذى أحبوا ولكن شهبونى بالغير

فلا تفضحنى فى القيامة بينهم ولا تخزنى يارب فى موقف الحشر

وقد قال بعض الساف الصالح رضى الله عنه لولده لما أن رأى منه شيئا لا يعجبه يابنى أما تعرف قدرك فقال وما قدرى فقال له أمك اشتريتها بأربعمائة درهم

وأبوك لأكثر الله مثله في الإسلام . هذا مقالهم مع وجود الأحوال السنية منهم فما بالك بمن هو على العكس ثم مع ذلك يعطى الاجازات وتنصب بين يديه الأعلام والرايات فانا لله وانا اليه راجعون . وبعضهم يدعى الوله ويرتكب بسبب ذلك محرمات فيركب على جريدة قد صور لها وجهها وعينين وأنفا وفما يأخذ بيده شيئاً كأنه سوط ويركب تلك الجريدة ويمسكها بسير أو يخط كأنه لجام لها ويضربها ويجرى . وبعضهم يعلق فيها جرسا فاذا مشى يسمع له صوت قوى فيجتمع عليه النساء والرجال والشبان غالبا وقد يدخلونه بيوتهم ولا يخفى منه أحد كأنه امرأة من جملة نسائهم ويعيون على من استتر منه ويقولون هذا موله . وهذا أشد قبحا من الأول لأنه قد ينفرد وحده فيجد السبيل الى ما تسوله له نفسه من الرذائل بخلاف من تقدم ذكرهم . فكيف يدعى الولاية مع ارتكاب نهى صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول (من صور صورة عذب حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا) ولا فرق بين من صورها أو استعملها أو رضى بها . وما العجب من هذا بل العجب ممن تلبس بشئ من العلم وهو مع ذلك يعتقد من هذا حاله ويصوب فعله بأن يقول هذا ولي الله وانما هو يخرب على نفسه وتخريب هذه الطائفة انما يكون بمالم يعارضهم فيه أمر ولا نهى وهذا قد عارضه النهى الصريح كما تقدم ولولم يكن للجريدة صورة لاحتمل التخريب وغيره . هذا ان كانت أوقات الصلوات عليه محفوظة وكذلك في سائر التكاليف الشرعية وهو يظهر الوله فيما عد اذلك فهذا محتمل مع أنه لا ضرورة دعت الى الدخول في هذا الاحتمال اذ أن الله عز وجل لم يضيق على المكلف اذ العلماء والأولياء محفوظون في ظواهرهم وبواطنهم موجودون والحمد لله لا تخلو منهم الأرض الى أن تقوم الساعة باخبار صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه

(فصل) ثم ان مع هذا كله لم يكتفوا بهذه المفاسد حتى ضموا اليها

مفسدة أخرى وهي أخذ بعضهم العهد على من يريد الدخول في الطريق من رجل أو امرأة أو شاب ليكونوا من خواصه وأتباعه . وبعضهم يحلقون شعر رأس من يتوب على أيديهم حين يأخذون عليهم العهد وهذا جهل منهم بالعهد وماهيته وكيفيته وحلق شعر الرأس لغير ضرورة شرعية من البدع وقد كان في عهد السلف رضى الله عنهم من شعار أهل البدع وعلامة عليهم . هذا اذا كان الحلق لأجل الدخول في الطريق وأما حلقه لكثرة الدواب أو غيرها فهو جائز غير مكروه

﴿فصل﴾ ومن هذا الباب أيضا مايفعله بعضهم من تعليق السبحة في عنقه . وقد تقدم قول عمر رضى الله عنه لتميم الدارى رضى الله عنه أنت تريد أن تقول أنا تميم الدارى فاعرفونى وما كان مراده الا أن يذكر الناس بالأحكام الشرعية المأمور باظهارها واشاعتها واظهار السبحة والتزين بها لا مدخل لهما في ذلك بل للشهرة والبدعة لغير ضرورة شرعية . وقريب من هذا مايفعله بعض من ينسب الى العلم فيتخذ السبحة في يده كاتخاذ المرأة السوار في يدها ويلازمها وهو مع ذلك يتحدث مع الناس في مسائل العلم وغيرها ويرفع يده ويحركها في ذراعه وبعضهم يمسكها في يده ظاهرة للناس ينقلها واحدة واحدة كأنه يعد مايدكر عليها وهو يتكلم مع الناس فى القيل والقال وما جرى لفلان وما جرى على فلان ومعلوم أنه ليس له الا لسان واحد فعده على السبحة على هذا باطل اذ أنه ليس له لسان آخر حتى يكون بهذا اللسان يذكر واللسان الآخر يتكلم به فيما يختار فلم يبق الا أن يكون اتخاذاها على هذه الصفة من الشهرة والرياء والبدعة . ثم العجب من يعد على السبحة حقيقة ويحصر ما يحصله من الحسنات ولا يعد ما اجترحه من السيئات . وقد قال عليه الصلاة والسلام (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) فأرشد عليه الصلاة والسلام الى محاسبة المرء لنفسه فيما يتصرف فيه باعتقاده

وجوارحه ويعرض ذلك كله على السنة المطهرة فما وافق من ذلك حمد الله عز وجل وأثنى عليه وبقى خائفاً وجلاً خشية من دسائس وقعت له لم يشعر بها وما لم يوافق احتسب المصيبة في ذلك ورجع الى الله تعالى بالتوبة والإقلاع. فلعل بركة التوبة تمحو الحوبة وينجبر بذلك ما وقع له من الخلل. وهذه الطائفة أصل عملها التحفظ من السيئات والهواجس والخواطر ثم بعد ذلك يأخذ في كسب الحسنات. وقد قالوا ان ترك السيئات أوجب من فعل الحسنات. لما في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام (اتق المحارم تكن أعبد الناس) وقد حكى عن بعضهم أنه بكى أربعين سنة فسئل عن سبب بكائه فقال استضافني أخ لي فقدمت له سمكا فأكل ثم أخذت ترابا من حائط جارلي فغسل به يديه فأنا أبكى على ذلك التراب الذي أخذته منذ أربعين سنة. وحكى عن آخر مثله فسئل عن ذلك فقال طلع لي طلوع فرقيته فاسترحت منه فأنا أبكى عليه لعدم رضائي بما فعله الله بي أو كما قال وأحوالهم في هذا المعنى قل أن تنحصر فإذا كان هذا حالهم في مثل ما وصفناه عنهم فما بالك بمن يحمل الأثقال وأي أثقال ثم يحصر الحسنات ولا يفكر في ضدها فانا لله وانا اليه راجعون ثم ان بعضهم يحتج بأنها محرمة ومذكورة فواسواتاه ان لم يكن التحريك والتذكير من القلب فيما بين العبد وبين الرب سبحانه وتعالى. وقد تقدم ما ورد في الحديث (ان عمل السر يفضل عمل الجهر بسبعين ضعفا) هذا وهو عمل فما بالك باظهار شيء ليس بعمل وان كانت صورته صورة عمل وما زال الناس يخفون أعمالهم مع وجود الاخلاص العظيم منهم وهم مع ذلك خائفون وجلون من دخول الدسائس عليهم فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون. وبالجملة ففعل ذلك فيه من الشهرة ما فيه وقد تقدم أن التاجر ينبغي له أن يكون عارفاً بمحاولة ما يتجر فيه فلا يترك ماله فيه سبعون ضعفاً ويأخذ ماله فيه شيء واحد هذا مع السلامة

من الاوصاف المتقدم ذكرها فكيف به مع وجودها ثم انه مع ذلك يحرم نفسه فضل الذكر وعود بركته على أعضائه وجوارحه فلو كان يسبح ويعد على أنامله لكان نور ذلك الذكر وبركته في أنامله . وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض أزواجه فرأى نورا في طاق فقال ما هذا النور الذي في الطاق فقالت يا رسول الله سبحتي التي كنت أسبح عليها جعلتها هناك أو كما قالت فقال عليه الصلاة والسلام هلا كان ذلك النور في أناملك فهذا ارشاد منه عليه الصلاة والسلام الى الأفضل والاولى والارجح وقاعدة المريد أن لا يرجع الى عمل مفضول وهو قادر على ما هو أفضل منه . وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله اذا قرأ في الختمه يجعلها على ركبتيه معاً ويمسكها بيده اليسرى وجميع أصابع يده اليمنى تمر على الحروف التي يتلوها ويتعمد ذلك ويعلاه بأن يقول حتى يحصل لكل عضو حظه من العبادة لكي يكثر الثواب بذلك . فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون

﴿ فصل ﴾ ومنهم من بالغ في أخذ العهد الى حد لا شك في تحريمه وابطاله فيقول انه اذا أخذ العهد على من يأخذه عليه ان المأخوذ عليه لم يبق له تصرف في ماله ولا زوجته ولا نفسه بل التصرف في ذلك كله للشيخ فان أراد أن يطلق عليه لزمه وان أخذ ماله لزمه الى غير ذلك ثم انهم مع هذه الشروط التي يشترطونها لو تصرف الشيخ في شيء من ذلك لكان سبياً للقطيعة والترك وليس هذا من صفة القوم ولا بماثور عنهم ومنهم من يأخذ العهد على أن ينتمى لفلان من المشايخ دون غيره حتى كأن الطريق الى الله تعالى على عدد المشايخ فينتسبون اليهم كما ينتسب أهل المذاهب الى مذاهبهم فاذا انتسبوا الى ذلك فالطريق المحمدي أين هو وحصل بسبب ما تقدم بينهم تعصبات وشنآن كثير حتى صاروا أحزاباً ووقع بعضهم في حق غير شيخه الذي ينتمى اليه أعاذنا الله من بلائه بمنه . والطريق المحمدي غير هذا كله . ولذلك كان سيدي أبو محمد المرجاني رحمه الله يقول

طريق القوم واحدة . وكان سيدي أبو محمد بن أبي حمزة رحمه الله يقول سنة الاحباب واحدة يعني أن مشربهم واحد وهو الاتباع وترك الابتداع ولا يظن ظان أن ماتقدم ذكره فيه انكار لاخذ العهد من أهله لاهله بشرطه المعبر عندهم إذ أنه عليه درج السلف الصالح نفعنا الله بهم ولا ننكر أيضا الاتناء الى المشايخ بشرطه وهو أن يكون عند المرید شيخه وغير شيخه بالسواء بالنسبة الى الاتباع وترك الابتداع ويكون ايثاره لشيخه بسبب أنه كان وصوله الى الله تعالى على يديه فيرى له ذلك فهذا الاعتبار يقع التفضل لشيخه والاختصاص به دون غيره . وقد ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام (من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ماتكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله يأبى أن يأخذ العهد على أحد فسألته ما الموجب لذلك أهو بدعة قال لا ولكن عبد الله يعني نفسه ليس كغيره فأخاف ان أخذت العهد على أحد فقد لا يوفى بما أخذ عليه من العهد فيقع له التشويش وأكون السبب في ذلك فأتركهم رحمة بهم وشفقة عليهم وأعوض عنه الدعاء لهم بظاهر الغيب بالاستقامة أو كما قال . والحاصل من أخذ العهد هو أن يأخذ الشيخ العهد على المرید بأنه لا يراه الله حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره وهذا هو زبدته وأصله وبقيت تفاريعه على هذا الاصل قل أن تتناهى وهي الامانة التي عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا . قال علماؤنا رحمة الله عليهم ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه وذلك راجع الى الغالب منهم والافكثير من وفي والحمد لله وكثير من دخل في جاه من وفي ولاجل هذا المعنى بقي كثير من المحققين ينتمون الى المشايخ ليكونوا في حرمتهم واليه الاشارة بقوله في الحديث اخبارا عن رب العزة عز وجل حيث يقول (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) فكما لا يشقى بهم جليسهم كذلك لا يشقى بهم معتقدهم ولا محبهم . وقد خرج

الترمذى عن أنس قال (جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله متى قيام الساعة قال فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة فلما قضى صلاته قال أين السائل عن قيام الساعة فقال الرجل أنا يارسول الله فقال ما أعددت لها فقال يارسول الله ما أعددت لها كثير صلاة ولا صوم الا أنى أحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت) فما رأيت فرح المسلمين بعد الاسلام كفرحهم بهذا الحديث ولا يظن ظان أن هذا معارض لقوله عليه الصلاة والسلام للسائل حين سأله مرافقته في الجنة فقال له عليه الصلاة والسلام أو غير ذلك فقال هو ذلك يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعنى على نفسك بكثرة السجود. لأن هذا طلب منصباً عظيماً فأرشده عليه الصلاة والسلام الى الأسباب الموصلة اليه لقوله عليه الصلاة والسلام (أقرب ما يكون العبد في الصلاة وأقرب ما يكون في الصلاة اذا كان ساجداً) فأرشد عليه الصلاة والسلام لذلك وطالب المعية تشمله الدار وهى واحدة وان كانت المنازل تتفاوت فيها ولكن قد جعلت السعادة لمن نالها. لقوله عليه الصلاة والسلام (لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها) فاذا حصل له ذلك سلم من أهوال الدنيا والآخرة ومن العناء والتنغيص. ومنهم من يفعل فعلاً قبيحاً حين يأخذ العهد على من يريد أن يدخل في طريقه فيكلفه أن يعترف بين يديه بكل ما فعله من الذنوب وفي هذا من مخالفة الشرع ما فيه وقد ورد أن الله عز وجل يقول يوم القيامة لبعض من فعل الذنوب (أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم) وقد ورد (كل الناس معافى الا المجاهرون) فاذا جاء أحد لمن تقدم ذكره ليتوب على يديه أوقعه الشيخ باعترافه في هذه المهالك فكان عدم التوبة به أولى والحالة هذه. وفي هذا تشبهه بالقسيسين لأن من عادتهم الذميمة اذا جاءهم أحد ليتوب على أيديهم يطالبونه بأن يسمى لهم

ذنو به ذنبا ذنبا ثم بعد ذلك يقبلون عليه . وقد قيل ان التشبه بالكرام فلاح وعكسه عكسه . فانا لله وانا اليه راجعون على تخليط أمر الدين بما ليس منه ولا فيه . ومنهم من ارتكب بدعة شنيعة آلت الى ترك الصلاة وتركها فيه اختلاف بين العلماء هل هو ارتداد أو ارتكاب كبيرة ممن فعله . وذلك أن بعضهم يلبدون شعور رؤسهم والغالب أن الجنابة تصيبهم فاذا اغتسلوا لم يمكنهم أن يوصلوا الماء الى البشرة وليس ثم عذر شرعى يميز المسح على حائل عند من يقول به فصلاهم على هذا باطلة . ثم ضموا الى هذه المفسدة مفسدة أخرى أعظم منها وهو أنهم معتقدون أنهم على الخير والصواب وعلى طريق السلوك والهداية . نسأل الله السلامة بمنه من بلائه . ومنهم من يتعاني اتخاذ الحروز الكثيرة ويجعلها في عنقه كالقلادة للمرأة . ومنهم من يجعلها على صفة أخرى يتوشح بها وهذا شهرة ممن فعله وشوه ظاهر . وان كان يدعى أنه فعل ذلك للتبرك والتجفظ من العين ومن مردة الجن فله طريق غير هذا بأن يعلق ذلك عليه من تحت ثوبه بحيث لا يشعر به ولا يظهر وأما على هذه الصفة المذكورة فيمنع لمخالفته للسنة والسلف الماضين رضی الله عنهم أجمعين . ومنهم من يأخذ سبحة كبيرة ويعلقها في عنقه أو يتوشح بها ومع ذلك هو مشتغل بالقليل والقال والتحدث في أمور الغيب اظهارا منه أنه يكشفها ويخبر بوقوعها ومنهم من يعوض عنها خيطا من صوف على صفات وصيغ فيتقلدون به وذلك كله من الشهرة أو الشهوة والبدعة والخروج عن الاتباع للسلف الماضين رضی الله عنهم أجمعين : ومنهم من يفعل فعلا قبيحا شنيعا رذلا يأباه الله ورسوله والمؤمنون وهو أن يكون مع الناس في الجامع ينتظرون الصلاة فاذا قامت الصلاة وقام الناس اليها قام هو في جملتهم فاذا ركعوا وسجدوا بقي واقفا ينظر اليهم لا يحرم ولا يركع ولا يسجد ثم يتمادى على ذلك حتى يفرغ الناس من صلاتهم

وأصبح من هذا وأرذل من يعتقد من هذا حاله ويرى أنه ممن يتبرك به وأنه من
الواصلين ويتأول بأنه يصلى في مواضع أخر وإنما هذا منه تخريب على نفسه
حتى لا يشهر ولا يعتقد وتأويلهم هذا من السخافة والحمق ومخالفة الشريعة المطهرة
وعدم الغيرة في الدين واصطلاحهم على الرضا بترك هذه الشعيرة العظمى التي
هى عماد الدين ورأسه وأول أركانه بعد كلمتى التوحيد اذ أن من رأى ولم ينكر
كمن فعل ولا ضرورة تدعو الى التخريب لأن من مشى على لسان العلم واتبع الحق
والسنة المحمدية واقتفى آثار السلف الماضين رضى الله عنهم سيما ان أنكر
عليهم ما هم فيه من عوائدهم الذميمة المخالفة للسنة فالغالب من حال أهل هذا
الزمان النفور منه لأنهم يزعمون أنه قد ضيق عليهم وهو انما ترك العوائد
والابتداع واتبع السنة المحمدية وتمسك بها وعادة النفوس فى الغالب النفور من
الحكم عليها . وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا حق ما بقيتلى حيبا . وقد
كان السلف رضى الله عنهم على عكس هذا الحال من اتبع السنة أجوبه واعتقدوه
وعظموه ووقروه واحترموه ومن كان على غير ذلك تركوه وأهملوه ومقتوه
وأبغضوه حتى كان من يريد الرفعة عندهم والتعظيم ممن لاخير فيه يظهر الاتباع
حتى يعتقدوه على ذلك . وأما اليوم فيعتقدون ويحترمون من يفعل العوائد
المحدثه ويمشى عليها ولا ينكر على أحد ما هو فيه فمن أراد التخريب فى هذا
الزمان فليتبع السنة المطهرة فانهم ينفرون عنه ولا يعتقدونه غالبا لانكاره
ما هم فيه حتى قد ينفر عنه أبواه وأهله وأقاربه لمخالفته ما هم عليه . ثم ان المخرب
لا يخلو حاله من أحد أمرين اما أن يعتقد حل ذلك أم لا فان اعتقد حله فهو
كافر وأما ان فعله مع اعتقاد تحريمه فهو فاسق على ما قاله العلماء . وأما المكروه فقد
قال علماءنا رحمة الله عليهم ان المداومة على المكروه يفسق فاعله . ثم انهم يتغالون
فى اعتقادهم فيقولون هذا بدل هذا قطب الى غير ذلك . وهذا اللفظ لا يحسن أن

يطلق على من اتبع السنة وبذل جهده في الاتباع فكيف يطلق على من تلبس بشيء من المحرمات أو المكروهات أو همامعا . ثم ان المتبع من الناس في اعتقاده على قسمين . فمنهم من يحمل جميع أفعاله وأقواله كلها على سبيل الورع فأى شيء فعله أو قاله أو أشار إليه من اتباع الأمر واجتناب النهي مثل أن يقول هذا موضع لأدخله لأجل أنه مغضوب أو استعمل المسلمون فيه الغضب أو غير ذلك فيقولون هذا من باب الورع هذا ليس بمتبع وقد دخله فلان وفلان ويحتجون بمن لا يحتج به وان كان في بعضهم أهلية للاحتجاج به فقد تكون له أعذار في ارتكاب ذلك في خاصة نفسه ولا يلزمه أن يبين عذره فيما وقع منه . وقد قال مالك رحمه الله ما كل الاعذار تبدى . وإذا كان كذلك فلا يجوز أن يقتدى به في هذا وما شا كله إذ أن اتباع لسان العلم هو المتعين على الناس عموما وخصوصا وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول انى لأتكلّم بالورع في هذا الزمان والناس يحملون ما أتكلّم به على سبيل الورع وليس كذلك فصار لسان العلم عندهم ورعا وترتبت على هذا مفسدة عظيمة وهي أنهم ينسبون كثيرا من الشريعة الى الورع فيتركون بسبب ذلك الاتباع وباب الورع ضيق لا يدخله الا الأفاضل إذ ليس هذا زمان الورع غالبا وما يتعلمون به من ذكر الورع انما هو من تسويل النفس والهوى والشيطان ليثبط عن بركة الاتباع . والقسم الثاني وهو غير المعتقد يقول هذا يابس مشدد مربوط يشير بكلامه وحاله الى أن غيره على الباطل وهو على الحق والطريق المستقيم . وكلامهم هذا يرد ما ورد في الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء من أمتي قيل يارسول الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين يصلحون اذا فسد الناس) وفي رواية الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتي وروى أبو داود في سننه عن علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كيف بكم إذا فسق فتيانكم وطغى نساؤكم قالوا يارسول الله وان ذلك لكائن قال نعم وأشد كيف بكم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا يارسول الله وان ذلك لكائن قال نعم وأشد كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا) والاحاديث في هذا المعنى كثيرة والله الموفق

(فصل) ثم ان غالب حالهم أن اعتقادهم يدور بين أمرين . فمنهم من يكون اعتقاده شهوة فيعتقده مدة ثم ينحل عن اعتقاده . ومنهم من يدوم اعتقاده لكن يزيد في اعتقاده ويتغالى فيه فيقول هذا بدل هذا قطب كما تقدم . وكذلك يقولون في حق غيره فيتناقض قولهم اذ أن القطب انما هو واحد وهو أعز من أن يجتمع به الا الواحد من الأفاذ ومع ذلك قل من يعرفه لأن صفته كما قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله في كتاب الأنوار له والله سبحانه وتعالى يدير القطب في الآفاق الأربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء وقد سترت أحوال الغوث وهو القطب عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه غير أنه يرى عالما جاهلا أبله فطنا تاركا آخذنا قريبا بعيدا سهلا عسرا آمنا حذرا . ومنهم من اذا حصل له اعتقاد في شيخ بعينه نقص غيره أو فضله على غيره ويقع بسبب ذلك شأن بين أصحابهم ومن ينتمون اليهم حتى أنهم ليرجعون أحزابا ويهجر بعضهم بعضا لعدم تسليم كل واحد منهما لصاحبه كما تقدم . وقد حدثني بعض الفقهاء من كان يحضر مجلس سيدي أبي محمد المرجاني رحمه الله أنه كان يسمعه وهو يعظم سيدي أبا محمد بن أبي جمره رحمه الله فكان هذا الفقير يقول في نفسه ما هذا الرجل كبير القدر مثل هذا السيد يعظمه قال فضيت يوما اليه حتى أراه فدخلت الى المسجد وهو يتكلم في الدرس والقارىء يقرأ عليه فرأيت عبارته دون عبارة سيدي أبي محمد المرجاني رحمه الله

فتعجبت وقلت في نفسي أمثل هذا يكون أفضل من سيدى أبي محمد المرجاني فاستبعدت ذلك فرد الشيخ رحمه الله رأسه الى ونظر لى ثم رجع يتكلم فيما كان بسنيله فقال فى أثناء كلامه ينبغى للفقير اذا دخل على الشيوخ أن لا يفضل من تلقاء نفسه شيخا على غيره يامسكين هذا الذى تفضله لو سألته عن فضله عليه كان جوابه أن يقول هو بركتى وهو كذا وكذا أرجو من الله تعالى أن ينفعنى به الى غير ذلك فرب ساكت أفضل من ناطق فيجىء أحدكم يفضل من يخطر له بما يخطر له أجاك أحد من عند الله تعالى وأخبرك أن فلانا عنده أفضل من فلان فهذا من قلة الأدب والاحترام فتب الى الله تعالى وارجع اليه ما كفى أن أحدكم يحرم العمل حتى يحرم الاعتقاد ما هذا الحال . قال فبقيت أتوب وأستغفر الله لعله يسكت فاسكت الا بعد حين أو كما قال . واذا كان ذلك كذلك فلا ينبغى أن يفضل بين شيخين الا بأحداهما . بأن يكون أحدهما أكثر اتباعا للسنة المطهرة من الآخر . أو يكون الذى يفضل أعلى مقاما منهما فيكشف عليهما لأن من هو فى مقام يكشف على من هو دونه ولا يكشف على من هو فوقه لان النبي صلى الله عليه وسلم كشف على مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يكشف على مقامه الخاص أحد منهم . ولا يرد على هذا كون المرید يعظم شيخه ويؤثره على غيره ممن هو فى وقته لأن تعظيمه له انما هو من جهة أن الله تعالى قد قسم له على يديه رزقا حسنا كما تقدم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (من رزق فى شىء فليزره) وقال فى حديث آخر (جبلت القلوب على حب من أحسن اليها) ولا شك أن الاحسان بما يبقى هو أفضل وأعلى من الاحسان بما يفنى وحقيقة المرید مع شيخه أن الشيخ وجده غريقا فى بحر التلغف فأنقذه وخلصه منه وأوقفه بباب ربه سبحانه وتعالى ولا احسان أعظم من هذا الاحسان . ووجه آخر وهو محبة المرید لطاعة ربه عز وجل فلما

أن رأى عند شيخه ما يحبه التزمه لمحبوبه الذى وجده عنده . وقد كان بعض الناس يخدم بعض أبناء الدنيا ويحبه ويؤثره بالخدمة له فعذله بعض الناس على التزم خدمته له وهو لا يعطيه شيئاً فكان جوابه أن قال محبوبى عنده . وقيل لآخر أيضاً وقد رأوه واقفاً بباب عدوه فعذله فى ذلك فأخبر بما تقدم وهو أن محبوبه عنده والمريد بنيتيه وخاطره وكليته راغب فى طاعة ربه عز وجل متسبب فى الوصول اليه فاذا رأى من هو مثله أو أرفع منه قد أحكم الطريق وعرفها أحبه والتزمه وأنس به لما حصل عنده من المحاسن الجميلة . فالخاصل من هذا أنه يعظمه لما خلع الله عز وجل عليه من الخلع السنية الشاهدة له بالقرب من المولى سبحانه وتعالى . ومنهم من يظهر له شىء من الكرامات فيغتر بها فيتلف حاله بسببها . ومنهم من يسلم بواسيطة أحد من الاولياء كما جرى لبعض المرادين بمدينة فاس أنه بات ليلة فى زاوية خارج البلد فطلع على سطح الزاوية فى ليلة مقمرة فأعجبه ضوء القمر فخطر له أن يجرب نفسه فى الطيران هل يقدر عليه أم لا فجرب نفسه فطار فى الهواء فدخل البلد من أعلى سورها وهو طائر فقال أى موضع أقصده فوقع له أن يأتي الى زيارة بعض الاكابر من المشايخ فى وقته فأتى الى باب داره ونزل ودق الباب فخرج اليه الشيخ فقال له من أنت فقال فلان فقال له ما وجدت شيئاً تأتيني به الا بهذه الكرامة والله لا كليتك بعدها أبداً فآدبه بذلك وكان سبب اجتماعه على ربه عز وجل وسلامته أو كما جرى . ومثل هذا ما حكى عن بعض المرادين أنه كان يحضر مجلس شيخه ثم انقطع فسأل الشيخ عنه فقالوا له هو فى عافية فأرسل خلفه فحضر فسأله ما الموجب لانقطاعك فقال ياسيدى كنت أجيء لكى أصل والآن قد وصلت فلا حاجة تدعو الى الحضور فسأله عن كيفية وصوله فأخبره أنه فى كل ليلة يصلى ورده فى الجنة فقال له الشيخ يا بنى والله ما دخلتها أبداً فلعلك أن تتفضل على فتأخذنى معك لعلنى أن أدخلها كما

دخلتها أنت قال نعم فبات الشيخ عند المرید فلما أن كان بعد العشاء جاء طائر فنزل عند الباب فقال المرید للشيخ هذا الطائر الذي يحمانى فى كل ليلة على ظهره الى الجنة فركب الشيخ والمرید على ظهر الطائر فطار بهما ساعة ثم نزل بهما فى موضع كثير الشجر فقام المرید ليصلى وقعد الشيخ فقال له المرید ياسيدى أما تقوم الليلة فقال الشيخ يابنى الجنة هذه وليس فى الجنة صلاة فبقى المرید يصلى والشيخ قاعد فلما أن طلع الفجر جاء الطائر ونزل فقال المرید للشيخ قم بنا نرجع الى موضعنا فقال له الشيخ اجلس مارأيت أحدا يدخل الجنة ويخرج منها فجعل الطائر يضرب باجنحته ويصيح حتى أراهم أن الارض تتحرك بهم فبق المرید يقول للشيخ قم بنا لئلا يجرى علينا منه شىء فقال له الشيخ هذا يضحك عليك يريد أن يخرجك من الجنة فاستفتح الشيخ يقرأ القرآن فذهب الطائر وبقيا كذلك الى أن تبين الضوء واذا هما على مزبلة والعدرة والنجاسات حولهما فصفع الشيخ المرید وقال له هذه هى الجنة التى أوصلك الشيطان اليها قم فاحضر مع اخوانك أو كما جرى . وحكاياتهم فى هذا المعنى قل أن تنحصر والحاصل منه أن الشيطان لا يترك أحدا ولا يياس منه الا بعد خروج روحه وأما قبل ذلك فيضرب عليه بخيله ورجله ويستعمل حيله كلها . وقد تقدم بعض هذا واذا كان ذلك كذلك فيتعين على المرید أن لا يدعى حالا ولا مقاما خيفة أن يفسد على نفسه ما من به عليه ان كان حقيقة أو يكون من الشيطان ابتداء وكثير من الناس فى هذا الزمان ممن ليس له رسوخ فى الطريق بل بعضهم مغموس فى الجهل ويدعى أنه من الشيوخ الموصولين الى الله وليس له ذوق فى طريق القوم بالكلية بل عكسه . أسأل الله السلامة بمنه . ومنهم من يفعل فعلا قبيحا شنيعا فى مطالبة بعضهم لبعض وقيام المستغفر مكشوف الرأس زمنا طويلا وربما كان معتل الدماغ فتأخذه نزلة سيما ان كان فى وقت البرد وقد

يؤول الأمر من ذلك الى الموت أو الى أمراض خطيرة قد تطول عليه المدة بالعلل . ثم ان بعضهم زاد على ذلك أن يفعله بمشهد من الناس عامة وذلك مخالف لطريق القوم لانهم اذا كانت مطالبة بعضهم لبعض فانما يكون ذلك فيما بينهم مستترين لا يخالطهم غيرهم لانهم كما قيل لا يطاع عليهم الا ذو محرم ومحرمهم من كان منهم أعنى من أصحاب الخرقه دون غيرهم . ويزيد بعضهم حمل الأقدام ويقف طويلا بها ينتظر اقبالهم عليه . وبعضهم يبالغ في هذا المعنى فيأمر بكشف رأس الجاني على زعمه وضربه بالجمجم (١) والجريد وغيرها وهذا قبح وشناعة أن ينسب هذا لمن يدعى الطريق وطريق القوم غير هذه الطريقة إذ أنها مبينة على الصفح والتجاوز والاعضاء مالم يكن في أمر الدين فان كان في أمر الدين فيكفي فيه الهجران لا غير وفيه مقنع للجاني والمجنى عليه وغير هذا ليس من السنة في شيء . وطريقهم أنهم اذا وقع أحد منهم في مخالفة يطالبونه بالتوبة والاقلاع عما وقع فيه . ثم زاد بعضهم على ذلك اعتقادهم أنه من طريق القوم الصادقين وقد تقدم كيفية ما يفعله الصادق منهم مع اخوانه اذا اطاع على شيء من المكروه الذي وقعوا فيه وأنه يتوجه الى الله تعالى في انقاذ من وقع منه ذلك . وينبغي أن تكون المطالبة للشيخ آكد من المطالبة للمريد لان بغفلة الشيخ عنه جرى عليه ما جرى فلو كان الشيخ يلحظه لما قدر على ذلك في الغالب . ألا ترى الى ماجرى لسيدى أبي علي بن السماط شيخ سيدى أبي محمد المرجاني رحمهما الله تعالى أن بعض أصحابه جاء اليه وطلب منه اذنان يتزوج فابى عليه ثم جاءه ثانيا فابى عليه ثم ثالثا كذلك فقال أزنى قال اذهب فذهب المريد فأخذ امرأة وجاء بها الى بيته وأغلق الباب واذا بالحائط قد انشق ودخل عليه الشيخ فخرج هاربا يسيح في البرية بحال أخذه لا يعرف أين يذهب ثم رجع اليه عقله بعد ذلك

(١) الجمجم جمع جمجم وهو المداس « معرب »

فقال من أين أصابني المرض من هناك أتداوى فرجع الى موضع الشيخ فدخل وسلم عليه فقال له الشيخ رحمه الله أقدرت على شيء تفعله أنظن أنك لنفسك بل كثير منهم لا يتحملون أن يروا من ينتمى اليهم في ذرة مما لا ينبغي. ألا ترى الى ما حكى عن بعضهم أنه رأى بعض أصحابه في الصف الأول يوم الجمعة فقال له مالي أراك ههنا فقال له لأجل فضيلة الصف الأول وللقرب من الخطيب فقال له أما تعلم أن البعد من هؤلاء القوم أقرب الى الله تعالى من القرب منهم وما ذاك الا لمشاهدة ما الشرع يأمر بتغييره عليه . أقل ما يمكن في التغيير أن لا يرى شيئاً يخالف السنة حتى يتعين عليه التغيير بالقلب اذ أن أصعب ما في التغيير التغيير بالقلب لان الغالب على القلب تدنيسه بما يشاهد ويرى ويسمع فقل أن يتأثر مع مداومة هذا الحال عليه فالتغيير بالقلب وان كان دون المرتبتين اللتين قبله فهو أصعب منهما بهذا الاعتبار فتأمل . وما ذاك الا لتأنيس القلوب غالبا بالعوائد المستمرة . ألا ترى الى ما حكى عن بعضهم أنه قال أول بدعة رأيت بلبت الدم وقد تقدم ذلك . وقد ورد (ولو البدع ظهوركم) وكذلك ورد (من لم يزل المنكر فلينزل عنه) فكيف يقبل المكلف على شيء من ذلك أو يصغى اليه وأما ان فاجأه ذلك وعجز عن التغيير فالتخلص منه أقرب وأيسر . لما ورد فيمن لم يقدر على التغيير أن يقول اللهم ان هذا منكر ثلاثا . ثم ليضلسه ويعرض عنه

فصل في مكاتبة الفقير لأخيه

وينبغي له أن يجتنب ما اعتاده بعض الناس في مكاتبة بعضهم لبعض بالألفاظ التي احتوت على التزكية والتعظيم والكذب والتنميق والقوافي والسجع والعبارات المقلقة والتكلف اذ أن ذلك لا يجوز . ألا ترى أن كتب السلف رضى الله عنهم بعضهم الى بعض على منهاج غير هذا . فمن ذلك كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضى الله تعالى عنه الى من يكاتبه من ولاته . من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة ابن الجراح الى خالد بن الوليد الى عمرو بن العاص . وكتبهم له . من أبي عبيدة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فوصفوه بالصفة الملازمة له . فان قيل قد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل : من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم . فالجواب ما قاله القاضى أبو بكر بن العربي رحمه الله فى سراج المریدین له أن معنى كتب النبي عليه الصلاة والسلام الى هرقل عظيم الروم أى الذى يعظمه الروم وتعظيم الروم له باطل ولكنه موجود حقيقة فلذلك وصفه النبي صلى الله عليه وسلم به . وعلى هذا درج السلف والخلف رضى الله عنهم . وتعظيم هذه الطائفة إنما هو بالقلوب لا بالقلقة من الألسن كما هو الحال فى هذا الزمان فهذه بعض نذ يستدل بها على ما عداها . وأما طريق كثير من الفقراء المسافرين أعنى غير المحققين منهم فلمهم اصطلاحات وعوائد قل أن تجد للاتباع فيها سبيلا . فمن ذلك ما كانوا يوجبونه على من يريدون أخذ ثيابه وغيرها من دط لبات كثيرة يسمونها شغل الفقراء وليس هذا الحال خاصا بهم وذلك كله ممنوع فى الشرع الشريف لقوله عليه الصلاة والسلام (لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه) وهم يأخذون ذلك بغير طيب نفس من صاحبه حتى انهم ليكلفون من كان فقيرا الى المسألة بالالحاح وتكليف الناس كما تقدم من فعلهم فى الضيافات والاجازات وأحوالهم فى هذا المعنى قل أن تنحصر . وفيما ذكر تنبيهه على ما عداه والله الموفق

فصل فى صرف همم المرید كلها الى الآخرة وأموورها

وينبغى له أن يكون أهم الامور عليه وآ كدها عنده أوور الآخرة اذ أنه صيره اليها فيتعين عليه ايشارها ولا يعبأ بغير ذلك الامن طريق الامتثال لأن غير أمر الآخرة منقطع زائل وما هو كذلك فأمره أقرب وأيسر من الدائم الذى

لا ينقطع . ألا ترى الى حال النبي صلى الله عليه وسلم وكيف كان على ما وصف
 الواصف متواصل الاحزان . وقد كان الحسن البصرى رضى الله عنه قد غلب
 عليه هذا المعنى حتى كأنه يقدم للقتل على ما نقل عنه . وكان يقول أعجب من
 يملأ فاه بالضحك وهو لا يعلم في أى ديوان اسمه هل فى الجنة أو فى النار . وقد
 سأل رجل أحمد ابن حنبل رحمه الله أن يعظه فقال له الامام أحمدان كان الله قد تكفل
 بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان
 كان الخلف على الله حقا فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان
 كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كان سؤال منكرو ونكير حقا فالانس لماذا
 وان كانت الدنيا فانية فالطمانينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان
 كان كل شىء بقضائه وقدره فالحزن لماذا . وقد قالت رابعة العدوية لرجل رأته
 مهموما ان كان همك من أمر الآخرة فزادك الله هما وان كان من أمر الدنيا
 ففرج الله همك . وقد أنشد بعضهم فى هذا المعنى فقال

لا تجزعن اذا ما الأمر ضقت به ذرعا ونم وتوسد خالى البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال

﴿فصل﴾ هذا ما تيسر من الكلام على آداب المرید وينبغى أن نختتمه
 بذكر شىء من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم تبركا بذكر آثاره وأحواله ولكى
 يكون سلبا للبريد فى اتباعه عليه الصلاة والسلام فى تصرفاته وحرركاته
 وسكناته وإشاراته . فمن ذلك ما ذكره الباجى رحمه الله فى كتابه المسمى
 بسنن الصالحين وسنن العابدين . قال مالك ان رجلين كانا جالسين يتحدثان
 وكعب الاحبار قريب منهما فقال أحدهما لصاحبه انى رأيت فى المنام كأن
 الناس جمعوا ليوم القيامة فرأيت النبيين لهم نوران نوران ولأتباعهم نور نور
 قال ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم مامن شعرة فى جسده ولا رأسه الا وفيها

نوران ورأيت أتباعه لهم نوران نوران فقال له كعب اتق الله وانظر ماذا تحدث به فقال انما هي رؤيا رأيتها فقال كعب والذي نفسي بيده انه في كتاب الله المنزل لكما ذكرت . ومنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فخن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم . بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال تعالى ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى ﴿واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾ بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون ﴿يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فما ذاك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك . بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فما ذاك بأعجب من البراق حين سريت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك . بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله تعالى احياء الموتى فما ذاك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مسمومة فقالت لانا كلنى فانى مسمومة . بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ ولو دعوت مثلها علينا هلكننا عن آخرنا فلقد وطىء ظهرك وأدى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول الا خيرا فقلت ﴿اللهم اغفر لقومى فانهم

لا يعلمون) بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد اتبعك في احداث سنك وقصر عمرك
 ما لم يتبع نوحا في كبر سنه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا
 قليل . بابي أنت وأمي يارسول الله لو لم تجالس الا كفوؤا لك ما جالستنا . ولو لم
 تتكح الا كفوؤا لك ما تكحت الينا . ولو لم تواكل الا كفوؤا لك ما آكلتنا . ولبست
 الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالأرض ولعقت أصابعك تواضعا
 منك صلى الله عليك . ومن كتاب التفسير للطبرى رحمه الله كان النبي صلى الله
 عليه وسلم يلبس الصوف ويتعل الخصوف ولا يتأنف من ملبس يلبس ما وجده
 مرة شملة ومرة بردة حبرة ومرة جبة صوف . وكان يلبس النعال السبتية
 ويتوضأ فيها وكان لنعليه قبالاتن وأول من عقد عقداً واحداً عثمان وكان أحب
 اللباس اليه الحبرة وهي برود اليمن فيها حمرة وبياض . وكان أحب اللباس اليه
 القميص وكان اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة كان أو قميصا ورداء ويقول
 اللهم لك الحمد كما ألبستنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره
 وشر ما صنع له . وكان يعجبه الثياب الخضر . وكان يلبس الكساء الصوف
 وحده فيصلى فيه وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين
 كتفيه ويصلى فيه . وكان يلبس القلائس تحت العمامم ويلبسه دون العمامم ويلبس
 العمامم دونها ويلبس القلائس ذات الأذان في الحرب وربما نزع قلنسوته وجعلها
 سترة بين يديه وصلى اليها وربما مشى بلا قلنسوة ولا عمامة ولا رداء راجلا
 يعود المرضى كذلك في أقصى المدينة وكان يعتم ويسدل طرف عمامته بين
 كتفيه وعن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال عممى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بعمامة وسدل طرفها بين كتفي وقال (ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين)
 وكان يلبس يوم الجمعة بردة الاحمر ويعتم . وكان يلبس خاتما من فضة فضه
 منه نقشه محمد رسول الله في خنصره الايمن وربما لبسه في الايسر ويجعل فضه

مما يلي بطن كفه . وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة
 وكان يقول (ان الله تعالى جعل لذى في الدنيا النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة)
 وكان يتطيب بالغالية وبالمسك حتى يرى ويبيسه (١) في مفارقه ويتبخر بالعود
 ويطرح فيه الكافور . وكان يعرف في الليلة المظلمة بطيب ريحه . وكان صلى
 الله عليه وسلم يكتحل بالآثم في كل ليلة ثلاثا في كل عين وربما اكتحل ثلاثا
 في اليمنى واثنين في اليسرى وربما اكتحل وهو صائم . وكان يقول عليكم
 بالآثم فانه يجلو البصر وينبت الشعر . وكان يكثر دهن رأسه ولحيته . وكان
 يترجل غبا . وكان ينظر في المرأة وربما نظر في الماء في ركوة في حجرة عائشة
 وسوى جمته . وكان لا تفارقه قارورة الدهن في سفره والمكحلة والمرآة والمشط
 والمقراض والسواك والخيوط والابرة فيخيط ثيابه ويخفف نعله . وكان
 يستاك بالاراك وكان اذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك ويستاك في الليلة
 ثلاث مرات قبل النوم وبعده عند القيام ولورده عند الخروج لصلاة الصبح
 وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم في الأخدعين وبين الكتفين واحتجم وهو
 محرم بمكة على ظاهر القدم . وكان يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى
 وعشرين وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا . دخل يوما على أم
 سليم وقدمات نغرابها (٢) من بنى أبي طلحة فقال له يا أبا عمير ما فعل النغير وجاءته
 امرأة فقالت يا رسول الله احملنى على جمل فقال أحملك على ولد الناقة وجاءته امرأة
 فقالت يا رسول الله ان زوجى مريض فقال لعل زوجك الذى فى عينه يياض
 فرجعت المرأة وفتحت عيني زوجها لتنظر اليهما فقال مالك فقالت أخبرنى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أن فى عينيك يياضا فقال ويحك وهل أحد الا وفى عينيه
 يياض . وجاءته أخرى فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال يا أم فلان

(١) الوييص البريق (٢) نغر كصرد طائر كالعصفور أحمر المنقار

ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة وهي تبكي فقال صلى الله عليه وسلم أخبروها
 أنها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول ﴿ انا أنشأناهن انشاءً أجعلناهن أبكارا
 عربا أترابا ﴾ وقالت عائشة رضى الله عنها سأبت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فسبقته فلما كثر لى سابقته فسبقتى ثم ضرب كتفى وقال هذه بتلك . وجاء صلى
 الله عليه وسلم الى السوق من وراء ظهر رجل اسمه زاهر وكان صلى الله عليه
 وسلم يحبه فوضع يده على عينيه وما كان يعرف أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حتى قال من يشتري هذا العبد فجعل يمسح ظهره برسول الله صلى الله عليه وسلم
 ويقول اذن والله تجددنى كاسدا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لكنك عند
 ربك لست كاسدا . ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسيناً مع صبية فى الطريق
 فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم وطفق الحسين يفرها ربا ههنا
 وههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه فجعل احدى يديه
 تحت ذقنه والأخرى فوق رأسه . وكان صلى الله عليه وسلم يدخل على عائشة
 والجوارى يلعبن عندها فاذا رأينه تفرقن فيسيرهن اليها . وقال لها يوما وهى تلعب
 يلعبتها ماهذه يا عائشة فقالت خيل سليمان بن دواد فضحك وطلب الباب فابتدرته
 واعتنقته فقال مالك يا حيراء فقالت بأبى أنت وأمى يارسول الله ادع الله أن
 يغفرلى ما تقدم من ذنبى وما تأخر فرفع يديه حتى روى بياض ابطينه فقال اللهم
 اغفر لعائشة بنت أبى بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا ولا تكسب بعدها
 خطيئة ولا اثما . ثم قال صلى الله عليه وسلم أفرحت يا عائشة فقالت اى والذى
 بعثك بالحق فقال أما والذى بعثنى بالحق ما خصصتك بها من بين أمتى وانها
 لصلاتى لأمتى بالليل والنهار فيمن مضى منهم ومن بقى ومن هو آت الى يوم القيامة
 وأنا أدعولهم والملائكة يؤمنون على دعائى . وكان عليه الصلاة والسلام يكرم
 ضيفه ويبسط رداءه له كرامة . وجاءته ظئره التى أرضعته يوما فبسط لها رداءه وقال

مرحبا بأبى وأجلسها عليه . وكان أكثر الناس تبسما وأحسنهم بشرا مع أنه كان متواصل الاحزان دائم الفكرة لا يمضى له وقت في غير عمل الله أو فيما لا بد له أو لأهله أو لآلته منه وماخير بين شيئين الا اختار أيسرهما الا أن يكون فيه قطيعة . رحم فيكون أبعد الناس منه . وكان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم في مهنة أهله . ويقطع اللحم معمن ويركب الفرس والبغل والجمار ويردف خلفه عبده وأغيره ويمسح وجه فرسه بطرف كفه أو بطرف ردائه . وكان يتوكأ على العصا وقال التوكؤ على العصا من أخلاق الانبياء . ورعى الغنم وقال مامن نبى الا وقد رعاها وعق صلى الله عليه وسلم عن نفسه بعد ما جاءته النبوة . وكان لا يدع العقيقة عن المولود من أهله ويأمر بحلق رأسه يوم السابع وأن يتصدق عنه بزنة شعره فضة وكان يحب الفأل ويكره الطيرة ويقول مامننا الا من يجد في نفسه ولكن الله يذهب بالتوكل . وكان اذا جاءه ما يحب قال (الحمد لله رب العالمين) واذا جاءه ما يكره قال (الحمد على كل حال) واذا رفع الطعام من بين يديه قال (الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين) وروى فيه (الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا) واذا عطس خفض صوته واستتر يده أو بثوبه . وحمد الله . وكان صلى الله عليه وسلم أكثر جلوسه مستقبل القبلة . واذا جلس فى المجلس احتبى بيديه . وكان يكثُر الذكر ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ويستغفر فى المجلس الواحد مائة مرة وكان ينام أول الليل ثم يقوم من السحر ثم يوتر ثم يأتي فراشه فاذا سمع الاذان وثب قائما فان كان جنباً أفاض عليه الماء والاتوضأ وخرج الى الصلاة . وكان يصلى فى سبحة (١) قائما وربما صلى قاعدا . قالت عائشة لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان أكثر صلاته جالسا . وكان يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء وهو فى الصلاة . وكان يصوم الاثنين

(١) السبحة بضم فسكون النافلة

والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء وقلبا يفطر يوم الجمعة وأكثر صيامه في شعبان. وكان صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظارا للوحي وإذا نام نفخ ولا يغط غطيطا. وكان إذا رأى في منامه ما يروعه قال (هو الله ربى لا شريك له) وإذا أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده الايمن وقال (رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك) وكان يقول (اللهم باسمك أموت وأحيا) وإذا استيقظ قال (الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور) وكان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم يبين كلامه حتى يحفظه من جلس اليه ويعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه. ويخزن لسانه ولا يتكلم في غير حاجة ويتكلم بجوامع الحكم فصلا لا فضولا ولا تقصيرا وكان يتمثل بشيء من الشعر وكان يتمثل بقول بعضهم ويأتيك بالاخبار من لم تزود وكان صلى الله عليه وسلم جل ضحكك التبسم وربما ضحك من شيء معجب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة. وما عاب صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله وان لم يشتهيه تركه وكان لا يأكل متكئا ولا على خوان يأكل الهدية ويكافئ عليها ولا يأكل الصدقة ولا يأنف في مأكل يأكل ما وجد ان وجد تمرا أكله وان وجد خبزا أكله وان وجد لبنا اكتفى به ولم يأكل خبزا مرققا حتى مات صلى الله عليه وسلم. قال أبو هريرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع بخبز الشعير وكان يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا توقد في بيت من بيوته نار وكان قوتهم التمر والماء وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع. هذا وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الارض فأبى أن يقبلها واختار الآخرة وأكل صلى الله عليه وسلم الخبز بالخل وقال (نعم الا دام الخلل) وأكل لحم الدجاج وكان يحب الدباء ويأكله ويعجبه الذراع من الشاة وقال ان أطيب اللحم لحم الظهر وقال (كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة) وكان يعجبه الثفل يعنى ما بقى من الطعام وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن

وأكل صلى الله عليه وسلم خبز الشعير بالتمر وقال هذا آدم هذا وكل صلى الله عليه وسلم البطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد وكان يحب الحلواء والعسل وكان صلى الله عليه وسلم يشرب قاعدا وربما شرب قائما ويتنفس ثلاثا وإذا فضلت منه فضلة وأراد أن يسقيها بدأ بمن عن يمينه وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا وقال (من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا خيرا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه) وقال صلى الله عليه وسلم (ليس شيء يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن) زاد الباجي رحمه الله وكان عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم كما وصفه الله تعالى. وكان أحلم الناس وأعدل وأعف الناس لم تمس يده قط امرأة الا بملك رقبته أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه. أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه وفجاه الليل لم يأو الى منزله حتى يعطيه من يحتاج اليه. لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من الشعير والتمر ويضع سائر ذلك في سبيل الله تعالى لا يسأل شيئا الا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى يحتاج قبل انقضاء العام. أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد. يجيب دعوة العبد والحر. ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن. وتستبعه الأمة والمسكين فيتبعهما حيث دعوا. لا يغضب لنفسه ويغضب لربه. منديله باطن قدمه. يشهد الجنائز. أشد الناس تواضعا وأسكتهم من غير كبير وأبلغهم من غير عي. لا يهوله شيء من أمر الدنيا. يجالس الفقراء ويؤا كل المساكين ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم. يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم لا يخفوا على أحد. يقبل معذرة المعتذر. يخرج الى بساتين أصحابه لا يحقر مسكينا لفقره وزماتته. ولا يهاب ملكا لملكه. يدعو هذا وهذا الى الله تعالى دعاء مستويا. قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو

أُمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل والصحارى فعلمه الله جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا. قال الباجي رحمه الله وذكر العتيبي قال كنت عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول ﴿ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك الى ربي ثم أنشأ الاعرابي يقول

ياخير من دفنت في الأرض أعظمه فطاب من طيبهن القساع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف . قال العتيبي فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي يا عتيبي الحق الاعرابي فبشره أن الله قد غفر له . ومن كتاب الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عنى هذه الكلمات فيعمل بهن ويعلم من يعمل بهن قال أبوهريرة أنا يا رسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا فقال (اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب ومنه عن عقبه بن عامر قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال (أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (بدا الاسلام غر بيا وسيعود غر بيا كما بدا فطوبى للغرباء من أمتى قيل يا رسول الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتي) (فصل) قد تقدم الكلام على السبعة الذين يدور عليهم أمر الدين ونرجع الآن الى القسم الثانى وهو تصرف الناس فى أسبابهم وصنائعهم

ومعايشهم وما يحتاج اليه بعضهم من النية فيما هو يحاوله وما يتحفظ منه وهذا النوع كثير . فنبداً أولاً بما هو الأولى فالأولى والآكد فالآكد . فأول ما نبداً به من الكلام على الصنائع والحرف غسل الميت وحفر القبر وغيرهما وما يفعل في ذلك من الأحكام والتنبيه على بعض ما أحدثوه فيه إذ أنه من أهم أمور الدين وآكدها . لكن نقدم أولاً ذكر حال المحتضر وما يحتاج اليه من الآداب والله المستعان . قد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لقنوا موتاكم لا اله الا الله) وورد أيضاً (من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة) وينبغي أن لا يقرب به حائض ولا جنب ولا صغير يعيث لا يرجع لما يؤمر به أو ينهى عنه . وينبغي أنه مهما أمكن أن لا تكون عليه نجاسة فعل فعل هذا يكون ثوبه طاهراً وبدنه طاهراً وكذلك من حضره يكون كذلك . وينبغي أن يكون على المحتضر إذ ذاك ما تيسر من الطيب أكراما للقاء الملائكة . وينبغي أن يحضره إذ ذاك أحسن أهله وأصحابه هديا وخلقا ودينا وسمتا ووقارا فيلقنه كلبتي التوحيد برفق وذلك بأن يقول لا اله الا الله محمد رسول الله جهرا ثم يسكت ساعة ثم يعيدها ثم كذلك الى أن يقضى . ولا ينبغي أن يقول له قل لا اله الا الله أو يلح عليه بذلك وما ذاك الا لأنه اذا قال له قل لا اله الا الله قد يتوهم المحتضر إذ ذاك وقد يكون أخذته غشية فيتوهم فيكون سبباً لموته واذا أكثر عليه بلا اله الا الله اختلط عليه فاذا كان على ما وصف قبل سلم من هذا . وينبغي أن يكثّر من الدعاء له وللحاضرين لكن بخفض صوت وحسن سمت ووقار لأن الملائكة يحضرون ويؤمنون على دعاء الداعي . وهذا المواطن من المواطن التي يرجي فيها قبول الدعاء . وقد أنكر مالك رحمه الله القراءة عنده بسورة يس وسورة الأنعام وعلل ذلك بأنه لم يكن من عمل الناس وأجازة ابن حبيب على ما تقدم وصفه من الوقار والتؤدة وكذلك اختلفا في توجيهه الى القبلة فقال مالك رحمه

الله لم يكن من عمل الناس وكره أن يعمل ذلك استئنا . وقال ابن حبيب يستحب ذلك لأنها الجهة التي كان يعظمها في حياته فاذا فعل المكلف ما قاله ابن حبيب فلا يفعل ذلك به حتى يعاين وهو أن يشخص ببصره لأنه ان فعل ذلك به قبل المعاينة قد يوهمه فيكون سببا لموته أو للغشيان عليه . وينبغي لمن يلقنه أن لا يضجر ولا يقلق ان طال الأمر عليه ووجد من يقوم عنه بذلك حتى يأخذ راحة لنفسه فعل وان كانوا جماعة فيفعلون ذلك واحدا بعد واحد ولا يلقنونه بجماعتهم فان ذلك يجرجه ويقلقه . وينبغي أن لا يضجر أيضا من عدم قبول المحتضر لما يلقيه اليه . وقد يرى من بعضهم عدم القبول لذلك لأن الموضوع موضع فتنة وأمر شديد . ألا ترى الى ماورد أن المحتضر اذا احتضر يأتيه شيطانان أحدهما على صفة أبيه والآخر على صفة أمه فيقول له الذي هو عن يمينه على صفة أبيه يابني أنا قد سبقتك الى هذا الموضوع وقد عرفت الحق فيه والدين الأقوم الذي به النجاة وهو دين النصرانية فمت عليه فهو الحق . أعاذنا الله من ذلك بمنه ويقول الذي على صفة أمه يابني قد كان بطني لك وعاء وثدي لك سقاء وحجرى لك وطاء وأنا أحب لك ما أحب لنفسى وقد سبقتك الى هذا الوطن وعرفت الحق من غيره فمت على دين اليهودية أو كما قال الى غير ذلك . وقد ورد أن الاديان تعرض عليه اذذاك والامر أمر خطر عظيم في الخطر فينبغي أن يكثروا له من الدعاء وأن يجتنبوا اللغظ والقييل والقال . وقد سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يحكى ان بعض المغاربة جاؤا الى البلاد بنية الحجاز فمرض بعضهم واحتضر فجلس اليه رفقاؤه يلقنونه على ماتقدم وصفه فكان اذا قال من على يمينه لا اله الا الله محمد رسول الله معر وجهه ورده الى ناحية اليسار واذا قال من على يساره ذلك معر وجهه ورده الى الناحية الأخرى ثم كذلك ثم كذلك الى أن غلب عليهم النوم فناموا وبقى واحد منهم يلقنه فاذا حول وجهه الى ناحية اليمين دار اليه واذا

حواله الى جهة اليسار دار اليه ثم كذلك ثم كذلك الى أن غلب عليه النوم أيضا كما صحابه فينما هو في النوم اذ رأى الناس يتجارون قال فقلت فما بال الناس فقالوا هم ماشون الى فلان «اسم المحتضر» يهنونه بالموت على الاسلام فقلت هذا صاحبي فأسرعت معهم لأهنيه من جملة من يهنيه فجئنا الى باب كبير فدخل الناس من ذلك الباب فدخلت معهم فاذا بصاحبي واقف والناس يهنونه بالموت على الاسلام فزاحمت معهم حتى اجتمعت به فهنئته كما فعل غيرى فأمسك بيدي وقال آه يا فلان ما هذا الجلال الذي فعلتم معي تركتموني وحيدا للشياطين يتسلموني فقلت له كئنا نلقنك وأنت تمعر وجهك وتعرض عنا يمينا ويسارا فقال لي ما عنكم كنت أعرض وانما كنت أعرض عن الشياطين فانها أتاني على صفة أبي من جهة اليمين وعلى صفة أمي من جهة اليسار فهذا يدعوني الى دين النصرانية وهذه تدعوني الى دين اليهودية وكان كلامكم يؤنسني وأستوثق به فلما نتم تسلماني لكن الحمد لله الذي أعانني فأنني لما أن بقيت وحيدا نزل ملك من السماء ويده حربة فبرزها عليهما وقال لهما اليكما عن ولي الله فوليا هاربين ثم لقنني الشهادة فقلتها فمت عند ذلك وهؤلاء يهنونني بما أنعم الله به علي أو كما قال فاستفاق من نومه فقام الى صاحبه فوجده قد مات رحمه الله . وقد حكى عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه لما جاءه الموت ولقن لا اله الا الله قال لا فرؤى بعد موته في المنام فقيل له كئنا نقول لك لا اله الا الله وأنت تقول لا فقال كان ابليس تعرض لي وقال لي سلمت مني يا أحمد فقلت له مادامت الروح في الحلقوم لا أسلم منك وكان ذلك جوابا له لا لكم أو كما قال . وقد روى مالك في موطئه عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مرض العبد بعث الله اليه ملكين فقال انظر ماذا يقول العواده فان هو اذا جاءه حمد الله وأثنى عليه فعاذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على ان توفيته أدخله الجنة وان أنا شفيته أن أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه

وأن أكفر عنه سيئاته. وروى الترمذى عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تصيب العبد نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر قال وقرأ ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ الآية. وينبغي أن لا يترك أحدا يبكي حوله برفع صوته بذلك. ومن كان باكيا من جماعته فليعتزل عنه بموضع لا يسمعه المحتضر ولا بأس بالبكاء بالدعوى حينئذ وحسن التعزى والتصبر أولى وأجمل لمن استطاع. وليحذر من السخط والضجر وليكن موقنا بالعوض من الله تعالى إذ أن من مات لم يكن بيده حل ولا ربط ولا قدرة ولا ارادة الا بأمر من المولى سبحانه وتعالى فالذى أقامه في ذلك يقيمه في غيره أو لا يحوجه إليه. وينبغي أن يمثل السنة ويتعلق بها حين وقوع الامر به فيقول ما ورد في الحديث عن صاحب الشريعة صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول (ما من امرئ تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله عز وجل أنا لله وأنا إليه راجعون ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتى واعقبني خيرا منها إلا أبدله خيرا منها) قالت أم سلمة فلما أن مات أبو سلمة جعلت أقولها وقلت ومن خير من أبي سلمة ثم قلت أمثل السنة فأقولها فقلت فإبدلني الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كما قالت. وينبغي أن تكون النساء بمعزل عنه اذ ذلك لان فيهن من الرقة وعدم الصبر وعدم العلم أو قلتها ونقصان العقل ما هو معلوم وذلك يؤدي الى وقوع مالا ينبغي بحضرة المحتضر فيتحفظ من ذلك وما يترتب عليه من الوقوع فى النهى الصريح. لقوله عليه الصلاة والسلام (ليس منا من حلق وخرق ودلق وسلق) ومعنى حلق حلق الشعور وخرق خرق الثياب ودلق هو تخميش الوجوه والضرب على الحدود وسلق هو الكلام الردى القبيح ومنه ﴿سلقوكم بالسنة حداد﴾ وقد روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن عبد الله بن مسعود رضى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) وروى

الترهذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واجبلاه واسندها ونحو ذلك الا وكل الله به ملكين ينتهرانه ويقولان له أهكذا كنت) وروى البخاري عن النعمان بن بشير قال أغمى علي عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي وتقول واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه فقال حين أفاق ما قلت شيئا الا قيل لي أنت كذا فلما مات لم تبك عليه . وينبغي لمن حضر من الرجال أن لا يظهر الجزع اذ ذلك فانه اذا ظهر ذلك منه للنساء كان سببا لوقوع ما تقدم ذكره منهن فليحذر من هذا جهده مع وجود الرفق والشفقة والرحمة والسياسة مع أهل الميت ان أمكن ذلك فان لم يمكنه أقام سطوة الشرع عليهم ولا يتركها لاجل ما نزل بهم لان الشرع قد قرر ما فيه مقرر بقوله عليه الصلاة والسلام (فاذا وجبت «أى مات» فلا تبكى باكية) فلا يتعدى ما حده عليه الصلاة والسلام والله المستعان ومن حضر من أهله أه غيرهم فأمرهم ونهاهم فلم يسمعوا منه فيتعين عليه أن لا يحضر مادام ذلك موجودا لانه منكر بين وتغييره واجب متعين فاذا لم يسمع ذلك فأقل ما يلزمه في خاصة نفسه عدم حضوره لانه أقل مراتب الانكار لما ورد عنه عليه الصلاة والسلام (من لم ينزل المنكر فاینزل عنه) لكننه ان كان قدوة فيتعين عليه أن يخبرهم بأن المانع من حضوره ما وقعوا فيه من المخالفة وليحذر أن يقع بحضرته ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان من اختلاط النساء بالرجال وكشف وجوههن وتسويدها وتسويد بعض أجسادهن ونشر الشعر والدعاء بالويل والشبور وهو دعوى الجاهلية ولباس الأزرق والسواد وما يفعله بعضهم من خرق قعور القدور السود وجعلها في حلوقهم وسكب التراب على الرأس وتلطخ البيوت بالسواد وما يجعلونه في الأعناق من السلاسل ولولم يكن فيه من القبح الا التفاؤل بالسلاسل والاغلال التي توعد بها أهل النار . أسأل الله السلامة من ذلك بمنه . وتحفيتهم

للاقدام من أجل ذلك وبعضهم يترك لبس السواد ويعوض عنه البياض وان كان لبس البياض مباحا أو مأهورا به في بعض المواطن لكن اتخاذه في هذا الموطن على سبيل الاستئنان به بدعة . وبعضهم يتركون الصلاة عندهم ميتهم ولا يرجعون لها الا بعد مدة تختلف أحوالهم فيها فمنهم من يتركها اليوم واليومين ومنهم من يتركها الشهر والشهرين الى غير ذلك جهلا منهم بما يجب عليهم وما يؤمرون به فيحرمهم اللعين ثواب مصابهم وثواب الصلاة ويوقعهم في الاثم في تركها بعادته الذميمة أسأل الله السلامة من ذلك بمنه . وقد ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشرا) والاحداد على ما قاله علماءنا رحمة الله عليهم يتضمن الامتناع من خمس لباس المصبغات كلها الا السواد والحلي والكحل والطيب والقاء التفت فاذا كان هذا في حق النساء فما بالك به في حق الرجال . وما أحدثوه أيضا من المحرمات حضور الطارات والضرب بها سيما مع النائحة . وقد قال عليه الصلاة والسلام (كل نائحة في النار الا نائحة حمزة) وروى أبو داود في سننه عن أسيد بن أبي أسيد عن امرأة من المبيعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي أخذ علينا أن لانعصيه فيه أن لانخمش وجها ولاندعو ويلاولان شق جيبا ولانشر شعرا وروى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائي عن أم عطية قالت أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع البيعة أن لاننوح على ميت . وروى النسائي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على النساء حين بايعهن أن لا ينحنن فقلن يارسول ان نساء ساعدتنا في الجاهلية أفنساعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سعاد في الاسلام . وروى الترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن النعي فقال اياكم

والنعي فانه من عمل الجاهلية قال عبد الله من النعي الأذان على الميت . ثم ان بعضهم يفعلن ذلك ليلا ونهارا ولو أخذن لأنفسهن راحة وخفضن من أصواتهن حين نعينن ثم اعتدن مع ذلك عادة جاهلية وهي أن من جاءت لتعزى تدخل وهي تدعو بالويل والثبور واللطم على الحدود وتخمش الوجوه وتتلقاها النوائح على ما يعهد من فعلهن الذميم ويتكفنن اذ ذاك رفع أصواتهن فاذا وصلن الى أهل الميت قمن الى لقائهن وفعلن معهن كفعلن ويعملن كذلك ساعة ثم كذلك ثم كذلك مع كل من أتى اليهن من النساء للتعزية وبيقين على ذلك مدة على قدر ما ينقطع معارفهن ويفعلن مع ذلك أفعالا قبيحة شنيعة تنزه الاقلام عن كتبها والألسن عن النطق بها فلا حاجة تدعو الى ذكرها وكلها مصادمة للشريعة المطهرة وهي أكثر من أن تنحصر أو ترجع الى قانون معلوم لأن ذلك يختلف باختلاف عوائد البلاد والاقاليم فليحذر من هذا جهده فان وقع شيء منه فلا يحضر موضعه كما تقدم فلو قدرنا أنه حضر لكان واحدا منهم أعنى في حصول الاثم له وان كان اعتقاده ليس كاعتقادهم أسأل الله السلامة بمنه . فاذا قضى الميت فليشتغل من حضره بحقه ويأخذ في اصلاح شأنه . فمن ذلك أن يغمض عينيه لثلاثي مفتوحتين وذلك شوه . وينبغي له أن يأخذ عصا أو طرف عماعة أو غيرهما ويجعلها تحت ذقنه ويشدها على رأسه لثلاثي تسترخي ذقنه فيبقى فاه مفتوحا وذلك شوه وقد ينزل الماء في جوفه حين غسله ثم يخرج بعد تكفينه فيلوثه وقد تدخل الهوام منه لجوفه اذا كان مفتوحا . ثم يلين مفاصله ويمد يديه مدا وكذلك ركبتيه حين خروج الروح منه وليحذر أن يؤخر ذلك لثلاثي يتعذر مداها . ثم يجعل على بطنه حديدة أو سكيناً فان لم يجد فطيناً مبلولاً طاهراً لثلاثي يعلو فؤاده فيخشى أن يتفجر قبل حلوله في قبره . ثم يزيل ما عليه من الثياب ماعدا القميص . ثم يجعل على شيء مرتفع كدكة ونحوها

لثلاثين تسارع إليه الهوام والتغيير ويسجى بثوب . ثم يأخذ في تجهيزه على الفور لأن من أكرام الميت الاستعجال بدفنه وهواراته اللهم الا أن يكون موته فجأة أو بصعق أو غرق أو سبته أو ما أشبه ذلك فلا يستعجل عليه ويمهل حتى يتحقق موته ولو أتى عليه اليومان والثلاثة مالم يظهر تغييره فيحصل التيقن بموته لثلاثين يدفن حيا فيحتاط له . وقد وقع ذلك لكثير فيتحفظ من هذا . وإذا فعل به ماتقدم ذكره من تليين مفاصله وغيرها فليكن ذلك بتؤدة وقار لأن حرمة الميت كحرمة الحي . ويسمى الله عز وجل عند الأخذ في ذلك فيقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليحذر من هذه البدعة التي أحدثها بعضهم وهي أن الميت اذا مات أوقدوا عنده تلك الليلة شمعة حتى يصبح وذلك بدعة وسرف ومن لم يكن منهم له قدرة على الشمع أوقدوا سراجا عليه حتى يصبح ويسر قبل غسله ما يحتاج إليه من الكفن والحنوط ويبخر الكفن ثلاثا أو خمسا أو سبعا . ثم بعد ذلك يأخذ في غسله فيشد على وسط الميت مئزرا غليظا ثم يعريه من القميص وبعد ذلك يغسله وهذا مذهب مالك رحمه الله ومذهب الشافعي رحمه الله أن يغسل في قميص ولا يعرى واستدل على ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم غسل في قميصه بعد أن كانوا أرادوا أن يعروه كما يفعلون بموتاهم فسمعوا الهاتف يقول غسلوه في القميص واستدل مالك رحمه الله ومن وافقه على تعرية الميت من القميص لأنهم أرادوا أن يغسلوه عليه الصلاة والسلام متجردا من القميص كما يفعلون بموتاهم حتى سمعوا الهاتف فتركوه فدل ذلك على أنه خاص به عليه الصلاة والسلام دون غيره والآن تعرية الميت أبلغ في تنظيفه . وينبغي أن يجعل على عورته خرقة غليظة فوق المئزر حتى لا توصف العورة . وينبغي أن لا يحضره أحد اذ ذاك الا الغاسل وحده اللهم الا أن يكون الغاسل يحتاج الى من يعينه فيجوز ذلك على سبيل الضرورة

والضرورة لها أحكام . وينبغي أن يكون الغاسل ومن يعينه من أهل الديانة والأمانة لأن المحل مضطر الى ذلك لأن الميت قد يتغير حاله وهو الغالب فاذا آه أحد فقد يخيل اليه أن ذلك من شقاوته . وينبغي له أنه ان رأى خيراً فان شاء ذكره وان شاء تركه وان رأى غير ذلك سكت عنه ولا يبوح به لأحد . وغسل الميت من أحد الأركان الأربعة التي تجب على الحي في حق الميت المسلم وذلك أن من حق المسلم على أخيه المسلم أربعاً غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه والغسل أولها وكيفيته كيفية غسل الجنابة سواء بسواء إلا أن غسل الجنابة يتولاه الحي بنفسه غالباً وهذا يغسله غيره وقد تقدم في غسل الجنابة فرائضها وسننها وفضائلها فكذلك ههنا سواء بسواء . فأول ما يبدأ بغسل النجاسة عنه فيباشر محل النجوة بخرقة غليظة وان كانت من الصوف فهو أبلغ في التنظيف فيعرك بها الموضع ومن يعينه يسكب عليه الماء ثم يغسل الخرقه غسلًا جيداً حتى تطهر ثم يعيد غسل المحل وهو يعرك بها حتى يرى أنه قد طهر وتنظف فحينئذ يفيض عليه الماء القراح من فرقه الى قدمه ثم ينظر في بدنه فهما شعر بنجاسة في أى موضع كانت منه غسلها عنه والبخور اذذاك حاضر يبخر به لئلا تشم منه رائحة كريهة والميت يكره أن يشم ذلك منه كما يكره ذلك من الحي ثم يقعده ويعصر بطنه عصرًا رقيقاً ومن يعينه يصب عليه الماء حين يفعل كذلك ويزاد في البخور في هذا الوقت أكثر مما قبله حتى اذا رأى أنه قد أتق جسمه أفاض عليه الماء وأعاد غسل المحل من النجاسة بخرقة أخرى أو بها بعد غسلها وتطهيرها وتنظيفها . وقد اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فيما اذا كان على المحل نجاسة لا يمكن زوالها إلا بمباشرتها باليد هل يباشرها بيده للضرورة أو يتركها كما لو كان حياً ولا يمكنه أن يزيلها بنفسه فانه يصلي بها فكذلك الحكم في الميت وهذا على مذهب مالك رحمه الله . وليحذر مما يفعله كثير منهم من

حلق عانة الميت لأنهم يكشفون العورة لحاقها فيشاهدها من يزيلها ومن يعينه في غسله وبعض الحاضرين لأنه قد جرت عادة بعضهم في هذا الزمان أن الميت إذا غسل يحضر غسله أقاربه وأصحابه وذلك خلاف السنة لو سلم من اطلاعهم على عورته وإن كان قد أجاز بعض العلماء حلق عانته لكن ذلك بشرط أن لا يطلع على ذلك إلا من يفعل ذلك به وإطلاع غيره محرم. وقد تقدم الخلاف في النجاسة إذا كانت على المحل ولم يمكن إزالتها إلا باليد فما بالك بإزالة شيء مستغنى عنه. ألا ترى أنه لو كان حيا لم تجب عليه إزالتها ولا يجوز له كشف عورته لمن يزيل ذلك عنه فبعد الموت من باب أولى أن يمنع. قال علماءنا رحمة الله عليهم ولا حجة لمن أجاز ذلك مستدلا بقوله عليه الصلاة والسلام (افعلوا بموتاكم ما تفعلوا بعروسكم) أو كما قال عليه الصلاة والسلام لأن هذا الفعل إنما يتولاه العروس بنفسه لنفسه ولا يجوز له أن يأذن لغيره في ذلك وكذلك لا يجوز للمأذون له أن يفعله به. وهذا النوع قد عمدت به البلوى في هذا الزمان في الأحياء فضلا عن الموتى فتجد بعض الناس يدخلون إلى الحمام فيأمرون بالبلان أن يخلق لهم عانتهم فيكشف عليه من لا يجوز له الإطلاع على ذلك وليته لو كان وحده وإن كان محرما لكن يطلع على ذلك جماعة ممن في الحمام فانا لله وأنا إليه راجعون فإذا رأى أنه قد ظهر من النجاسة فليأخذ رأس الميت فيحوله إلى ناحية اليمين ويخرجه عن الدكة قليلا ويجعل فيه وأنفه إلى جهة الأرض ويعصر أنفه برفق فإن كان هناك فضلة خرجت. فإذا فرغ من ذلك ردد رأسه كما كان ثم يفيض الماء عليه وعلى الدكة حتى يرى أنه قد تنظف ذلك كله وطهر ثم يزيل ما على الميت من المتزثر ثم يستره بغيره أو به بعد غسله ويتحفظ على عورته لئلا تنكشف عند محاولة ذلك. فإذا فرغ فحينئذ يأخذ في الغسلة الأولى وهي الواجبة فيبدأ بأعضاء الوضوء فيغسلها ويمضمض فيه برفق بعد أن يحول رأسه

كما تقدم حتى يفرغ من مضمضته واستنشاقه لثلاثا ينزل الماء الى جوفه ثم يخرج بعد الفراغ من غسله ويسوكه بخرقة من صوف أو ما يقاربها . فاذا فرغ من ذلك رده الى الدكة كما تقدم . فاذا فرغ من غسل أعضاء وضوئه أفاض الماء على رأسه بعد تحليل شعره فيغسل رأسه بيده ثم الأيمن فالأيمن والأعلى فالأعلى من جسده ويقبله في أثناء الغسل يمينا ويسارا وظهرا وبطنا حتى يرى أنه قد عمه بالغسل فهذه غسلة واحدة وهي الفرض الذي لا يجوز دفن الميت مع القدرة عليها الا بها . ثم بعد ذلك يأخذ في تنظيفه من الأوساخ بالماء والسدر كما ينظف الحي سواء بسواء . فاذا فرغ من هذه الغسلة الثانية أخذ شيئا من الكافور فجعله في اناء فيه ماء ويذيه فيه ثم يغسل الميت به كما تقدم وصفه بعد تنظيف الميت والمئزر والدكة من أثر السدر . وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها أكثرهم وهو أنه اذا جاء الى غسله بالماء والكافور أزال ما كان عليه من السترة الكشيفة وألقى عليه خرقة لطيفة من شمخاتية ونحوها ثم يفيض عليها الماء فتبقى العورة كأنها مكشوفة اذا ابتلت الخرقة بالماء وذلك محرم بل يستره بمثل الخرقة الكشيفة التي كانت عليه أو بها بعد تنظيفها وهو مع ذلك يتحفظ من كشف العورة عند المحاولة ويغض طرفه مهما استطاع جهده مع التوفية بغسله . وليحذر من هذه البدعة الاخرى التي يفعلها أكثرهم وهو أنه اذا غسل الميت يجعله بين رجليه وهو واقف على الدكة وذلك مكروه بل يكون الغاسل واقفا بالأرض ويقبله عند غسله له . وليحذر من هذه البدعة الاخرى التي يفعلها أكثرهم وهو أن الغاسل اذا بدأ في غسله أخذ يذكر لكل عضو يغسله ذكرا من الاذكار وقد تقدم أن ذكر الله تعالى حسن سرا وعلنا لكن في المواضع المأمور به فيها وهذا المحل محل تفكير واعتبار وخشية فيشتغل به عن غيره من العبادات ذكرا كان أو غيره وهو عمل السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين وغيره بدعة . فاذا

فرغ من هذه الغسلة الثالثة فقد تم غسله على الكمال ثم يتفقد فيه وأنفه من الماء لاحتمال أن يكون دخل في جوفه شيء منه فيميل رأسه خارجا عن الدكة فان كان دخل فيهما شيء خرج ثم يعيده الى الدكة ثم ينظف ماتحت أظفاره بعود أو غيره ولا يقلبها وتقليمها على مذهب مالك بدعة ممن فعله اذ أنه لم يكن من فعل السلف. ثم يسرح لحيته بمشط واسع الأسنان. وكذلك يفعل برأسه ويترقق في ذلك فان خرج في المشط شعر جمعه وألقاه في الكفن يدفن معه. ثم يأخذ فوطة أو غيرها فينشف بها جميع بدن الميت فاذا فرغ منه نشف بها الدكة حتى لا يتبل بها ما يجعل على الميت من قيص وغيره. ثم يأخذ في تجهيزه. فأول شيء يفعله أن يأخذ قطنة ويجعل عليها شيئاً من الكافور أو غيره من الطيب والكافور أحسن لأنه يردع المواد فيجعلها على فيه. ثم يأخذ قطنة أخرى فيفعل فيها ما تقدم ويسد بها أنفه ثم أخرى من الناحية الأخرى ويرسلها في أنفه قليلاً. ثم يأخذ خرقة فيشدها على الفم والأنف ثم يعقدها من خلف عنقه عقداً وثيقاً فتبقى كأنها اللثام ثم يجعل على عينيه وأذنيه خرقة ثانية بعد وضع القطن مع الكافور على عينيه وأذنيه ويعقدها عقداً جيداً فتصير كالعصابة. ثم يأخذ خرقة ثالثة فيشدها بها وسطه ثم يأخذ خرقة رابعة فيعقدها على هذه الخرقة المشدود بها وسطه أو يخطبها فيها ثم يلحمها بها بعد أن يأخذ قطنة ويجعل عليها شيئاً من الطيب والكافور وهو أحسن لأنه يشد العضو ويسده ويجعلها على باب الدبر ويرسل ذلك قليلاً يرفق ويزيد للمرأة في القبل قطنة أخرى ويفعل فيه كما تقدم في الدبر سواء بسواء ثم يلحمه عليه بالخرقة المذكورة ثم يربطها ربطاً وثيقاً. وليحذر من هذه البدعة بل المحرم الذي يفعله بعضهم في هذا الزمان وهو أنهم يخرقون حرمة الميت ويرسلون في دبره قطناً وكذلك في حلقه وأنفه وقد تقدم ما في ذلك من مخالفة السنة وإخراق حرمة الميت. ثم يأخذ في تكفينه فيشده على وسطه مئزراً

أو يلبسه سراويل وهو أسترله . ثم يلبسه القميص . قال مالك رحمه الله والذي عليه العمل أن الميت يقمص ويعمم . ثم يعممه ويجعل له من العمامة ذؤابة وتحنيكا كما هي العمامة الشرعية في حق الحي لكن الفرق بينهما أن الحي يرخي التحنيك بخلاف الميت فانه يشد ذلك عليه ويستوثق في عقده لثلاثي استرخى ذقنه وينفتح فمه وقد يخرج منه شيء يلوث الكفن ثم يعممه بياق العمامة ويشدها شدا وثيقا بخلاف عمامة الحي ثم يبسط الذؤابة على وجهه فيستر وجهه بها وكذلك يفعل بما يفضل من المنعة في حق المرأة يستر بها وجهها . ثم ينقله إلى موضع الكفن فيجعله عليه ويحنطه . ومواضع الحنوط خمس . أحدها أن يجعل على ظاهر جسد الميت . الثاني أن يجعل فيما بين أكفانه ولا يجعل على ظاهر الكفن . الثالث أن يجعل على المساجد السبعة وعلى الجبهة والأنف والكفان مع الأصابع والركبتان وأطراف أصابع الرجلين . الرابع أن يجعل على منافذ الوجه السبعة المتقدم ذكرها . الخامس أن يجعل على الأرفاغ وهي مغابن الجسد خلف أذنيه وتحت حلقه وتحت ابطنه وفي سرتة وما بين فخذه وأسافل ركبتيه وقعر قدميه وذلك بحسب ما يكون معه من الطيب فان قل عن استيعاب ذلك فليقتصر على الأرفاغ والمساجد السبعة المتقدم ذكرها . والمستحب أن يكفن في وتر . ثم يأخذ طرف أحد كفيه فيربطه بطرف الكم الآخر ربطا وثيقا . ثم يأخذ خرقة طويلة فيربطها موضع ربط الكمين ثم يدها إلى ابهامي رجله فيربطها فيهما ربطا جيدا وثيقا لثلاثي تتحرك أطرافه وتتفرق فاذا فعل به ذلك أمن من حركتها . وهذه الصفة المذكورة إنما هي إذا لبس الميت القميص . وأما إذا أدرج فلا حاجة تدعو إلى فعل ذلك لعدم حركة أطرافه . فاذا جاء إلى الحدة أزال الرباط عنه . وليحذر من هذه البدعة التي اعتادها أكثرهم في هذا الزمان وهو أنهم يأخذون القطن الكثير فيجعلونه على وجه الميت حتى يعلو ثم يجعلون القطن على ركبتيه وتحت حنكه

وتحت رقبته حتى تصير رأسه وكتفاه بالسواء ثم يجعلون القطن كذلك عند ساقيه من ههنا ومن ههنا حتى يصير بطنه ورأسه ورجلاه بالسواء . وهذا الفعل قد جمع بين محرمين وبدعة . فالمحرم الاول اضاعة المال في كثرة القطن لغير ضرورة شرعية . والمحرم الثاني أخذ ثمن القطن من مال الورثة لأن الميت ليس له من تركته الا قدر ضرورته الشرعية والزيادة على ذلك غصب لحق الوارث سيما اذا كان صغيرا ولو فرض ورضى الورثة لمنع من ذلك لأنه من باب اضاعة المال والاعانة على البدعة . وأما البدعة فكونهم اعتادوا أن يخرجوه في كفنه بالسواء عند الناظر له كما تقدم وهذا من محدثات الامور والميت يتأذى مما يتأذى منه الحي فلو جعل شيء من القطن على وجه الحي لكان فيه شوه وخرق لحرمة ولا يرضى بذلك فكذلك يمنع في حق الميت لما تقدم أن حرمة الميت المسلم لحرمة في حال حياته . وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كسر عظم الميت ككسره وهو حي) أو كما قال عليه الصلاة والسلام . وذلك عام في العظم وغيره قل أو كثر فكل ما لا يليق به في حال حياته لا يفعل به بعد مماته الا ما أذن الشرع فيه وما لم يأذن الشرع فيه فيمنع على كل حال . والسنة في ادراج الميت في كفنه أن يكون فيه بحيث يعرف رأسه وكتفاه ورجلاه كما يعلم ذلك منه في حال الحياة وهو في ثيابه وهذا عندهم في هذا الزمان عيب عظيم حتى يقول بعضهم أن من غسل الميت وكفنه على هذه الصفة لا يعرف شيئا وما ذاك الا لما أنس به كثير ممن يغسل الموتى من ارتكاب ما لا ينبغي من البدع وغيرها في ذلك بسبب العوائد الرديئة وقلة العلم وهذا وما شاكلة من محدثات الامور . وهذا هو عين ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال (كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة) وهاهو ذا فانا لله وانا اليه راجعون . واذا كان

ذلك كذلك فينبغي أن يحتنب المرء من اتصف بفعل شيء مما تقدم ذكره من عوائد الرديئة ولم يزل السلف الصالح رضوان الله عليهم يوصون بمن يحضرونهم عند الموت ومن يغسلهم ومن يصلي عليهم ومن يلحدهم من أهل الخير والصلاح هذا وهم كما قيل عيون في العيون فاذا كان هذا حالهم في زمانهم على هذا الاسلوب قسا بالك بهذا الزمان فلينظر الانسان لنفسه لعل أن يقع له الخلاص من هذه العوائد الرديئة . ثم ان المخالفة ههنا صعبة لأنه لو قدرنا أن الغاسل تاب الى الله تعالى ورجع عن عوائده الرديئة لتعذر ذلك عليه في الدنيا لعدم من يتحلل منه . واذا كان ذلك كذلك فينبغي للمرء أن ينظر لنفسه قبل موته لأنه ليس أحد ينظر له في هذا الزمان في الغالب الا بما تقدم ذكره من تلك العوائد المخالفة للسنة المطهرة فيتعين على الانسان أن يكون من أكد وصيته أن يوصى بمن تقدم ذكره بمن يحضر موته أو من يغسله ومن يصلي عليه ومن يلحده لأنه متعذر في هذا الزمان غالبا اذ أن الغالب من بعض الفقهاء أنهم يعرفون الأحكام ولا يعرفون كيفية المباشرة لذلك وبعضهم يهاب الميت فلا يتولى غسله ولا تجهيزه وكذلك من ينسب الى الصلاح غالبا قل أن يعرف مباشرة ذلك فبقى الأمر في ذلك عزيزا لقلته وجود من يعرف ذلك فقها وعملا . واذا كان ذلك كذلك فيتعين على الانسان أن يعين من يختاره من أهل الدين ويلقى اليه ما يحتاج اليه من الأحكام المحتاج اليها في ذلك كله في حال حياته ان أمكنه ذلك والا فيوصى به الى شخص يقوم بذلك عارف بالأحكام يحضر حين غسله ويأمر بالسنة في ذلك وينهى عن ضدها من العوائد الرديئة ويمشى على الاسلوب الموصوف من أحوال السلف الماضين رضی الله عنهم أجمعين . واذا كان ذلك كذلك فينبغي أن لا يغسله ولا يكفنه الا من يرجى بر كته وخيره لأن الميت آخر عهده من الدنيا هذا الموطن فينبغي أن يتختم بالوسائل الشرعية التي يحصل للميت بسببها

النفع حالا وما آلا . وما زال السلف رضوان الله عليهم يوصون بما تقدم ذكره
لاعتنائهم به . وحكى في ذلك حكايات كثيرة تدل على أن الميت غفر له ببركة من
تولى ما تقدم ذكره . فمن ذلك ما حكى الشيخ الامام السهروردي رحمه الله في كتاب
العوارف له أن رجلا ممن لا يرضى حاله مات فسئل بعض الاكابر « سماه » أن يصلي
عليه فامتنع من ذلك فرؤى الميت في المنام وهو في حالة حسنة فقيل له ما فعل
الله بك قال غفر لي قيل له بماذا قال باعراض فلان عني حيث ترك الصلاة على
قال الامام السهروردي رحمه الله فهو لاء اقبالهم رحمة واعراضهم رحمة . ألا ترى
أنه لما أن ترك الصلاة عليه رحم لآجل أنه ميت وامثلت السنة في حقه فرحم
لامثال السنة فيه . واذا كان ذلك كذلك فيتعين التحفظ على امثال السنة في هذا
الموطن وان كان صاحبه معرضا في طول عمره لأن الختام اذا كان حسنا لعله
يحسن الجميع . نسأل الله الموت على الاسلام بمنه وكرمه انه قريب مجيب . وقد
سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول انه كان عندهم ببلاد الاندلس امرأة مسرفة
على نفسها فماتت على شر حال فرآها بعض الصالحين في النوم وهي في حالة
حسنة فقال لها أنت فلانة قالت نعم فقال كيف حالك فقالت غفر لي فقال لها
بماذا وقد كنت وكنت فقالت لما أن أخرج بجنازتي مربها على رجل خياط
وفي كفه ثوب لسيدي فلان فصلى على فغفر لي كرامة لذلك الثوب . وقد حدثني
بعض أولاد سيدي أبي محمد المرجاني رحمه الله أن والدته أتت الى أبيه فأخبرته
أن أمها قد توفيت وطلبت منه قميصا تكفنها فيه فأعطاها فلما أن كان من الغد
أخبرها بأن الملكين عليهما السلام جاءها فقال أحدهما للآخر اذهب بنا فان
ثوب المرجاني عليها فلم يتعرضا لها . وكنت أعهد بمدينة فاس أن الغسالين للموتى
على قسمين قسم من أهل الخير والصلاح فاذا مات أحد ممن يرتضى دينه غسله
هذا القسم من غير أجره ولا عوض بل لا بتغاء الثواب والقسم الثاني يغسلون

بالأجرة وهم عامة الناس . وينبغي لمن يغسل الميت أن يغتسل بعد أن يفرغ من غسله لأنه اذا وطن نفسه على الغسل بالغ في غسل الميت وتنظيفه وأكثر الناس في هذا الزمان لا يغتسلون فيدعون ذلك تحفظاً على أنفسهم فاذا تحفظوا فقد يؤول ذلك الى الاخلال بشيء من تنظيف الميت أو ترك شيء من الأمور به فيه والله الموفق . وليحذر من هذه البدعة التي تجر الى المحرم وهو ما اعتاده أكثرهم في هذا الزمان وهو أن ما كان على الميت يأخذه الغاسل الذي يغسله فهذه بدعة جرت الى المحرم وذلك أن أهل الميت اذا علموا بأن الغاسل يأخذ ما على ميتهم لم يتركوا عليه شيئاً الا ما لا بد منه وقد يترك بعضهم موصوف العورة . وقد مات بعض المباركين من المعارف فدخلت عليه وهو يغسل وعلى عورته خرقة من عمامة شمخانية ملبوسة وقد ابتلت بالماء فبقيت العورة موصوفة فأنكرت عليهم وأمرتهم بستره فقال الغاسل هذا الذي وجدناه ليس عندهم غيره فأخذت فوطه جديدة كانت على اذ ذلك ودفعتها لهم ليستروه بها فلما رأى أخو الميت ذلك أسرع فجاء بفوطتين غليظتين جياذ فستره باحدهما وعملوا الأخرى من فوقها كما تقدم ذكره قبل فانظر الى هذه البدعة كيف تجر الى المحرمات فعلى هذا ينبغي بل يتعين تعيين أجرة الغاسل وأن يشترط عليه أن لا يأخذ شيئاً مما يجده على الميت كائناً ما كان فتنسد هذه الثلبه التي وقع بسببها كشف العورة لغير ضرورة شرعية وقد تقدم المنع من كشف العورة لخلق العانة والنجاسة اذا كانت على المحل ولا يمكن زوالها الا بمباشرتها باليد فمن باب أولى وأحرى أن يمنع هذا . وليحذر من هذه البدعة التي اعتادها أكثرهم وهي أنهم اذا مات لهم ميت نادوا عليه وقد روى الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال لما احتضر اذا أتت فلاتؤذنوا بى أحدا فانى أخاف أن يكون نعيانى وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعى فاذا مات فصلوا على وسلونى الى ربى سلا . لكن قد تسامح

علماؤنا رضى الله عنهم فى الاعلام بذلك بأن يقف الرجل على باب المسجد عند انصراف الناس من الصلاة فيقول أخوكم فلان قد مات بصوت يجهر به على سنة الجهر لاعلى ما يعهد من زعقات المؤذنين وعوائدهم فان ذلك من النعى المنهى عنه وما تقدم من النداء على الغائب فهو محمول على ما ذكر هنا من أنه يقف على باب المسجد ويجهر بصوته كما ذكر . وأما على ما اعتاده المؤذنون من زعقاتهم فيمنع والله الموفق . ثم يربط الكفن من عند رأسه ومن عند رجله ربطا وثيقا . ثم يأخذ فى نقله واخراجه من البيت الى النعش وذلك كله برفق وحسن سمع ووقار . وليحذر عند ذلك مما يفعله أكثر الناس وهو أنهم عند اخراج الميت يقيمون الصيحة العظيمة نساء ورجالا وقد يختلطون وهو الغالب ويسمون ذلك وداعا للبيت وقياما بحقه وذلك كذب منهم واقتراء لمخالفتهم فى ذلك السنة المطهرة والغالب أن يكون مع ذلك لطم الخدود وماشا كله مما تقدم منعه فى الشرع الشريف فليحذر من هذا جهده ولا يمنع أحد من البكاء الجائز فى الشرع ما لم يكن معه رفع صوت أو لطم أوشىء من العوائد الرديئة المعهودة عندهم الممنوعة شرعا والتصبر عن البكاء أجمل لمن استطاع . وليحذر من هذه البدعة التى يفعلها أكثرهم وهو أن الغاسل اذا دخل ليغسل الميت يقيمون اذذاك الصيحة العظيمة ويفعلون نحو ما تقدم من أفعالهم المذكورة قبل بل يزيد النساء على ذلك فعلا قبيحا وهو أن الغاسلة اذا دخلت لتغسل الميتة قام النساء اليها بالشم والضرب وهى على علم من ذلك بالعادة فتأخذ حذرهما وتتجأ منهن ويقان لها ياوجه الشؤم فتقول هى لهن جوابا انما رأيت الشؤم عندكن الى غير ذلك من الألفاظ الرديئة ثم بعد حين يمكنها من تغسيل الميتة بعد أن تعظهن وتذكرهن بأن هذا قضاء الله تعالى وقدره وهذا كله مخالفا للشرعية المطهرة فليحذر منه وبالله التوفيق . وكذلك يحذر ما

يفعله بعضهم وهو أنهم اذا أخذوا في غسل الميت وقد تقدم أن الموضع موضع اعتبار ورجوع وسكون يفعلون اذ ذاك ضد المراد ويكثرون اللفظ مع الغاسل والحالين لأن في ذلك الوقت يقع الاتفاق على أجرة الغسل والمشاحة فيها وتقع ضجة عظيمة اذ ذاك وهو ضد ما أمروا به من التذكر والاعتبار كما تقدم فيحتاج وكيل الميت أن يحتاط له بما يقطع مادة هذه الأشياء المنوعة في الشرع الشريف بأن يتفق مع الغاسل والحالين قبل الاتيان بهم على شيء معلوم لا نزاع بينهم فيه بعد ذلك حتى يسلم من الوقوع فيما تقدم ذكره . وقد كان السلف رضوان الله عليهم ليس لهم غاسل ولا حمال بأجرة بل كانوا يغسلون بعضهم بعضا ويحمل بعضهم بعضا ويتزاحمون على النعش ابتغاء الثواب فيحملونه بالنوبة والعمل عليه الى اليوم بيلاذ الحجاز غالبا فمن قدر على هذا فيها ونعمت ومن عجز عنه فيزيل ما يتوقع مما تقدم ذكره بالاتفاق على شيء معلوم . وكذلك يحذر مما يفعله أكثرهم في هذا الزمان وهو أن الغاسل أو الغاسلة اذا فرغا من غسل الميت وتكفينه يأتون به الى حضرة الرجال ان كان رجلا أو الى النساء ان كانت امرأة حتى يأخذوا شيئا من حطام الدنيا من الحاضرين وذلك بدعة ومخالفة للسنة المطهرة لأن من السنة اكرام الميت بتعجيل دفنه . وقد روى الأئمة الستة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اسرعوا بجنازكم فان تلك صالحة فخير تقدمونها اليه وان تلك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم) وهو لا يتركونه بعد تجهيزه لغير ضرورة شرعية بل للبدعة والرغبة في حطام الدنيا وذلك منهم فعل قبيح شنيع فليحذر من هذا بما تقدم ذكره من الاتفاق على شيء معلوم ليرد به ما أحدثوه من البدعة والله المسئول في الصفح والتجاوز . وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها بعضهم وهو أن الماء الذي يغسل به الميت يجتمع تحت دكة الغسل فيعملون ترابا حولها

ليرد الماء أن يسيل من نواحيها الاربع فاذا فرغوا من الغسل رفعوا الدكة ونزحوا من الماء ما أمكنهم ثم يخلطون ما بق منه بذلك التراب ثم يحملونه ويرمونه خارج البيت فتتنجس أيديهم وأجسادهم وثيابهم ثم بعد ذلك يأخذون الميت ويحملونه حتى يخرجوه من البيت ويضعونه على النعش من غير أن يغسلوا ما أصابهم من الماء النجس فينجسون الكفن ونحن قد أمرنا بطهارته وهذا عكس الحال فليحذر من هذا جهده. فاذا أخذوا في اخراجه الى النعش فليحذر من هذه البدعة الاخرى التي يفعلها أكثرهم وهي حضور شخص يسمونه بالمدير فيزيكي الميت على الله تعالى بمثل قوله السعيد الشهيد القاضي الصدر الرئيس الصالح العابد الخاشع الورع كهف الفقراء والمساكين وللرأفة السعيدة الشهيدة الى غير ذلك من ألفاظهم المعهودة عندهم المنهى عنها في الشرع الشريف التي جمعت بين التزكية والكذب الصراح والمحل محل صدق واخلاص ورجوع الى المولى سبحانه وتعالى فقابلوه بضد المراد منهم والميت في هذا الوقت مضطر الى الدعاء له واظهار فقره ومسكنته واضطراره واحتياجه الى رحمة به سبحانه وتعالى وهم يأخذون في نقيض ذلك كله فانا لله وانا اليه راجعون. ثم ان المدير لم يكتف بالتزكية للميت والكذب في حقه حتى فعل ذلك في حق غيره من الأحياء بنحو قوله ليتقدم سيدنا القاضي الصدر الرئيس وما أشبه ذلك من التزكية المنهى عنها في الشرع ثم بعد ذلك يقول فلان الدين ينعت به غير اسمه الشرعي وقد تقدم ما في النعوت من المنع وتعظيمه لكل واحد منهم على قدر ما يرجوه منه في الحال أو في المآل وقد تقدم أن المحل محل تواضع ورجوع وتوبة وما يفعلونه من حضور المدير وما يرضون به من أفعاله وأقواله كل ذلك نقيض وعكس حال السلف رضى الله عنهم في هذا المحل. وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها أكثرهم وذلك أن مات له ميت بموضع وكان بقره به مسجد فاذا أتى الناس جلسوا

في ذلك المسجد ينتظرون خروج الجنازة والمسجد إنما بني للصلاة وما أشبهها لا للجلوس فيه لا انتظار الموتى فينزه المسجد عن الجلوس فيه لغير ما بني له وبعضهم يدخل ولا يصلي التحية . وقد قال الله في كتابه العزيز ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ قال علماءنا رحمه الله عليهم في معناه أنها تغلق ولا تفتح الا أوقات الصلاة ويدخل في ذلك كل من أراد الصلاة فيه أو انتظارها في أي وقت كان . وليحذر مما يفعله أكثرهم من حضور القراء اذ ذاك ويبسط لهم حصير على الطريق أو بساط أوهما معا فيجلسون عليها ويقرؤون القرآن وفي ذلك من مخالفة الشرع الشريف أشياء . فمنها أن القرآن ينزه عن أن يقرأ في الطرق وفي الأسواق في مواضع النجاسات اذ الغالب على الطرق ما هو معلوم من كثرة بول الدواب وغيرها ومن لا يتحفظ من بني آدم والقرآن ينزه عن ذلك . ومنها أن الطرقات محل للمرور فيها لا للجلوس . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على الطرقات فمن جلس فيها لغير ضرورة شرعية فهو غاصب لذلك الموضع في وقته ذلك ومن غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة الى سبع أرضين وهم غاصبون للمواضع التي جلسوا فيها للقراءة في وقتهم ذلك حتى ينصرفوا . ومنها ما يفعله القراء في قراءتهم من شبه الهنوك والترجيعات كترجيع الغناء حتى أنك اذا لم تكن حاضرا معهم في موضع وتسمعهم لا تفرق بينهم وبين الأغاني غالبا وهذا مشاهد منهم مرئي من فعلهم وهو من أكبر القبائح لو سلم من المحرم المجمع عليه وهو الزيادة في كتاب الله تعالى والنقصان منه عمدا . وقد تقدم ما في ذلك في أول الكتاب فأغنى عن اعادته ومنها أنهم يأتون بالقراء فكان ينبغي أن لو كان ذلك من السنة أن تكون قراءتهم بحضرة الميت لان القرآن اذا قرئ تنزل الرحمة لعل أن تعم الميت وتعمهم لكنهم يفعلون ضد ذلك فيتركونهم يقرؤون في الطرق فيالله وباللعجب أين

ذهبت العقول لو لم يكن للشرع الشريف في ذلك أمر ولا نهى لكان فعله قبيحا
شنيعا فكيف والشرع ينهى عنه . والحاصل من ذلك أنهم تركوا أمر الشرع
ودلالة العقل وفعلوا ما زين لهم اللعين . وقد نقل الباجي رحمه الله في كتاب
سنن الصالحين وسنن العابدين أن ابليس اللعين يقول العجب لبنى آدم يحبون
الله ويعصونه ويغضونى ويطيعونى . وليحذر من البدعة الأخرى التى يفعلها
أكثرهم وهو أنهم يأتون بجماعة من الناس يسمونهم بالفقراء الذاكرين يذكرون
أمام الجنازة جماعة على صوت واحد ويتصنعون في ذكرهم ويتكلفون به على
طرق مختلفة وكل طائفة لها طريق في الذكر وعادة تختص بها فيقولون هذه
طريقة المسلمية مثلا وهذه طريقة كذا وهذه طريقة كذا كما جرت عادتهم في
اختلافهم في الأحزاب التى يقرؤها فيقولون هذا حزب الزاوية الفلانية وهذا
حزب الزاوية الفلانية وهذا حزب الرباط الفلانى وهذا حزب الرباط الفلانى كل
واحد لا يشبه الآخر غالبا . ثم العجب منهم كيف يأتون بالفقراء للذكر على
الجنازة للتبرك بهم وهم عنه بمعزل لانهم يدلون لفظ الذكر بكونهم يجعلون
موضع الهمزة ياء وبعضهم ينقطع نفسه عند آخر قوله لا اله ثم يجد أصحابه قد سبقوه
بالايجاب فيعيد النفي معهم فى المرة الثانية وذلك ليس بذكر ويؤدب فاعله
ويزجر لقبح ما أتى به من التغيير للذكر الشرعى . واذا كان ذلك كذلك فأين
البركة التى حصلت بحضورهم على أنهم لو أتوا بالذكر على وجهه لمنع فعله
للحدث فى الدين وقد تقدم . وليحذر من هذه البدعة الأخرى التى يفعلها
أكثرهم وهى قرية العهد والحدوث وأول من أحدثها وال كان بمصر وهى
تكبير المؤذنين مع الجنازة وقد تقدم فيجتمع بسببهم مع القراء والفقراء الذاكرين
والمريدين ومن يتابعهم فى فعلهم جمع شير فيبقى فى الجنازة غوغا وتخليط وتخييط
فأين هذا من امتثال الآية الكريمة وهى قوله تعالى ﴿ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له

وأنصتوا لعلمكم ترحمون) وقد تقدم ما في زعقات الجميع بما لا ينبغي. ويزيد بعضهم زعقات النساء من خلفهم وكشف الوجوه والطم على الخدود وما أشبه ذلك على ما هو مشاهد معلوم منهم. وهذا وما شا كل ما كان عليه جنازة السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين لان جنازتهم كانت على التزام الأدب والسكون والخشوع والتضرع حتى ان صاحب المصيبة كان لا يعرف من بينهم لكثرة حزن الجميع وما أخذهم من القلق والانتعاج بسبب الفكرة فيما هم اليه صائرون وعليه قادمون حتى لقد كان بعضهم يريد أن يلقي صاحبه لضرورات تقع له عنده فيلقاه في الجنازة فلا يزيد على السلام الشرعى شيئاً لشغل كل منهما بما تقدم ذكره حتى أن بعضهم لا يقدر أن يأخذ الغذاء تلك الليلة لشدة ما أصابه من الجزع كما قال الحسن البصرى رضى الله عنه ميت غد يشيع ميت اليوم. وانظر رحمنا الله تعالى وإياك الى قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لمن قال فى الجنازة استغفروا لأخيك فقال له لا غفر الله لك. فاذا كان هذا حالهم في تحفظهم في رفع الصوت بمثل هذا اللفظ فما بالك بما يفعلونه مما تقدم ذكره فأين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون. فعلى هذا ينبغي بل يتعين على من له عقل أن لا ينظر الى أفعال أكثر أهل الوقت ولا لعوائدهم لانه ان فعل ذلك تعذر عليه الاقتداء بأفعال السلف وأحوالهم فالسعيد السعيد من شد يده على اتباعهم فهم القوم لا يشقى بهم من جالسهم ولا من أحبهم. ان المحب لمن يحب مطيع. وقد تقدم ما في الدخول بالميت الى المسجد والحالة هذه. لكن بقي شيء لم يتقدم ذكره فيتعين التنبيه عليه وذلك أن بعض من يعتنون به من الموتى يتركونه بعد أن يصلى عليه فى المسجد ويقفون عنده يدعون ويطولون الدعاء وبعضهم يفعل ما هو أكثر من ذلك وهو تكبير المؤذنين اذ ذلك على ما تقدم من زعقاتهم ويطولون فى ذلك والسنة التعجيل بالميت الى دفنه ومواراته وفعلهم بضد ذلك فليحذر من

هذا والله المستعان . وقد تقدم أن الصلاة على الميت في المسجد مكروهة على مذهب مالك رحمه الله جائزة على مذهب الشافعي رحمه الله فالزيادة على ذلك هي البدعة . وقد تقدم الكلام على شروط وجوب الصلاة وفرائضها وسننها وفضائلها لكن بقيت شروط الصلاة على الجنائز وأركانها وسننها . فشروطها سبعة وهي طهارة الحدث وطهارة الخبث وستر العورة واستقبال القبلة وترك الكلام وترك الافعال الكثيرة والنية . وأركانها أربعة أربع تكبيرات والدعاء والتسليم والقيام مع القدرة . وسننها ستة الأولى رفع اليدين في التكبير الأولى والثانية الحمد والثناء على الله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والثالثة الدعاء للمؤمنين والمؤمنات والرابعة التيامن بالسلام واخفاؤه والخامسة أن تكون في جماعة والسادسة أن يوضع الميت بين يدي المصلي ورأسه الى جهة المغرب وموضع قيام المصلي في وسط الرجل والمرأة عند منكبها على مذهب مالك رحمه الله تعالى لانه يخاف عليه ان قام في وسطها أن يتذكر بذلك ما يفسد الصلاة أو ما تنزه الصلاة عنه وهذا اذا كان الميت ممن يغسل ويصلى عليه . ويخرج من ذلك ثلاثة من الموتي لا يغسلون ولا يصلى عليهم . أولهم الشهيد بين الصفين في نصره التوحيد . والثاني السقط اذا لم يستهل صارخا ولا حكم لحركته . والثالث الكافر اذا مات على كفره وقد وردت في الدعاء في الصلاة على الميت أحاديث وآثار جملة وقد جمع الشيخ أبو محمد ابن أبي زيد رحمه الله غالب ذلك في الدعاء الذي ذكره في رسالته وهو قوله (الحمد لله الذي أمات وأحيا والحمد لله الذي يحيي الموتي له العظمة والكبرياء والملك والقدرة والسناء وهو على كل شيء قدير اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت ورحمت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم انه عبدك وابن عبدك وابن أمك أنت خلقته وأنت رزقته وأنت أمته وأنت تحييه وأنت أعلم بسره وعلايته . جئناك شفعا له فشفعنا فيه اللهم انا نستجير بحبل جوارك له انك ذو وفاء وذمة

اللهم قه من فتنة القبر ومن عذاب جهنم اللهم اغفر له وارحمه واتق عنه وعافه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بماء وثلج وبرد ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجته اللهم إن كان محسنا فرد في احسانه وإن كان مسيئا فتجاوز عن سيئاته اللهم إنه قد نزل بك وأنت خير من يزل به فقير إلى رحمتك وأنت غني عن عذابه اللهم ثبت عند المسألة منطقته ولا تتبله في قبره بما لا طاقة له به اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده) تقول هذا باثر كل تكبيرة وتقول بعد الرابعة (اللهم اغفر لحينا وميتنا وحاضرا وغائبا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأثنا إنك تعلم متقلبنا ومثوانا ولو الديننا ولمن سبقنا بالايمان مغفرة عزما وللسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات اللهم من أحبيته منا فأحبه على الايمان ومن توفيته منا فتوفه على الاسلام واسعدنا بلقائك وطيبنا للهوت وطيبه لنا واجعل فيه زاحتنا ومسرتنا) ثم تسلم فان كانت امرأة قلت (اللهم إنها أمتك) ثم تتمدى بذكرها على التأنيث غير أنك لا تقول وأبدلها زوجا خيرا من زوجها لانها قد تكون زوجا في الجنة لزوجها في الدنيا ونساء الجنة مقصورات على أزواجهن لا يعين بهم بدلا والرجل تكون له زوجات كثيرة في الجنة ولا يكون للمرأة أزواج فان كان طفلا فتثنى على الله تبارك وتعالى وتصلي على نبيه ثم تقول (اللهم انه عبدك وابن عبدك وابن أمتك أنت خلقتهم وأنت رزقتهم وأنت أمته وأنت تحببه اللهم اجعله لوالديه سلفا وذخرا وفرطا وأجرا وثقل به موازينهما وأعظم به أجورهما ولا تحرمنا وياهما أجره ولا تفتنا وياهما بعده اللهم ألحقه بصالح سلف المؤمنين في كفالة ابراهيم عليه السلام وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وعافه من فتنة القبر ومن عذاب جهنم) تقول ذلك باثر كل تكبيرة وتقول بعد الرابعة (اللهم اغفر لأسلافنا وأفرطانا ولمن سبقنا بالايمان اللهم من أحبيته منا فأحبه على الايمان ومن توفيته

منا قتوفه على الاسلام واغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاهوات) ثم تسلم ولا بأس أن تجمع الجنائز في صلاة واحدة ويلى الامام الرجال ان كان فيهم نساء وان كانوا رجالا جعل أفضلهم مما يلى الامام وجعل من دونه الصبيان والنساء من وراء ذلك الى القبلة . فان كان مأموما ولا يعرف ماهو الميت أو احداً أو أكثر أو ذكراً أو أنثى أو صغيراً أو كبيراً فانه ينوى أن يصلى على من صلى عليه امامه ثم يدعو بالدعاء المتقدم ذكره على ماتقدم فاذا أخرج الميت من موضع الصلاة عليه فقد تقدمت كيفية خروجه على السنة وما يتعاطونه من غيرها وهم يستمرون على ذلك الى أن يصلوا بها الى موضع خارج عن الاسواق يسمونه بدرب الوداع فاذا وصلوا اليه قطعوا كل ماتقدم ذكره من عوائدهم من القراء والفقراء والذاكرين والمؤذنين ثم يفعلون عند ذلك أيضا أفعالا مخالفة للسنة المطهرة . فمنها أنهم يضعون النعش هناك ويقف ولى الميت بموضع والمدير ينادى امامه فى الناس أن يأتوا الى التعزية ويتكلم بألفاظ معلومة محتوية على الكذب والتزكية كما تقدم فيأتونه للتعزية واحدا بعد واحد والمدير يزكى ويثني على كل واحد منهم كما تقدم . والتعزية جائزة قبل الدفن ان لم يحصل للميت بسببها تأخير عن مواراته فان حصل ذلك فتمنع . والأدب فى التعزية على ما نقله علماءنا رحمة الله عليهم أن تكون عند رجوع أهل الميت بعد الدفن الى بيته وسيأتى بيان صفتها فى موضعه ان شاء الله تعالى . ثم ان من عزى منهم أكثرهم يرجعون من ذلك الموضع والمشيعون للجنائز انما يشيعها من يشيعها منهم لأميرين أو لأحدهما وهما الصلاة عليها ودفنها أو الصلاة عليها ليس الا . فمن خرج للصلاة عليها فانصرافه من حيث صلى عليها ومن خرج لهما معا فانصرافه بعد مواراتها . وكذلك من يخرج للدفن فقط لعذر يمنعه عن الصلاة وهم يرجعون من الموضع الذى يسمونه بدرب الوداع وهو ليس بواحد من الموضعين المتقدمى

الذكر ويرتكبون فيه محذورا على مذهب مالك رحمه الله لأن من مذهبه أن من دخل في عمل قرابة يلزمه اتمامه وهم قد شرعوا في التشييع من الموضع الذي صلى فيه على الجنازة الى الموضع المسمى بدرب الوداع كما تقدم وهذا عمل قرابة قد شرعوا فيه فيتعين عليهم اتمامه وهو أن يتبعوه الى أن يوارى بالتراب. ألا ترى الى قول مالك رحمه الله لما أن سئل عن النساء يصلين صلاة العيد قيل له أينصرفن قبل الخطبة فقال لا من دخل في عمل وجب عليه اتمامه فلا ينصرفن حتى يفرغ الامام من خطبته وان كن لا يسمعنها أو كما قال لأن صلاة العيد ليست بواجبة عليهن فلما أن شرعن فيها لزمهن اتمامها على سنتها وذلك بسماع الخطبة بعد الصلاة فكذلك فيما نحن بسبيله اذا أن اتباع الجنازة ليس بواجب فمن تبعها بعد الصلاة عليها فقد شرع في قرابة فيلزمه اتمامها والاتباع لا يكون الا بمواراتها والله الموفق . وبعضهم اذا كان لهم ميت يعتنون به يتركونه عند درب الوداع ساعة يقرؤون ويذكرون ويكبرون كما تقدم من فعلهم بعد الصلاة على بعض الموتى ويسمونهم وداعا وهو مخالف للسنة لأن السنة اكرام الميت بالتعجيل بدفنه ثم ان القراء والذاكرين والمكبرين في الغالب يرجعون من هذا الموضع ثم العجب من فعلهم ذلك لأنهم يزعمون أنهم يفعلون ما يفعلون للتبرك فكان ينبغي على ما زعموا أن يصحبوا الميت بذلك كله الى أن يوارى في قبره فلما أن اقتصروا على ما فعلوا في الأسواق والطرق دون غيرها كان ذلك دليلا على أن ما فعلوه انما هو لاجل الناس . ثم ان السنة في تشييع الجنازة أن من يشيعها يمشى معها حتى تدفن وهم يفعلون غير هذا لأنهم يتبعونها حتى يصلوا عليها ويمشوا معها الى درب الوداع فاذا أتوا اليه فمنهم من يمشى ومنهم من يركب وكل يسلك ما يختاره من الطرق فيسبقون الجنازة الى القبر وتبقى الجنازة تجرى بها الجمالون ولا يشيعها الا القليل من الناس ومن شدة جرى الجمالين بها ترى الميت يهتز

على النعش ورأسه يخفق وبدنه يضطرب ويتمخض فؤاده وربما كان ذلك سببا الى خروج شيء من الفضلات من جوفه الى فمه أو دبره فيذهب المعنى الذى لأجله أمرنا بتغسيل الميت وهو الاكرام للقاء الملائكة وهذا كله شنيع من الفعل وأصل ذلك كله انما نشأ من مخالفة السنة والنظر اليها والتبرك بمراسمها لأنها لا تفعل فى شيء الا حلت البركة فيه وذهب كل ما يتخوف منه من المفسد فليحذر من هذا جهده والله الموفق . فان قال قائل ان كثيرا من الناس لا يقدر على المشى معها لاستعجال الجمالين بها . فالجواب أن الاستعجال هنا مكروه لمخالفة السنة المطهرة ولما يخشى أن يخرج شيء من الفضلات من الميت كما تقدم فيمنعون من العجلة التي تؤدي الى الضرر بالميت وبمن يمشى معه . وهذا عكس ما يمشون به حين الخروج به من بيته الى موضع الصلاة عليه ومنه الى درب الوداع فانهم يمشون به الهويتا . وقد جاء النهى عنه بما ورد (ولا تدبوا بها كديب اليهود) وقد قال علماءنا رحمة الله عليهم ان السنة فى المشى بالجنابة أن يكون كالشاب المسرع فى حاجته وهذا المأمور به هو وسط بين ما يفعلونه أولا من الديب بها و آخرها من الاستعجال الذى يضربها (وكان بين ذلك قواما) فكانت السنة عند أكثرهم لا يعرفونها اذ أنهم لو عرفوها ماتركوها لأن السنة لا يتركها أحد مع عدم الضرورة وليس ههنا ضرورة داعية الى تركها فاننا لله وانا اليه راجعون . ويكون المشون أمامها والركبان خلفها الى قبرها لأن الماشى أفضل من الراكب فيتقدم رجاء قبول شفاعته لأن حاله حال تواضع وافتقار والمحل قابل لذلك . ثم اذا مشى المشاة أمامها والركبان خلفها فالسنة أن لا يتكلم أحد مع أحد لأن الكلام فى هذا المحل لغير ضرورة شرعية بدعة اذ أنهم ذاهبون للشفاعة يرجون قبولها فيشتغلون بمأثم اليه صائرون فيكون كل واحد منهم مشتغلا فى نفسه بالاعتبار والدعاء للميت أو لنفسه

وللسلمين أو لجميع ذلك كله . وقد كان السلف رضى الله عنهم فى حضور جنازتهم يتناكر بعضهم من بعض كما تقدم ذكره اذا دخل عليهم شهر رمضان حتى اذا رجعوا للبلد تعارفوا على عاداتهم فى ودهم الشرعى . ثم العجب من بعضهم فى كونهم يسبقون الجنازة ويجلسون ينتظرونها ويتحدثون اذ ذاك فى التجارات والصنائع وفى محاولة أمور الدنيا . ومن كان على هذه الصفة كيف يرجى قبول شفاعته . بل بعضهم يفعل ذلك والميت يقبر فى الغالب . بل بعضهم يتضاحكون حين يتكلمون وآخرون يتبسمون وآخرون يستمعون وكل ذلك مخالف للسنة المطهرة فانا لله وانا اليه راجعون . وينبغى أن يشرع أولا فى حفر القبر قبل الأخذ فى غسله . وقد كان الغالب على حال السلف رضى الله عنهم أن يحفر بعضهم لبعض كما تقدم فى الغسل وعلى ذلك أكثر أهل الحجاز الى اليوم . ولا بأس باجارة من يحفره وينبغى أن يكون الحفر فى المقبرة لأنه يؤمن عليه فيها بخلاف أن لو دفن فى غيرها فانه لا يؤمن من النيش عليه أو وصول النجاسات اليه أو يدفن فى أرض مستعارة أعنى لا أصل لها كالكيان وماشابهها وذلك كله ليس بحرز للميت لانه قد ينش وينبى عليه وانما حرزه مقبرة المسلمين . وينبغى لولى الميت أن يختار له الدفن عند العلماء والأولياء . والصالحين للتبرك بهم لما ورد (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) ولما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورته) فلعل بركة الجوار وهو الغالب أن تعود على من جاورهم ونزل بساحتهم وقد مضت عادة السلف رضى الله عنهم أن يختاروا الدفن عند قبور الآباء والأقارب عند عدم القدرة على الدفن عند الأولياء والصلحاء فان اجتماعا فياحبذا . وينبغى أن يكون الذى يحفر القبر من أهل الدين والخير والأمانة لانه اذا لم يكن على هذه الصفة فقد يجد فى الموضوع أثر ميت فيزيله أو يكسره وذلك لا يجوز

لان الموضع حبس على من دفن فيه حتى لا يبقى منه أثر ألبتة ثم بعد ذلك يتصرف فيه وأما مع وجود شيء منه فلا يجوز ومن فعل ذلك فهو غاصب لموضع الميت الأول والتحلل منه متعذر فيتحفظ من هذا جهده وبعض الناس في هذا الزمان يحفرون ويرمون عظام الموتى بعد تكسيرها بموضع آخر وهو محرم فان لم يجد موضعا يحفر فيه بسبب آثار الموتى التي هناك فليخرج عن المقبرة الى البرية قليلا بحيث يكون متصلا بها فهو أبرأ للذمة ويراعى مع ذلك أن يكون قريبا من الطريق دون شيء يستتره عن المارين مثل جدار أو غيره فلعل أن يناله بركة من يمر على تلك الطريق من المسلمين ولعل من يترحم عليه منهم لان الميت مضطر الى ذلك كائنا ما كان. وحكمة دفن الميت في الصحراء قد تقدم ذكرها. وذلك بخلاف ما يفعلون في هذا الزمان وهو أن من كان له رياسة ومال عمل له تربة في البلد ودفن فيها فتصديه النجاسات وتمر عليه السرابات فينماع الميت فيها وكذلك يفعلون في المقبرة يبنون فيها البيوت ويعملون فيها السرابات وبعضهم يبنون الآبار والحمامات وقد تقدم قبح ذلك وما فيه من المخالفة للشرع الشريف. واذا كان ذلك كذلك فيتعين أن يبعد بالحفر عن هذه المواضع حتى لا يصل الى الميت شيء من النجاسات والرطوبات. واذا حفر القبر فينبغي أن يكون من يحفره ممن يعرف القبلة معرفة جيدة ولا يعمل على ما يجده من المحاريب في القبور لأن الغالب عليها الانحراف عن القبلة لأن أكثر من يضعها لا يعرف شيئا من علم ذلك فيقع بسببه الخطأ والخلل فان لم يكن عارفا بذلك فيتعين عليه أن يأتي بمن يعرف الحكم في ذلك حتى يكون القبر الى القبلة بالسواء. وينبغي له بل يتعين عليه أن يحفر للميت على طوله أو يزيد قليلا حتى اذا دخل في قبره يكون دخوله فيه بالسواء وعلى ذلك مضى السلف والخلف. وهذا بخلاف ما يفعله بعض أهل الوقت من أنهم يخالفون السنة في صفة حفر القبر فيحفرونه من

أعلاه ضيقا ومن أسفله بطول الميت أو أقل منه وذلك لا يجوز لأن الغالب في الموتي أنهم لا يمكن أن يتناولهم الرجل الواحد أعنى مع التحفظ على دخول الميت في القبر على السنة باحترامه فيحتاج الى أكثر من الواحد . ومذهب مالك رحمه الله أنه ليس لذلك حدم من شفيع أو وتر ولكن قدر ما يحتاج اليه الميت ويقوم به ويكون ذلك برفق وتؤدة حتى كأن الميت لا يتحرك لوجود التلطف به في ادخاله في قبره . وإذا كان ذلك كذلك فيحتاج ولي الميت أن يأخذ قياسه ويحفره على قدر ذلك أو يزيد قليلا ويكون ذلك بالسواء من أعلى القبر الى اللحد حتى يدخل الميت في قبره بالسواء كما تقدم ويكون من يدخله في قبره من أهل العلم والخير والصلاح لأنه آخر عهده بالدنيا وأول منزل يحل فيه من منازل الآخرة فينبغي أن يكون آخر عهده بمن اتصف بما تقدم ذكره . وينبغي أن لا يمكن الحفارين بالاجرة في هذا الزمان أن يدخلوه في قبره لعدم اتصافهم بالعلم والصلاح غالبا فاذا أرادوا أن يدخلوه في قبره فيكون المتناولون له من أهل الخير والصلاح كما تقدم فيسلون الميت من جهة رأسه ويتناولونه قليلا قليلا برفق وأكثر الناس في هذا الزمان يفعلون ضد ذلك وهو أن الحفار يتناوله حتى اذا نزل أكثره جعله الحفار على ركبته ثم يرميه بشدة فيقع في القبر وهو يضطرب وفي ذلك اخراق حرمة الميت وقد يكون ذلك سببا لخروج الفضلات منه كما تقدم فليحذر من هذا وماشاكله . ثم انهم يدخلونه القبر منكوسا على رأسه وذلك يمنع لثلاث معان . أحدها مخالفة السنة المطهرة لأن السنة قدمضت أن يدخل في قبره بالسواء كما تقدم . المعنى الثاني أنه اذا أدخل على رأسه فقد تنزل المواد الى فمه وأنفه فتخرج كما تقدم . المعنى الثالث ما فيه من التفاؤل في أول منزل من منازل الآخرة يدخلونه فيه منكوسا على رأسه أسأل الله السلامة بمنه . وليحذر من أن يكون اللحد ضيقا عليه لأن الغالب على كثير منهم أنهم يدخلون الميت القبر فلا يسعه

فيحتاجون الى معالجة ذلك ولا تقع المعالجة بعد ادخال الميت في قبره الا باخراق
 حرمة . فيحتاج أن يكون اللحد أطول من الميت حتى يدخل فيه دون معالجة
 كما تقدم . ثم يأخذ في لحده فيزيل ما كان عليه من الرباط من ناحية رأسه ومن
 ناحية رجله ثم يزيل الرباط الذي كان قد جعله على عينيه وأذنيه وعلى فمه وأنفه
 ولا يزيل شيئاً من القطن لئلا يرى عليه أثر . وكذلك الخرق التي حلها قبل لثلا
 يرى عليها ذلك . ثم يحل الرباط الذي في ابهامي رجله . وكذلك يحل الرباط
 الذي في كفيه ويسرح يديه . ثم يضجعه على جنبه الأيمن ويكون في الكفن
 كأنه في فراشه بعضه تحته وبقية مغطى به . ثم يلصقه الى جهة القبلة ولا يجعل
 تحت رأسه شيئاً ويكون بالسواء على الأرض بجسده لأن الموضع موضع ذل
 وافتقار وليس بموضع رفع رأس ولا غيره . وقد قال عمر بن الخطاب لولده عبد
 الله رضي الله عنهما لما أن غشى عليه في سكرات الموت وأخذ عبد الله رأسه
 فرفعهما على فخذه فلما أن استفاق من غشيته قال ضع رأسي على الأرض لأأم لك
 وقد روى عنه أيضاً أنه قال افضوا بلحيتي الى الأرض . فاذا كان هذا حال
 أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه مع ما خصه الله تعالى به من المآثر العظيمة مع
 نبيه صلى الله عليه وسلم فما بالك بغيره فهو أجدر بمباشرة الأرض دون حائل
 وارتفاع عليها بشيء ما وهذا بعكس ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان فانهم
 يجعلون تحت الميت شيئاً يقيه من التراب بل بعضهم يزيد على ذلك بأن يجعل تحته
 طراحة وتحت رأسه وسادة . وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها أكثرهم وهو
 أنهم اذا جاؤا الى لحده أزالوا تلك الخرق المذكورة وأخرجوا القطن الذي أرسلوه
 معه في فمه وأنفه كما تقدم وصفه عنهم فيخرجونه من حلقه وتخرج المواد مع
 ذلك ويبقى فمه مفتوحاً وفي ذلك من الشوه ما فيه مع اخراق حرمة الميت ووجود
 النجاسة في القبر وذهاب المعنى الذي أمرنا بغسله له . وكذلك يحترز مما يفعله

بعضهم من أنهم يجعلون التراب في عينيه ويقولون عند ذلك لا يملا عين ابن آدم الا التراب ولا فرق في الشرع في اثم فاعل ذلك كما لو كان حيا بل هذا أشد لأنه يتعذر التحلل من الميت أسأل الله السلامة بمنه . بل يحل الرباطات كما تقدم ليس الا ويكون في ذلك كله يغمض عينيه مهما قدر . فاذا أضجعه على جنبه الأيمن فلتكن اليد اليمنى من الميت امامه واليسرى على جنبه الأيسر ثم يأخذ حجرا كبيرا فيركزه في الأرض ويسند الميت به من خلف ظهره ولا يقتصر على اسناد الميت من خاف ظهره بالتراب وحده دون هذا الحجر لأنه اذا أسنده بالتراب ليس الا خرجت الفضلات فيتحلل التراب بنداوتها فيستلحق الميت على ظهره فيميل وجهه عن جهة القبلة والمقصود دوامه مستقبلها حتى يفنى أو يفعل الله تعالى به ما يشاء ويختار . ثم اذا فرغ من اسناده بالحجر جعل خاف الحجر ترابا يسنده به من رأس الميت الى قدمه ويكون مع ذلك خاشعا متذللا . فان كان القبر حجرا صلبا ليس فيه تراب فلا بأس أن يوثق بالرمل فيفرش تحت الميت للضرورة الداعية الى ذلك لأنه ان بقى دونه انماح في قبره ويشترط في الرمل أن يكون طاهرا . وهذا بخلاف أن لو كان القبر سبخا أو ترابا فان الاتيان بالرمل بدعة لأنه لم ينقل عن السلف رضى الله عنهم بخلاف ما اعتاده بعض الناس في هذا الزمان وهو أنهم يأتون به فيفرشونه تحته لغير الضرورة المتقدم ذكرها وهو خلاف السنة كما تقدم . فاذا فرغ من كل ما تقدم ذكره في لحد الميت فليتربص قليلا قبل أن يأخذ في سد اللحد على الميت ليتذكر حينئذ هل نسى شيئا مما تقدم وصفه فان كان معه غيره ممن يعلم الحكم في ذلك كان أولى فمن نسى منهما لعل الآخر يذكره ثم يأخذ في سد اللحد ويمثل السنة في أن يقول مع ذلك ما رواه أبو داود عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع الميت في قبره يقول (بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم) واستحب

ذلك الشافعي رحمه الله وقال يقول بعد التسمية (اللهم أسلمه اليك الأشحاء من ولده وأهله وقرابته وإخوانه وفارق من كان يحب قربه وخرج من سعة الدنيا والحياة الى ظلمة القبر وضيقة ونزل بك وأنت خير منزل به ان عاقبته فبذنبه وان عفوت عنه فأنت أهل العفو أنت غني عن عذابه وهو فقير الى رحمتك اللهم اشكر حسناته واغفر سيئاته وأعذه من عذاب القبر واجمع له برحمتك الأمن من عذابك واكفه كل هول دون الجنة اللهم فاخلفه في تركته في الغابرين وارفعه في عليين وجد عليه بفضلك يا أرحم الراحمين) وذكر الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله أنه يقول اذا سوى عليه اللبن (اللهم انه قد نزل بك وخلق الدنيا وراء ظهره وافتقر الى ما عندك وأنت غني عن عذابه اللهم ثبت عند المسألة منطقته ولا تبتله في قبره بما لا طاقة له به) وينبغي أن يتجنب ما أحدثه بعضهم من أنهم يأتون بماء الورد فيجعلونه على الميت في قبره وذلك لم يرد عن السلف رضی الله عنهم واذا لم يرد فهو بدعة . ثم العجب منهم كيف يأتون بماء الورد ويخرجون القطن من فيه وأنفه وتخرج المواد اذ ذاك وتشم منه الروائح الكريهة ويتنجس المحل باحداثهم النجاسة في القبر برشهم ماء الورد وقد تقدم هذا وليس من السنة أن ييخر القبر ولا أن يفرش فيه ریحان لأنه خروج عن فعل السلف ويكفيه من الطيب ما قد عمل له وهو في البيت فنحن متبعون لا مبتدعون فحيث وقف سلفنا وقفنا . ثم يسد عليه اللحد وقد كره بعضهم أن يسد بالألواح ولهم في اللبن اتساع ان كان طاهرا وطهارته اليوم معدومة في الغالب واذا كان ذلك كذلك فالحجر يقوم مقامه . ثم يليس ما بين الحجرين بالتراب الطاهر المعجون بالماء الطاهر وان كان لا يغني عن الميت شيئا لكن وردت السنة به فتبع ويسد الخلل حيث كان . فاذا فرغ منه فقد تم لحده فيصعد اذ ذاك ويهال عليه التراب قال ابن حبيب يستحب لمن كان على شفير القبر أن يحثو فيه ثلاث حثيات

من تراب . وفي كتاب ابن سحنون عن مالك أنه قال ما سمعت من أمر به ولا أعرفه . وينبغي أن لا يقرأ أحد اذ ذاك القرآن لوجهين . أحدهما أن المحل محل فكرة واعتبار ونظر في المآل وذلك يشغل عن استماع القرآن والله تعالى يقول في كتابه العزيز ﴿ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ﴾ والانصات متعذر لشغل القلب بالفكر فيما هو اليه صائر وعليه قادم . الوجه الثاني أنه لم يكن من فعل من مضى وهم السابقون والقدوة المتبعون ونحن التابعون فيسعدنا ما وسعهم فالخير والبركة والرحمة في اتباعهم وفقنا الله لذلك بمنه . فاذا فرغوا من اهالة التراب عليه فليرفعوا القبر قليلا عن الأرض ويكره أن يؤتى بتراب آخر حتى يكثر ويرتفع القبر به والسنة أن يكون لا طئا (١) مع الأرض لكن بعد أن يرتفع عن الأرض قليلا كما تقدم . واختلف هل يسطح القبر أو يسنم على قولين فأما فعل منها كان حسنا . ولا يخصص القبر وكره مالك أن يرص على القبر بالحجر والطين وأن يبني عليه بطوب أو حجارة . قال الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره لما أن تكلم على قوله تعالى في سورة الكهف ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا ﴾ روى مسلم عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبني عليه . وأخرج أبو داود والترمذي عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تخصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبني عليها وأن توطأ . قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وروى النسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تخصيص القبور وهو تفصيلها . وروى أبو داود أن يزداد عليها . ومن القرطبي روى مسلم عن أبي التياح الاسدي قال قال لي علي بن أبي طالب أبعثك على ما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته . وفي

(١) لا طئا أى لا لصقا

رواية ولا صورة الاطمستها وأخرجه أبو داود والترمذي . قال علماءنا ظاهره منع تسنيم القبور ورفعها وأن تكون لاطئة . وقد قال به بعض أهل العلم وذهب الجمهور إلى أن هذا الارتفاع المأمور بإزالته هو ما زاد على التسنيم ويبقى للقبر ما يعرف به ويحترم وذلك صفة قبر نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على مارواه الدارقطني من حديث ابن عباس . وأما تعليه البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيمًا وتعظيمًا فذلك يهدم ويزال فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة وتشبيها بمن كان يعظم القبور ويعبدها وبعبارته هذه المعاني وظاهر النهي ينبغي أن يقال هو حرام والتسنيم في القبر ارتفاعه قدر شبره أخوذ من سنام البعير ويرش عليه الماء ثلاثين بالريح . قال الشافعي لا بأس أن يطين وقال أبو حنيفة لا يخصص القبر ولا يطين ولا يرفع عليه بناء والدفن في التابوت جائز لا سيما في الأرض الرخوة . ولا يجعل القبر مرعًا . ويستحب أن يعلم عند رأسه بحجر والاصل في ذلك مارواه أبو داود بإسناده أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أن دفن عثمان بن مظعون أمر رجلا أن يأتيه بحجر فلم يستطع حمله فقام إليه صلى الله عليه وسلم فخر عن ذراعيه ثم حمله فوضعه عند رأسه وقال أعلم به قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي . فاذا فرغوا من ذلك فليصرفوا عنه وينبغي أن لا يقرأ شيء من القصائد ولا ماشابها للوجهين المتقدمين الذكر في قراءة القرآن إذ ذلك ثم يأخذون في الانصراف وهو وضع التهنيتة على تمام الأدب إذا رجع ولي الميت إلى بيته ويجوز قبله أعني قبل الدفن وبعده كما تقدم وينبغي أن يتفقد بعد انصراف الناس عنه من كان من أهل الفضل والدين ويقف عند قبره تلقاء وجهه ويقفنه لان المالكين عليهما السلام إذ ذاك يسألانه وهو يسمع قرع نعال المنصرفين عنه . وقد روى أبو داود في سننه عن عثمان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف

عليه وقال (استغفروا لأخيكم وأسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) وروى رزين في كتابه عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول بعد ما يفرغ من دفن الميت (اللهم هذا عبدك نزل بك وأنت خير منزول به فاغفر له ووسع مدخله) وقد كان سيدي أبو حامد بن البقال وكان من كبار العلماء والصالحاء إذا حضر جنازة عزى وليها بعد الدفن وانصرف مع من ينصرف فيتوارى هنيهة حتى ينصرف الناس ثم يأتي إلى القبر فيذكر الميت بما يجابو به الملكين عليهما السلام . ويكون التلقين بصوت فوق السر ودون الجهر فيقول (يا فلان لا تنس ما كنت عليه في دار الدنيا من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا جاءك الملكان عليهما السلام وسألاك فقل لهما الله ربي ومحمد نبي والقرآن امامي والكعبة قبلتي) وما زاد على ذلك أو نقص تخفيف وما يفعله كثير من الناس في هذا الزمان من التلقين برفع الأصوات والزعقات لحضور الناس قبل انصرفهم فليس من السنة في شيء بل هو بدعة . وكذلك ما يفعله بعد انصراف الناس عنه على هذه الصفة فهو بدعة أيضا . وقد سألت سيدي أبا محمد رحمه الله فقلت له أينبغي للمكلف أن يحفظ هذا التلقين في حياته حتى يكون متيسرا على لسانه اذ ذاك فانزعج وقال أنت تجابو انما يجابو عملك ان كان صالحا فصالحا وان كان سيئا فسيئا فحصل العمل فهو يكفيك فإنه العدة التي تنجو بها بفضل الله تعالى لا اللقطة باللسان أو كما قال . وقد أمر الشرع بالتعزية فقال عليه الصلاة والسلام (إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبتة بي فإنها من أعظم المصائب) وهذا أمر منه عليه الصلاة والسلام لأتمه وتسليته لهم أما الأمر فقوله عليه الصلاة والسلام فليذكر مصيبتة بي وأما التسليته فقوله عليه الصلاة والسلام فإنها من أعظم المصائب فإذا تذكر المؤمن ما أصيب به من فقد النبي صلى الله عليه وسلم هانت عليه جميع المصائب واضمحلت ولم

يبقى لها خطر ولا بال. وقد ورد في التعزية ألفاظ متعددة. قال بعضهم وأحسن التعزية ما جاء في الحديث (أجركم الله في مصيبتكم وأعقبكم خير أمنها الله وأنا إليه راجعون) وينبغي أن يعزى الرجل في صديقه لأنه من المصائب وكذلك يعزى الرجل في زوجته الصالحة لأنها من المصائب. وقد ذكر الفقهاء في كتبهم ألفاظ التعزية على اختلافها ومن يعزى ومن يعزى فيه ليس هذا موضعها. وقد روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكي على صبي لها فقال لها اتقي الله واصبري فقالت وما تبالي بمصيبتى فلما ذهب قيل لها انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها مثل الموت فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين فقالت يا رسول الله لم أعرفك فقال (انما الصبر عند الصدمة الأولى) وروى الترمذي عن أبي سنان قال دفنت ابني سنانا وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر فلما فرغت قال ألا أبشرك قلت بلى قال حدثني أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقولون ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد) وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يقول الله تعالى مال عبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلى الجنة) وينبغي لأهل الفضل والدين أن يراعوا التعزية في الدين أكثر كما نقل عن بعضهم أنه قال فانتني الصلاة في جماعة فعزاني فيها فلان ولم يعزني غيره ولو مات لي ولد لعزاني فيه مائة ألف أو كما قال وما ذاك إلا أن مصيبة الدين عند أهل الدين أعظم من مصيبة الدنيا عكس ما الحال عليه في هذا الزمان. وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها بعضهم وهي أنهم يحملون أمام الجنازة مع الحاملين في الاقفاص الخرفان والخبز ويسمون ذلك

بعشاء القبر فاذا أتوا الى القبر ذبحوا ما أتوا به بعد الدفن وفرقوه مع الخبز ويقع بسبب ذلك مزاحمة وضرب ويأخذ ذلك من لا يستحقه ويحرمه المستحق في الغالب . وذلك مخالف للسنة من وجوه . الأول أن ذلك من فعل الجاهلية لمسارواه أبو داود عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا عقرب في الاسلام) والعقرب هو الذبح عند القبر كما تقدم . الثاني ما فيه من الرياء والسمعة والمباهاة والفخر لأن السنة في أفعال القرب الاسرار بها دون الجهر فهو أسلم والمشى بذلك أمام الجنائز جمع بين اظهار الصدقة والرياء والسمعة والمباهاة والفخر ولو تصدق بذلك في البيت سرا لكان عملا صالحا لو سلم من البدعة أعنى أن يتخذ ذلك سنة أو عادة لأنه لم يكن من فعل من مضى والخير كله في اتباعهم رضي الله عنهم كما تقدم غير مرة . وليحذر من هذه البدعة التي أحدثها بعض من لا يعنى بحكمة الشرع في أوامره ونواهيه وإشارات وهي ادخال الميت في الفسقية التي أحدثوها وهي بدعة في نفسها فكيف بما يفعل فيها . فمن ذلك أنهم يفرشون فيها تحت الميت طراحة أو قטיפة أو غيرهما ويضعون تحت رأسه وسادة ويغطونه حتى كأنه مضطجع في بيته ويجعلون عنده من المشموم ما أمكنهم من الياسين والريحان وغيرهما ويبيتون ذلك عنده فيها وموضع الفسقية فيه ظلمة لأنه تحت الأرض وليس له موضع يدخل منه الضوء الامن موضع بابها وهو ضيق فيحتاجون في الغالب الى دخول الضوء معهم وذلك فيه تفاؤل بدخول النار في هذا المحل حتى ان بعضهم يوقد الشمع ويتركه موقودا عنده لئلا يبقى في الظلام ويسد عليه باب الفسقية فهذا فيه اضاءة المال مع ما تقدم من التفاؤل ومخالفة السنة وقد يقع ذلك على الميت قبل أن يطفأ فيحرقه أو يحرق ما عليه أو يحرق غيره ان كان معه مع أنه لا فائدة في الوقود لأنه لا يدوم لو لم يكن فيه ما تقدم ذكره من المحذورات لأن الفسقية اذا سد بابها امتنع دخول الهواء اليها والنار لا تتقد الا

مع وجود الهواء فان لم يكن سمحت في الغالب لكن قد لا تخمد حتى يجزى على الميت أو الموتي ما تقدم من الحريق ولأن الموضع موضع خشاش وهوام وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم المكاف أن يطفىء المصباح قبل نومه وعلل ذلك بأن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم ناراً والنوم هو الوفاة الصغرى وذلك ممنوع معه فلا يفعل ذلك في الكبرى من باب أولى وأحرى وجعل الميت في الفسقية يمنع لوجوه . الأول مخالفة السنة المطهرة في ترك الدفن وكفى بها لأن من هو في الفسقية غير مدفون لأنه لا فرق بين جعله في الفسقية أو في بيت ويغلق عليه فهذا والحالة هذه لا يطلق عليه أنه مدفون فقد تركوا الدفن وهو شعيرة من شعائر المسلمين وقد امتن الله عز وجل في كتابه العزيز علينا بالدفن فقال ﴿ ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً ﴾ فالستر في الحياة ما يتصرف فيه الانسان من ضرورات البشرية في خلوته مما يكره أن يطلع عليه غيره ويستتر عورته به والستر في الممات ستر جيف الابدان ولولا نعمة القبور لكان شناعة بين الاشكال ويقال ما في جميع الحيوان أشد كراهة من راحة جيفة الآدمي فستره الله بالدفن اكراما له وتعظيماً . ومن وضع في الفسقية فقد ترك ما امتن الله تعالى به عليه من نعمة الدفن . وقد روى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أبي طلحة يعود فقل عليه الصلاة والسلام (انى لأرى أبا طلحة حدث عليه الموت فاذا توفى عجلوا به فانه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراى أهله) ومن جعل في الفسقية فأهله يكشفون عليه في كل وقت مات لهم ميت فقد يعرفون ما تغير من حال من كشفوا عليه من موتاهم ويشمون الروائح الكريهة منه وهو يكره في حال حياته أن يشم منه بعض ذلك . واذا كان ذلك فلا فرق بين أن يكون في الفسقية أو بين ظهراى أهله فيمنع لمن فيه من حرق حرمة لأنهم يدخلون عليه بميت آخر فان كان قريب العهد من قبله

كشفتوا حاله وما هو فيه من النتن والدود وغيرهما حتى لقد حكى أن امرأة نزلت فسقية لوضع ميت لها فيها فوجدت ابنة لها كانت قد دفنت من مدة فرأت رأسها ووجها يغليان دودا فذهب عقلها وهذا هو الوجه الثاني . الوجه الثالث أن باب الفسقية ضيق كما هو مشاهد مرئى وتحبس فيه الروائح الكريهة فإذا فتح لجعل ميت آخر وكان قريب العهد من قبله خرجت تلك الروائح الكريهة ان كان الميت طريا فأذت كل من حضر الجنازة . وأما من ينزل إليها فإنه يجد من الكلفة والمشقة النهاية وقد يكون ذلك سببا لمرضه أو موته أوهما معا . الوجه الرابع أنهم يدخلونه منكوسا على رأسه وقد تقدم ما فى ذلك من القبح حين ادخال الميت القبر فهو فى الفسقية أجدر بالمنع لأن بابها أضيق من الشق الذى يعملونه فى القبر . الوجه الخامس أنه قد اختلف علماءنا رحمة الله عليهم فيمن أُلحِد ميتا وسقطت منه فى القبر نفقة أو لؤلؤة أو شئ له قيمة كبيرة فلم يذكره الا بعد أن أهيل عليه التراب أو بعضه هل يكشف ما أهيل عليه من التراب ويأخذ ما سقط منه لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاءة المال وتركه من اضاءة المال أو لا يجوز ذلك لأن فيه كشفا على الميت بعد مواراته بالتراب وذلك خرق لحرمته ولما يخشى أن يكون قد تغير حاله الى أمر مغيب عنا فيكشف عليه وينتهك ستره بذلك وذلك ممنوع فى الشرع الشريف . فاذا كان هذا الخلاف فيمن سقط منه شئ له قيمة كبيرة فما بالك بمن يكشف عنه لغير ضرورة شرعية فهذا أجدر بالمنع . الوجه السادس ما فيه من القبح بهتك السترة عن فيها وذلك أن أهل تلك الفسقية قد يتغيرون عن آخرهم وهو الغالب وينكشفون فيبقون عزاة بمرأى ممن يمر عليهم من الناس وذلك كشفة لهم وهتك لحرمتهم وهذا موجود ظاهر . حتى لقد روى بعض أهل الفساقى وحمار ميت قد طرح عليهم . فانظر بعين الانصاف ما أشنع هذا وأقبحه على مقتضى العقل فكيف والشرعية قد نهت

عنه وذمته فلا هم ممثلون لأمر الشرع في ذلك ولا هم يرجعون لمقتضى العقل لأن العقل يأبى ذلك أسأل الله السلامة بمنه . الوجه السابع ما حرمهم الشيطان من بركة الدفن وما فيه من الستر . ألا ترى أن المدفون اذا خرجت منه الفضلات شربتها الأرض فيبقى نظيفا في قبره ومن وضع في الفسقية يناع في النجاسات التي تخرج منه وتتحلل من جسده . الوجه الثامن أن ادخاله في الفسقية فيه ما فيه من الفخر والكبر لأن الغالب أنه ما يفعله الا المتكبرون والموضع موضع ذل وافتقار واضطرار واظهار مسكنة واحتياج لاظهار العز والكبر . الوجه التاسع ما يفعله بعضهم من تبليط الفسقية وذلك في حال الحياة لا ينبغي فما بالك به بعد الممات اذ أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا ولم يبن لبنة على لبنة فأقل ما يمكن في حق المكلف أن يمثل ذلك بعد موته . الوجه العاشر ما زاده بعضهم من تبيض داخل الفسقية حتى تبقى كالبيوت التي يتفاخر بها أبناء الدنيا بعضهم على بعض في حال الحياة . وكذلك يمنع كما تقدم في التبليط سواء بسواء بل هذا أشد . الوجه الحادى عشر أن ما يفعلونه سبب لانبعث الحشرات والنجاسات عليه وذلك أنه يناع في قبره فتكشر الروائح لعدم التراب والحشرات تتبع الروائح حيث كانت وكذلك الكلاب والسباع والذئاب وذلك بخلاف القبر لما تقدم من أنه يشرب الفضلات من الميت . الوجه الثانى عشر ما فى ذلك من تيسير السرقة على من أرادها والسرقة معصية كبرى اذا كانت فى حق الاحياء فما بالك بها فى حق الموتى فوضع الميت فى الفسقية فيه تيسير على من ابتلى بنبش القبور اذ أنه لا يحتاج فى ذلك الى كبير كلفة فى الدخول اليه الا أنه يفتح الباب ليس الا ويتيسر عليه حيثئذ ما يريده وفاعل المعصية ومن ييسرها عليه شريك فى الاثم . الوجه الثالث عشر أن من يتحفظ منهم من التيسير على النباش يحتاجون الى البناء الحصين والابواب الممانعة والحراس ومن يسكن فيها أو الى جانبها ويبول ويتغوط والسراب سرعان

تحت الأرض فيؤول ذلك الى تنجيس من هناك من الموتى بنجاسة أجنبية عنهم وذلك كله مع هذه الأحوال الرديئة يحتاج الى كلفة من تحصيل دنيا لأجل البواب والقيم والخادم ومن يحرس وجعل صهر يرح لهم فتزيد الندوة بذلك فينباع الميت في قبره وقد حكمت السنة بالدفن في الصحراء للسلامة من هذه المفاسد وغيرها وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية فأعني عن اعادته . الوجه الرابع عشر ما في فعلها من ارتكاب النهي لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهانا عن التشبه بالاعاجم وما كان ابتداء فعلها الا من جهتهم فسرى ذلك الى بعض الناس مع كونهم لا يشعرون بارتكاب هذا النهي الصريح نسأل الله السلامة بمنه . الوجه الخامس عشر أن من دفن في القبور على ما أحكمته الشريعة له حرمة لكون قبره ظاهراً فلا يتأتى لاحد حفره ولأن يبنى عليه ولأن يجعل عليه سرايا بخلاف الفسقية فانها في باطن الأرض غير مرتفعة كالقبر في الغالب وليس للميت على ظاهر الأرض أثر يعرف به فيكون ذلك سبباً الى البناء عليها حيث دثروها أو غيره من ارسال سرايا أو جعل مرحاض وما أشبه ذلك . الوجه السادس عشر أنها قد تنخسف وهو الغالب فيتضرر بها من تنخسف به وقد يهلك ثم تبقى بعد ذلك معبرة لمن يمر بها وشنعة على من فيها حتى أن بعض من لا يعرف الشرع ليطلب النظر فيها حتى يعرف الذكر من الاثني وذلك لا يجوز سيما ان وقع السيل فيكون ذلك أعظم في الكشفة وهتك الستر وذهاب حرمة المؤمن . الوجه السابع عشر من أوصى أن يدفن في فسقية فانه لا تنفذ وصيته . وقد قال ابن عبد الحكم فيما هو أيسر من هذا وهو أن من أوصى أن يبنى على قبره بيت فقال لا ولا كرامة . فالمنع هنا من باب أولى وأحرى الوجه الثامن عشر أنها تبقى مأوى للصمصوم ومن لا خير فيه فيختبئون فيها ويجعلون فيها ما يختارون من السرقة وغيرها حتى يتصرفوا في ذلك وكانت سبباً للستر عليهم وقد وقع ذلك . الوجه التاسع عشر أن الفسقية تمسك بمواضع

جماعة من الموتى فان كانت الارض وقفا فيكون فاصبا لما عدا موضع جسده
لأنه مستحق للغير ممن مات من المسلمين وليس له أن يحفر فيها الا قدر ضرورته
وهو ما يواريه منها اذا مات. وأشد منعا من الفسقية ما اعتاده بعض من لا يقدر
على كلفة النفقة في الفسقية اذا مات لهم ميت أنزلوه على الميت المتقدم لهم
حتى أن بعضهم ليوصى بذلك وهو لا يجوز لما تقدم من أن الكشف على
الميت بعد مواراته محرم لأن الموضع حبس عليه فلا يجوز لغيره أن يدفن معه
فيه اللهم الا أن يكرن الموضع فيه من الحرارة أو السبخة بحيث يعلم أن الميت الأول
قد فنى ولم يبق له أثر فلا بأس به اذن مثل المعلى بمكة لشدة حرارته والبقيع بالمدينة
لشدة سبخته فيبلى الميت فيهما سريعا حتى أنه لا يوجد الا التراب. ولهذا المعنى
كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحرق البقيع بعد سنين و يدفن فيه أعنى قبور
من تحقق خلو القبر منهم لما تقدم ذكره من التعليل وليحذر من هذه البدعة
التي اعتادها بعضهم وهي جعل الرخام على القبور وهي بدعة وسرف واضاعة
مال ونخر وخيلاء وكذلك كل ما حواهيه. وليحذر من أن يجعل على القبر ألواح
من خشب عوضا عن الرخام. وكذلك يحذر من أن يجعل عليه درابزين اذ أن
هذا كله من البدع المكروهة في الشرع الشريف. وقد تقدم صفة القبر على السنة
فكل ما خالفها فهو بدعة مكروهة واضاعة مال ونخر وخيلاء كما تقدم. وليحذر
مما يفعله بعضهم من نقش اسم الميت وتاريخ موته على القبر سواء كان ذلك عند
رأس الميت في الحجر المعلم به قبره وان كان الحجر من السنة على الصفة المتقدمة
أو كان النقش على البناء الذي اعتادوه على القبر مع كون البناء على القبر ممنوعا
كما تقدم أو كان في بلاطة منقوشة أو في لوح من خشب. وأشد من ذلك أن
يكون على عمود كان رخاما أو غيره والرخام أشد كراهة. وكذلك لو كان العمود
من خشب فيمنع أيضا. ثم انظر رحمنا الله وإياك الى البدعة كيف تجر الى المحرم

ألا ترى أن بعضهم لما أن ارتكب بدعة النقش وفي ذلك آيات من القرآن واحتوت مع ذلك على اسم من أسماء الله تعالى أو على اسم النبي صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك مما له حرمة في الشرع الشريف ثم تندثر تلك التربة ويندثر أهلها ومعارفها فيقع ذلك في الأرض إن سلم من السرقة وقد يبيعه السارق لمن يجعله في مواضع لا تليق به مثل عتبة باب أو في موضع مرحاض ويجعل ناحية الكتابة إلى الأرض إن كان مسلما ولا يشعر بما عليه من الأثم فيه. وأما إن باعه لنصراني أو يهودي فذلك أعظم لأنهم يقصدون امتحان ما تعظمه الشريعة المطهرة المحمدية وإن سلم من السرقة فيبقى موطوءا بالاقدام متمنا حتى كأنه لا حرمة له وذلك ممنوع في الشرع الشريف فليحذر من ذلك جهده . وكذلك يمنع أن يوقف عند رأس الميت عمود وإن لم ينقش عليه شيء سواء كان من رخام أو حجرا أو خشب أو غير ذلك لأنه من باب الخيلاء والسرف وإضاعة المال وذلك كله ممنوع في حال الحياة فما بالك به بعد الوفاة . وفيه من القبح أن فاعل ذلك يريد الظهور وبقاء اسمه وأثره بعد الموت إن كان وصى بذلك أو كان يجبه فإن لم يكن وفعله عليه غيره فبدعة ذلك مختصة بفاعلها لأن ذلك كله ممنوع في الشريعة المطهرة . ولا بأس بذكر آثار الصالحين والعلماء والأولياء ما لم يكن منقوشا على القبر أو على جدار أو في ورقة ملصوقة هناك فإذا كان هذا ممنوعا فما بالك بالشمع الغليظ الكبير الذي ليست به حاجة للوقود لو كان سائغا فلم يبق إلا أن يكون ذلك إضاعة مال . وكذلك يمنع ما يفعله بعضهم من تعليق قنديل على قبر من كان مشهورا بالخير والناس يعتقدونه ليأتي الناس إلى مكان الضوء فيزورونه لأن الغرض الواجب مثل الحج وغيره إذا كان المكلف لا يمكن أن يأتي به إلا أن يرتكب محرما كإخراج الصلاة عن وقتها وما يشبهه فإن الغرض ساقط عنه . فإذا كان هذا في الغرض فما بالك به فيما ليس بواجب وزيارة

القبور ليست بواجبة فكيف تفعل مع وجود مفسد . وقد تقدم بعض ما يقع في زيارة القبور بالليل من المفسد فأغنى عن اعادته . وما يدل على منع هذه الأشياء أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الأقاليم ومات كثير منهم فيها في الجهاد وغيره ولم ينقل أنه نقش على قبر واحد منهم ولا علق عليه قنديل ولا عمل عليه غير ذلك من العلامات الدالة عليه . ويدلك على صحة هذا المعنى أنه لا يعرف من قبورهم الا الفند النادر وهم القدوة ونحن الاتباع فلو كان ذلك أمرا معمولا به لبادرت الامة الى فعله ولاشهر الحكم فيه حتى لا يخفى على متأخرى هذه الامة . وأيضا ففي النقش على القبر مفسدة أخرى وهى أن بعض الناس يريدون الشهرة لقبور أوليائهم فينقشون عليها اسم من مضى من المتقدمين من العلماء والصالحين لكي يهرع الناس الى زيارتهم وهذا النوع كثيرا ما يقع من بعض الجهلة بدينهم والفسقة فليحذر من هذا جهده . وليحذر مما يفعله بعضهم من أنهم يعملون على القبر سقفا من ذهب ويجعلون هناك تصاوير وهذا فيه من القبح ما هو ظاهر بين ألا ترى أن العلماء رحمة الله عليهم اختلفوا في الاستظلال بالسقف الذى فيه الذهب هل يجوز للأحياء أن يدخلوا تحته أم لا فاذا كان هذا ممنوعا في حق الأحياء فما بالك به في حق الموتى اذ أنهم محتاجون الى اظهار الفقر والاحتياج والاضطرار أكثر من الأحياء وفي فعل السقف المذهب من ظهور الفخر والخيلاء ما هو مذموم في حق الأحياء فما بالك به في حق الموتى لما تقدم ذكره . وأما الصور فهى نقيض المراد لأن الملائكة لا تحضر موضعا فيه صورة والمؤمنون يطلبون حضور الملائكة عند ميتهم رجاء بركتهم ليغفر له فاذا امتنعت الملائكة من الحضور حصل ضد البركة والخير أسأل الله السلامة بمنه . وبالجملة فالبدعة اذا عملت فى شئ كثرت المفسد فيه وقل أن تنحصر بضد ما هى السنة فانها اذا امتثلت

في شيء أنار واستنار وتجمل والحمد لله وحده .

(فصل) ويستحب تهيئة طعام لأهل الميت ما لم يكن الاجتماع للنياحة وشبهها لما روى الترمذى وأبو داود عن عبد الله بن جعفر قال لما جاء نعى جعفر قال النبي صلى الله عليه وسلم (اصنعوا لآل جعفر طعاما فإنه قد جاءهم ما يشغلهم) ولأن ذلك من التقرب إلى الأهل والجيران والبر لهم فكان ذلك مستحبا . ولذلك قال أصحاب الشافعى رحمة الله عليهم ينبغى لقراءة الميت أن يعملوا لأهل الميت في يومهم وليلتهم طعاما يشبعهم قالوا وأما اصلاح أهل الميت طعاما وجمع الناس عليه فلم ينقل فيه شيء وهو بدعة غير مستحبة . وينبغى أن تكون التلبينة من أهم ذلك لما ورد أنها تذهب الحزن . وصفها أن تكون خفيفة كأنها الماء إلا أنها بيضاء لأجل الدقيق الذى يعمل فيها ويجعل فيها شيء من الملح قدر قوامها . ولا بأس أن يجعل شيء من الزيت أو الشيرج أو غيرهما من الأدهان ثم يوقد عليها حتى تنضج فإن كانت أثنى من ذلك فهى الحريرة لا التلبينة . وينبغى أن يقدموا شربها على الطعام لما تقدم . فلو جاءهم الطعام من مواضع متعددة فينبغى أن يتصدقوا بما فضل عنهم أو يهدوه لمن يختارون . وقد سئل مالك رحمه الله عن جمع الناس على العقيقة فأنكر ذلك وقال تشبه بالولائم ولكن يأكلون منها ويطعمون ويهدون إلى الجيران . فاذا كان هذا قوله فى العقيقة فما بالك به فى الطعام الذى اعتاد بعضهم عمله فى بيت الميت وجمع الناس عليه . قال القاضى أبو الوليد الباجى رحمه الله فى كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين له وكان سعيد بن المسيب اذا دعى إلى العرس أجاب واذا دعى إلى الحتان انتهر الذى دعاه أو رماه بالحصى وقال لا يجيبكم إلا أهل رياء وسمعة . وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال الوليمة أول يوم حق والثانى معروف والثالث سمعة ومن سمع سمع الله به . وقال أزهر بن عبد الله من

صنع طعاما لرياء وسمعة لم يستجب الله لمن دعياله ولم يخلف الله عليه نفقة ما أنفق
وإذا كان هذا في وليمة العرس والختان فما بالك بما اعتاده بعضهم في هذا
الزمان من أن أهل الميت يعملون الطعام ثلاث ليال ويجمعون الناس عليه
عكس ما حكى عن السلف رضى الله عنهم فيحذر من فعل ذلك فإنه بدعة مكروهة
ولا بأس بفعله للصدقة عن الميت للحتاجين والمضطرين لا للجمع عليه ما لم يتخذ
ذلك شعارا يستن به لأن أفعال القرب أفضلها ما كان سرا والله الموفق
وينبغي أن يتحرز من هذه البدعة التي يفعلها بعضهم وهي أنهم يوقدون السراج
أو القنديل في الموضع الذي مات فيه الميت ثلاث ليال من غروب الشمس
الى طلوعها وعند بعضهم سبع ليال وبعضهم يزيد على ذلك أنهم يفعلون
مثله في الموضع الذي غسل فيه الميت . وليحذر مما أحدثه بعضهم وهو أنهم
يضعون حجرا في الموضع الذي مات فيه الميت ويجعلون عليه سراجا يوقد الى
الصبح وذلك بدعة ممن فعله . وليحذر مما أحدثه بعضهم من أن ثياب الميت
لا تغسل الا في اليوم الثالث ويقولون ان ذلك يرد عنه عذاب القبر وذلك
تحكم وافتراء على الشريعة المطهرة . وليحذر مما أحدثه بعضهم من أن ولى الميت
يعمل العشاء ثلاث ليال وقد تقدم بعض ذلك . وليحذر مما أحدثه بعضهم
وهو أنه لا يرفع مائدة الطعام الليلالى الثلاث الا الذى وضعها . وكذلك يحذر
مما أحدثه بعضهم من أن الموضع الذى غسل فيه الميت يوضع فيه رغيف
و كوز ماء ثلاث ليال بعد موته . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم وهو أن الميت
اذا مات لا يأكل أهله حتى يفرغوا من دفنه . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم
وهو أنهم اذا رجعوا الى البيت من الدفن لا يدخلون البيت حتى يغسلوا أطرافهم
من أثر الميت . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من التزام البكاء بكرة وعشية حين
الغداة والعشاء . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم وهو أن من حضر الميت عند خروج

روحه لا يعمل شغلا حتى تمضي عليه سبعة أيام . وكذلك يحذر مما أحدث بعضهم وهو أن أحدهم اذا عطس على الطعام يقولون له كلم فلانا أو فلانة ممن يجب من الاحياء باسمه ويعلمون ذلك لئلا يلحق بالميت . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم وهو أن ما كان من الماء في البيت في زير أو غيره لا ينتفعون به ويطرحونه ويرون أنه نجس ويعلمون ذلك بأن روح الميت اذا طلعت غطست فيه . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم وهو أن ولي الميت مادام حزينا على ميته لا يأكل مع جماعته حتى ينقضى حزنه . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم وهو أن الميت اذا مات حزنوا عليه سنة كاملة لا يختضب النساء فيها بالحناء ولا يلبسن الثياب الحسان ولا يتحلين ولا يدخلن الحمام وان حصل الاضطرار الى دخوله . وقد تقدم ما في دخول الحمام فيمنع من ذلك هن ومعارفهن فاذا انقضت السنة عملن ما يعهد منهن من النقش والكتابة والغش الممنوع في الشرع الشريف كما تقدم فيبادرن الى فعل ذلك هن ومن التزم الحزن معهن ويسمون ذلك بفك الحزن ويقع لهن اجتماع حتى كأنه فرح متجدد عند جميعهن وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من قولهم ان الميت اذا لم يخرج الى زيارته ليلة الجمعة بقي خاطره مكسورا آيين الموتى ويزعمون أنه يراهم اذا خرجوا من سور البلد وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من قولهم بأن الموتى يتفاخرون في قبورهم بالأكفان وحسنها ويعلمون ذلك بأن من كان من الموتى في كفنه ذنابة يعايرونه بذلك ويحكون على ذلك منامات كثيرة يطول تتبعها مما لا أصل له ولا فائدة لذكره وكذلك يحذر مما أحدثه بعض النسوة وذلك أن من كانت منهن يعز عليها الميت تخرج في جنازته مكشوفة بغير رداء . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من التزام صبحة القبر وهو تكبيرهم الى قبر ميتهم الذي دفنوه بالأمس هم وأقاربهم ومعارفهم وأى من غاب منهم عنها وجدوا عليه حتى كأنه ترك فرضا متعينا

وكذلك يحذر من جعل بعضهم ثوبا منشورا على القبر . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من فرش البسط وغيرها في التربة لمن يأتي الى الصبحة وغيرها وقد تقدم الكلام على ذلك ومنعه . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من نصب الخيمة على القبر . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من وقود الشمع وغيره في الليل على القبر وكان ينبغي أن لا يقرب الميت بشيء من أثر النار أصلا لما ورد في الحديث من النهي عن اتباع الميت بالنار فما بالك بها تو قد عند القبر . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من أنهم اذا دفنوا الميت سكنوا عنده مدة في بيت في التربة أو قربها وهم مع ذلك يوقدون الأحطاب الكثيرة لضروراتهم فيتفألون عليه بوقودها عنده ويولون ويتغوطون هناك وبعضهم يقعد تمام الشهر ويتعاهدونه بعد ذلك ويفعلون عنده الأشياء المعهودة منهم فتسرى النجاسة اليه كما سبق ذكره وهذا موضع النهي لما ورد من النهي عن الجلوس على المقابر . وقد حمل علماءنا رحمة الله عليهم النهي على جلوس الانسان لحاجته على القبر فاذا كان هذا منيها عنه وهو على وجه الأرض ظاهر وتنشفه الشمس وتنشفه الرياح ويشربه التراب ويزيله من رآه غالبا فما بالك بما يفعلونه حين اقامتهم عنده من البول والغائط الكثير في الكنيف الذي هناك فتسرى الرطوبة النجسة الى الميت في قبره منه لأنه تحت الأرض فتسرع النجاسة اليه كما تقدم . واذا كان ذلك كذلك فهو أشد من قضاء الحاجة عند القبر وعليه فالمنع من ذلك من باب أولى . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من فعل الثالث للميت وعملمهم الاطعمة فيه حتى صار عندهم كأنه أمر معمول به ويشيعونه كأنه وليمة عرس ويجمعون لأجله الجمع الكثير من الأهل والأصحاب والمعارف فان بقي أحد منهم ولم يات وجدوا عليه الوجد العظيم . ثم انهم لم يقتصروا على ذلك حتى يقرأوا هناك القرآن العظيم على عوائدهم المعهودة منهم بالالخان والتطريب الخارج عن حد القراءة

المشروعة بسبب الزيادة والنقصان المتفق على تحريمهما ويأتون مع ذلك بالفقراء
يذكرون ويحرفون الذكر عن مواضعه على الترتيب المعروف عندهم وبعضهم
يزيد على ذلك فيأتي بالمؤذنين يكبرون كتكبير العيد على ماضى من عاداتهم . وقد
صار هذا الحال في هذا الزمان أمرا معمولابه حتى لو تركه أحد منهم لكثير
فيه القيل والقال فكيف لو أنكر ذلك . ثم انضم اليه أنهم يتكلفون فيه التكليف
الكثير لأجل ما يحتاجونه من العوائد في ذلك . ومنهم من يأتي بالواغظ الى
الرجال . ومنهم من يأتي بالواغظة الى النساء . ويزيدون في أقوالهم وينقصون
ويحرفون بعض ذلك ويفهمون غير المراد ويتفهون باطلاق أشياء لا ينبغي
ذكرها على رؤس الاشهاد وقد تقدم ما في ذلك من الذم في أول الكتاب
وقد تقدم ما في الاجتماع للسمع وما في السماع مما لا ينبغي وتلك القبائح والمفاسد
موجوده في الاجتماع للثالث والسابع وتمام الشهر وتمام السنة وفي أى موضع
فعل ذلك فيه من بيت أو قبر أو غيرهما كل ذلك يمنع . وكذلك يحذر بما أحدثه
بعضهم من فعل التهليلات لموتاهم وجمعهم الجمع الكثير لذلك كما تقدم في غيره
وقد تقدم الذكر جهرا وجماعة وما فيه . ويحتجون على فعل ذلك بما حكى
عن بعض الشيوخ من المتأخرين أنه رأى في منامه بعض الموتى في عذاب فذكر
لا اله الا الله سبعين ألف مرة ثم أهداها له فرآه في منامه بعد ذلك في هيئة حسنة
فسأله عن ذلك فأخبره أنه غفر له بأهدائه له ثواب السبعين ألفا . وهذا ليس
فيه دليل من وجهين . أحدهما أنه منام ، والمنام لا يترتب عليه حكم . والثاني أنه
انما فعلها وحده في خاصة نفسه وأهدى له ثوابها ولم يجمع لذلك الناس كما
يفعلون في هذا الزمان من الشهرة حتى صار ذلك عندهم أمرا معمولابه وأما
لو فعل ذلك أحد في خاصة نفسه وأهدى ثوابه لمن شاء فلا يمنع لأنه قد فعل خيرا
وكذلك يحذر بما أحدثه بعضهم من ترك الفرش التي تجعل في بيت الميت

لجلوس من يأتي الى التعزية فيتركونها كذلك حتى تمضي سبعة أيام ثم بعد ذلك
 يزيلونها . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من زرع شجرة أو صبارة أو ريحان
 أو غير ذلك عند القبر ويعلمونه بوجهين . أحدهما أن الملائكة تحضر في موضع
 الخضره تذكر الله تعالى . والثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أن مر على
 قبرين وهما يعذبان فأخذ جريدة رطبة فشققها نصفين فجعل نصفها على أحد
 القبرين والنصف الثاني على الآخر وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا . وهذا
 ليس فيه حجة . أما الوجه الأول فيرده ما تقدم من المعنى الذي لأجله شرع
 الدفن في الصحراء وهو أن يبقى الميت في قبره نظيفا لعطش الأرض التي يدفن
 فيها الميت فأى فضلة خرجت شربها التراب والغرس عند القبر يستدعى ضد
 ذلك لأنه يحتاج الى السقي بالماء وذلك يزيل هذه الحكمة لأجل أن القبر يبقى
 مبلولا من داخله فلا يشرب الفضلات فينماع الميت في قبره بسبب ذلك فيصير
 إذن لا فرق بين دفنه في الأرض التربة أو ينقرله في الحجر الصلب وقد مضى
 بيان ذلك . وأما الوجه الثاني فالجواب عن قوله عليه الصلاة والسلام لعله يخفف
 عنهما ما لم ييبسا راجع الى بركة ما وقع من لمسه عليه الصلاة والسلام لتلك
 الجريدة . وقد نص على ذلك الامام الطرطوشي رحمه الله في كتاب سراج الملوك له
 لما ذكر هذا الحديث فقال عقبه وذلك لبركة يده عليه الصلاة والسلام . وما نقل
 عن واحد من الصحابة رضى الله عنهم فلم يصحبه عمل بأقبيهم رضى الله عنهم
 اذ لو فهموا ذلك لبادروا بأجمعهم اليه ولكن يقتضى أن يكون الدفن في البساتين
 مستحبا . وقد قال الشيخ الامام أبو سليمان الخطابي رحمه الله في كتابه شرح
 معالم سنن أبي داود السجستاني رحمه الله وأما غرسه صلى الله عليه وسلم شق
 العسيب على القبر وقوله لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا فانه من ناحية التبرك بأثر
 النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالتخفيف عنهما . وكأنه صلى الله عليه وسلم جعل

مدة بقاء النداوة فيهما حداً لما وقعت به المعنائة من تخفيف العذاب عنهما وليس ذلك من أجل أن في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس والعامّة في كثير من البلدان تغرس الخوص في قبور موتاهم وأراهم ذهبوا إلى هذا وليس لما يتعاطونه من ذلك وجه والله أعلم « انتهى كلامه بلفظه » وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم وهو أنهم لا يستعملون الملوخية ماداموا في الحزن على ميتهم ويعلمون ذلك بما اصطالحوا عليه من أنها جمعة الأحياء فإذا أكلوها تذكروا بها ميتهم فيتجدد عليهم الحزن. وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهم من أنهم لا يأكلون السمك مدة حزنهم على ميتهم وذلك كله من الأحداث والبدع في الدين وترك الوقوف مع حدود الشريعة المطهرة. وكان ينبغي أن لا يذكر هذا ولا يعرج عليه لظهور باطله وسماجته وقبحه. لكن لما كان الشرط في الكتاب أو لا التنبيه على بعض العوائد المخالفة للسنة وقعت الحاجة إلى التنبيه على بعضها ليستدل به على ما عداها والله الموفق لأرب سواه ولا مرجوا الأياها وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

فصل في ذكر النفاس وما يفعل فيه

وكان ينبغي أن يكون هذا الفصل متقدماً على الفصل الذي قبله وهو غسل الميت وما يتعلق به مما ذكر لأن الخلق أو لا ثم الموت بعده. لكن لما أن كانت أحكام الولادة تختص بالنساء تأخر ذكرها. لقوله عليه الصلاة والسلام (أخروهن حيث أخرهن الله) فظهور الولد من بطن أمه هو أول خروجه إلى دار التكليف. فينبغي بل يتعين على ولي المولود أن يكون ممثلاً لامر الله تعالى فيه ويتبع السنة المطهرة في حقه لتعود بركتها على المولود في ابتداء أمره وبعده وقد تقدم أن المحتضر عند موته ينبغي أن يكون على أحسن حالاته فيما بينه وبين ربه عز وجل لأنه الحتام فينبغي أن يكون الابتداء مثله حين بروزه.

الى الدنيا. يدل على ذلك ماورد أن الحفظة اذا سعدوا بعمل العبد فان كانت
الصحيفة أولها مبيضا وآخرها مبيضا بالحسنات يقول الله عز وجل للملائكته
أشهدكم أنى قد غفرت له ما بينهما أو كما ورد. واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة
والسلام فى الحديث المشهور وفيه كيف تركتم عبادى وهو أعلم بهم فيقولون
تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون. واذا كان ذلك كذلك فينبغى الاعتناء بأمر
المولود حين خروجه الى دار التكليف بان تمثل السنة فى حقه والمحاطب بذلك
وليه فلعن أن تحصل له بركة الامثال فى أول دخوله الى الدنيا وفى خروجه
منها فيحصل بسبب ذلك قوة الرجاء فى العفو عما بينهما فاذا كان الولي ماشيا
فى حق نفسه وفى حق المولود على طريق السنة والمنهج الأقوم ولا يرجع فى
ذلك الى عوائد أكثر أهل وقته قوى الرجاء فى التخلص . وقد تقدم فى كيفية
موت المحتضر وفى دفنه ما أحدثوا فيه من البدع هذا والمباشر لذلك الرجال
غالبا ومباشرة الرجال للعلماء أكثر من النساء فانهم محتجبات وترين فى
الجهل غالبا بسبب ذلك فلاجل بعدهن عن العلم وأهله غالبا اتخذن عوائد
ردية متعددة قل أن تنحصر خالفن فيها الشرعية المطهرة . فينبغى لولى المولود بل
يتعين عليه أن لا يرجع اليهن ولا الى رأيهن ولا الى عوائدهن وان غضبن
أو تشوشن أو آل أمره معهن الى هجرهن أو فراقهن لأن صلة الرحم انما هى
مطلوبة فى الشرع الشريف بالاتباع والامثال لا بالابتداع بل الابتداع
اذا فعل كان قطعاً للرحم وان كان يدخل به السرور فى الوقت فهو فى الحقيقة
قطع . واذا كان ذلك كذلك فيتعين على ولى المولود أن ينظر لنفسه وللمولود
بلسان العلم فى كل ما يعرض له وعليه من أمر المولود فان لم يكن من أهله فليسأل
عن ذلك أهله قال الله تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ﴾ فبالسؤال
يتبين له السنة فيتبعها وتظهر له البدعة فيتجنبها فيدخل بذلك فى عموم قوله

تعالى ﴿ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ فتحصل له المعية بسبب ذلك وأى نعمة أكبر منها لأن البارئ سبحانه وتعالى اذا كان معه فقد أمن من العاهات والآفات وسلم دينا ودنيا . فعلى هذا يتعين عليه أن يكون نظره لصلة رحمه في حق المولود أولا حين خطبة أمه ان كان والدا . لما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام (اختاروا لنطفكم كما تختارون لصدقاتكم) هذا المقام الأول في كيفية صلة رحمه لولده . المقام الثاني حين الوطاء أعنى في التسمية والياتيان بالآداب المتقدم ذكرها . المقام الثالث حين الولادة . وقد رأيت بعض المباركين وله ولد فيه بعض أعراض فكلمت والده في ذلك فقال لا أبالي به فاني امتثلت السنة حين قربت أمه فلا يكون منه الاخير وكذلك كان لما أن بلغ الصبي وكانت معه في البيت بنت عمه فجاء الى البيت فطلب قوته من خارج الباب فقيل له ألا تدخل فأبى فسأله والده عن موجب ذلك فقال اني قد احتلمت البارحة فلا يحل لي أن أدخل و بنت عمي في البيت فهذه ثمرة الامتثال اللهم لا تحرمنا ذلك يارب العالمين بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم . وقد تقدم أن البياعات والاجارات يشترط فيها أن تكون سالمة من الغرر والغش فهنا أوجب ليقع الامتثال في حق المولود في مبدأ أمره لتحصل له البركة والتفائل . واذا كان ذلك كذلك فتكون القابلة أجرتها معلومة يتفق معها عليها ثم بعد ذلك ان زادها شيئا فحكم الهبة لاحق واجب عليه فاذا أحب أن يوفيا ذلك والتركه وكذلك هي ان رأت قبوله منه والا تركته . هذا ان كان والدا . وأما ان كان غير والد فلا يجوز له أن يعطى ذلك الا من مال نفسه وكذلك الوالد ان كان للصبي مال . واذا كان ذلك كذلك فيتعين عليه ترك ما أحدثه النساء من أن القابلة تأتي على غير معلوم غالبا فيحصل بسبب ذلك الجهالة والغرر والمغابنة والمنازعة والكلام الكثير بسبب مخالفة السنة في ترك الأجرة الشرعية بل بعضهم يرين

أن تعين الأجرم عيب وقلة حشمة وترك رياسة وهو لعمر الله بصد ما قالوه سواء بسواء لأن السنة المطهرة اذا تركت لا يخلفها الا ضدها فالرياسة على الحقيقة اتباع السنة فيتحرز عن ضدها جهده لتعود بركة اتباعها على الجميع من المولود والولى والقابلة ومن أعان على ذلك والله الموفق . وينبغي للولى بل يتأكد في حقه أن يسأل القابلة عن كيفية مباشرتها للمولود لأن القوابل في هذا الزمان قل أن يتحفظن من النجاسات فتباشر القابلة دم النفاس وغيره من النجاسات وتلس المولود وما يجعل عليه من اللباس بذلك كله من غير غسل النجاسات بالماء الطهور وذلك لا يجوز بل بعض القوابل يلعن المولود مما يتعلق بأصابعهن من النجاسات ويعلنه بأن ذلك ينفعه لكذا وكذا وذلك كله كذب وبهتان ومخالفة للسنة المطهرة لما ورد أن أول مولود ولد في الاسلام عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فأتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه بتمره بعد أن لا كما في فمه الكريم صلى الله عليه وسلم ثم مضت الأمة على ذلك وهو أنه اذا ولد لهم مولود أتوا به الى من يعتقدون بركته وخيره فيحنكه لهم رجاء بركته وما تقدم ذكره من فعل القابلة ضد هذا سواء بسواء . ومنهن من اذا تعسرت الولادة على المرأة أخذن لباب الخبز ويجعلن في قلبه زبل الفأرة ويطعمنها ذلك من حيث لا تشعر به ويعلن ذلك بزعمهن أنه يهون عليها الولادة وهذا باطل لاشك فيه لما ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (ان الله عز وجل لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها) فاذا كان فطر الصبي عند خروجه الى دار التكليف على الحرام فقد يخاف عليه لان الحرام له تأثير في القلب وان كان صاحبه لم يقصده ولم يشعر به ولو لم يكن فيه الا أنه تهاول ردى في كونه أظفر في ابتداء حاله عليه . فاذا كان الولى يسأل عن مثل هذه الأشياء انحسرت هذه المادة الفاسدة . ثم يعنها ما يجب عليها من الاحتراز من النجاسات في حقها

وحق المولود فاذا كان عندها علم بذلك فياجبذا وان لم يكن عندها علم منه فتعلم الحكم فيه بسبب سؤاله لها عنه سيما وقد نشأ أكثرهن على عوائد رديئة اتخذنها وقد جرت الى محرمات جملة كما قد تقدم مما اتخذوه من العوائد الرديئة وهي أن غاسل الميت يأخذ ما يجد عليه فجر ذلك الى محرم وهو أن بعض أهل الميت يتركون ميتهم مكشوفاً بلا سترة أو بشيء يصف العورة أو يحكيها وكذلك فيما نحن بسبيله سواء بسواء وهو أنهم قد جرت عوائدهم أن القابلة تأخذ ما نزل فيه المولود وذلك يجر الى الضرر بالمولود ان كان أهله فقراء لأن أهله اذا علموا أن القابلة تأخذ ذلك لا يعتنون به وقد مضت عادة الناس أنهم يتبركون بأثر الأكا بر من أهل العلم والصلاح أوهما معاً فاذا نزل المولود في ثوب أحدهم أو في خرقة من أثرهم فذلك عندهم غنم وبركة فاذا علم أهل المولود أن القابلة تأخذ ذلك أمسكوه لأنفسهم للتبرك فحرم المولود بركة مباشرة تلك الخرقة في أول ظهوره الى الدنيا بسبب البدعة كما حرم الميت السترة الشرعية بسبب البدعة التي أحدثوها في أن الغاسل يأخذ ما وجد على الميت كما سبق . ومن الناس من يتفاخر في الثوب الذي ينزل فيه المولود حتى أنهم يخرجون في ذلك عما لا ينبغي لأنهم يتخذونه من خرقة حرير غالباً . وقد ورد النهي عنه في الحديث لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ شيئاً من الذهب والحرير بيده الكريمة وقال (هذان حرامان على ذكور أمتي حل لائناهما) فقولوه عليه الصلاة والسلام على ذكور أمتي ولم يقل على رجال أمتي دليل على أن لبسه حرام على الذكر وان كان صغيراً على مقتضى ظاهر الحديث والمخاطب بذلك ولي المولود وهم يأخذون الخرقة ولا يعلمون ما هو المولود أذكر أم أنثى . ولا حاجة لمن يقول قد اختلف العلماء في لباس الحرير للذكر الصغير لما تقدم من ظاهر الحديث أنه دال على المنع وأيضا لو قلنا بجله فهو مكروه في حقه فيجنبه المولود لتحصل له البركة والتفاؤل الحسن بسبب خروجه من الخلاف وفي

ذلك عظيم الثواب لوليه لأنه المخاطب به كما تقدم . ثم ان بعض القوابل اذا استحس الحرفة التي أعدت لأن ينزل فيها المولود أخذتها لأنفسهن ولم يباشرن المولود به خشية أن يتغير حسننها أو ينقص ثمنها . واذا كان ذلك كذلك فدخل القابلة على أن تأخذ ما اعتادته مما هو مجهول يمنع واذا كان معيناً أو موصوفاً بصفة تحصره فذلك سائغ قليلاً كان أو كثيراً نقداً كان أو عرضاً . فوقع بسبب ما أحدثته من البدعة أن الفقراء حرموا بركة أثر الأولياء والأغنياء وقعوا في المفخرة بحطام الدنيا لأجل ما تذكره القابلة للناس من الحرفة الحرير وصفتها التي اعتادوها لنزول المولود فيها فحصل الضرر للفريقين . فاذا كانت القابلة بأجرة معلومة كما تقدم انزاح هذا وغيره من المفاسد . وينبغي أن كل من يتناول المولود يتحفظ من النجاسات كالقابلة سواء بسواء بعد التسمية لأنها مشروعة في كل الحركات والسكنات سيما في هذا الموضع الذي له قدر وبال . فاذا خرج المولود من بطن أمه الى ضوء الدنيا وجب الشكر لوجوه عديدة . أحدها أن أمه كانت في خطر عظيم حتى أنه ليس لها من مالها الا الثلث لما كانت فيه من الخطر وسلامتها نعمة من الله شاملة يجب عليها الشكر وشكرها امتثال طاعة الله تعالى واجتناب نهيه واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم اذ كأنها وهبت عمراً جديداً . الوجه الثاني أن المولود اذا خرج صحيحاً سوياً غير ناقص فهذه نعمة ثانية يجب الشكر عليها من الأب وأقاربه ومن الأم وأقاربها على سلامتهم من النقص في ولدهم . الوجه الثالث الشكر على تكثير عددهم . وقد قال علياً وأنا رحمة الله عليهم النكاح فيه خمس خصال حميدة . أولها أنه يغض الطرف والثاني يحصن الفرج والثالث يكثر النسل والرابع يبقى الذكر والخامس يبقى الأثر فاذا ظهر المولود فقد كثر به العدد ورفع به الذكر ان كان ذكراً والأثر ان كانت أُنثى فيتعين الشكر على ذلك . وقد ورد (أكثرُوا من العائلة فانكم لا تدرُونَ بأبيهم

ترزقون) فقد يكون هذا الولد للحكمة الربانية سببا لكثرة الرزق والاستراحة من التعب والنصب وهذا موجود حسا لانا نشاهد بعض الناس يكون فقيرا ضعيفا تعبنا من التكسب بعيدا من العلم وأهله الى غير ذلك من الأحوال الناقضة فاذا حدث له مولود ظهر أمره وكثر خيره وباشر العلماء وسمع فوائدهم بواسطة ولده الى غير ذلك من النعم المترادفة . وقد حكى ابن حبيبا النجار رؤى وهو يمشى فى ركاب ولده فعذله بعض الناس فى ذلك فقال ما عرف حبيب الابولده وهذا مشاهد لا يحتاج الى دليل ولا تمثيل . فقابلوا هذه النعم العظيمة بضدها سواء بسواء بسبب العوائد الرديئة المحدثه اذ أنهم اذا ظهرت عندهم هذه النعم أقبل النساء على الزغردة ويرفعن أصواتهن بذلك مع وجود الدف والرقص واللهو واللعب والاستهتار وقلة الحياء مع التفاخر بما يصنعنه من الأطعمة الكثيرة واجتماع أبناء الدنيا وحرمان الفقراء المضطرين والمحتاجين مع تشوفهم وطلبهم كل على قدر حاله وأكثرهن يقمن على هذا الحال مدة السبعة أيام ليلا ونهارا فكل من جاءت تنهى جددن لها اللهو واللعب والرقص والاستهتار الى غير ذلك من أحوالهن الرديئة . ثم مع هذه القبائح الشنيعة المزامير والابواق على الباب تعمل مع ما فى ذلك من المهرج والشهرة وقلة الحياء من عمل الذنوب حتى صار الأمر بينهم كأنه شعيرة من شعائر الدين تتبع فمن لم يفعل مثل فعلهم فكأنه ابتدع بدعة فى الدين . وقد قال بعض العلماء رحمة الله عليهم أن المرأة اذا اضطرت الى التصفيق فى صلاتها صفقت بأصبعين من يدها على ظهر يدها الاخرى لأن صوتها عورة فمنعت من الكلام وعوضت عنه التصفيق على هذه الصفة فما بالك بما أحدثته من هذه الامور الفظيعة سيما عند احداث هذه النعم المتجددة . وأشد من هذا وأقبح منه أن الغالب ممن يراهم من الرجال أو يعلم حالهم لا يغيره ولا يستبجحه ولا تشمئز نفسه بل يسر بعضهم بذلك ويعين عليه . وأشد من

ذلك كله وأعظمه قبحا وشناعة أن بعض من ينسب الى العلم أو الى الخرقه أو الى المشيخة يفعلون ذلك في بيوتهم ويستحسنونه ممن يفعله بل يجمعون الناس عليه ويدعونهم اليه ويدمون من يفعل ذلك ولا يدعوهم اليه فانا لله وانا اليه راجعون على الجهل والجهل بالجهل . وليس ما يتعاطونه من هذه الأشياء .

خاصا بأمر النفاس بل هو عندهم عام في كل أمر حدث به سرور حتى في الحاج اذا قدم فعلوا مثل ما تقدم ذكره . وأما في أمر النكاح فلا تسأل عما أحدثوا فيه من المخالفات بل ما يفعلونه في النفاس نقطة من بحر ما يفعلونه في النكاح وهو كثير متعدد قل أن ينحصر أو يرجع الى قانون معلوم لا اختلافه بالنسبة الى الاقاليم والبلاد والعوائد وما تقدم ذكره من أمر النفاس فيه غنية عن الكلام على تفصيل ما يفعلونه في النكاح . ولا يظن ظان أن هذا انكار لوليمة النكاح بل هي سنة معمول بها على الوجه المطلوب في الشرع وكذلك الضرب بالدف الشرعى وهو أن يكون سالما من الصراصر والسلسلة الحديد اللتين أحدثتا فيه ويكون الفاعل لذلك أحد شخصين اما جارية من الوحش ممن لا يلتفت الى صورتها ولا الى سماع صوتها غالبا أو حرة متجالة لا تشتهى ولا يلتذ بكلامها بخلاف من تشتهى ويلتذ بكلامها فان ذلك منها محرم لا يجوز فهذا هو اعلان النكاح وافشاؤه على مامضى من فعل السلف رضى الله عنهم بخلاف ما تسوله الانفس الامارة بالسوء من الالتفات الى العوائد الرديئة والاعراض الخسيسة وقد ذكر أن بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام دخل الى بلد فوجد فيها بعض الناس قد أصابهم حزن فضحوا وأظهروا المخالفة لما أصابهم ووجد آخرين قد أنعم عليهم ففرحوا وسروا وخرجوا بذلك الى كفر النعمة فقال ابتلى هؤلاء فما صبروا وأنعم على هؤلاء فما شكروا فلا يمكننى المقام مع قوم هذا حالهم أو كما قال وخرج من بينهم . وهذا حال أكثر أهل هذا الزمان الا أن الخروج من

بين أظهرهم في هذا الزمان متعذر لأن المكلف لا يخرج الى موضع آخر الا ويجد فيه ما هو مثل ما خرج عنه أو يزيد عليه فلا فائدة اذن في خروجه الا حصول التعب والنصب والاستشارة وغيرها مما يبدد حاله ويمنعه من جمع خاطره والدأب في عبادة ربه عز وجل والنظر في خلاص مهجته الى غير ذلك فالعزم على الانتقال من موضع الى آخر يوجب ما تقدم ذكره وغيره . فالحاصل من هذا أن العازم على الانتقال في هذا الزمان يعرض عن ذلك رسوم بيته وترك الخوض فيما هم بصدده غير مفارق لجماعتهم فيحصل له بذلك بركة امتثال السنة لقوله عليه الصلاة والسلام (نعم الصوامع بيوت أمتي) فاذا امتثل ما أمر به صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه سلم من هذه الآفات كلها وكانه غائب عنهم فلم يضره بعون الله تعالى وبركة نبيه عليه الصلاة والسلام شيء مما هم فيه بل يكثر أجره ويعلو أمره عند ربه بحسب ما يجد في نفسه من القلق والازعاج عند رؤية شيء من ذلك أو سماعه وهو مع ذلك ملازم لطاعة ربه ممتثل سنة نبيه عليه الصلاة والسلام لم يزعزعه شيء من ذلك كله بل يرى ذلك غنيمة باردة سيقته له فيغتنمها ويشكر الله على ما حباه منها . لقوله عليه الصلاة والسلام (العمل في الهرج كهجرة معي) وقد تقدم هذا بما فيه كفاية . الوجه الرابع الشكر على ما في ذلك من البشارة من المولى سبحانه وتعالى للوالدين بكون أن عملهما لا ينقطع وإن ماتا لأن ولدتهما من سعيهما واثارهما فإن كان صالحا فبخ على بخ وإن كان غير ذلك فما فعل من خير حصل الثواب لو الولد من غير أن ينقص من أجره شيء وما فعل من غير ذلك فلا يصل اليهما منه شيء ثم كذلك في ولد الولد الى منتهى انقراضهم . وهذا خير عظيم ونعمة شاملة يتعين الشكر عليها . لقوله عليه الصلاة والسلام (قيدوا النعم بالشكر) فانظر الى هذه النعمة ما أكملها وأعظمها الى غير ذلك من الوجوه التي يتعين الشكر عليها فقابلوها بصددها كما تقدم قبل . ويتعين على ولي المولود

أن يحترز مما أحدثه أيضا من أن المولود اذا جاؤا الى قطع سرته جمعوا عنده كل مولود يحتاج الى دخول ذلك البيت الذي تقطع فيه سره المولود فيئذ تقطع القابلة سره المولود ويزعمن أن من لم يحضر من الضغار عند قطعها ودخل بعده تحول عيناه أو يبقى يبكي كثيرا وذلك منهن باطل لأصل له في الشرع الشريف وكل ما ليس له أصل في الشرع يتعين طرحه وترك المبالاة به والله الموفق

(فصل) وينبغي أن يحذر مما يفعله بعض القوابل وهو أن الواحدة منهن اذا دخلت الى بيت وقبلت فيه لا يمكن غيرها أن تدخل عليها فيه ويعلن ذلك بزعمهن أن دم المولود ودم أمه قد وقع على يد القابلة الاولى فلا يدخل غيرها عليها فيه. ومن فعل ذلك منهن وقع بينها وبين القابلة الاولى وأهل البيت شأن وخصام كثير ويعتقدن أن فعل ذلك حرام وهذا تحكم منهن في الشرع وافتراء بين. فينبغي لولى المولود أن لا يقرب من هذا حالها حتى يبين لها حكم الشرع الشريف في ذلك قبل اتيانها فان رضيت والا تركها وأخذ سواها على المنهج الاقوم والطريق الاسلام. فلو فعل ذلك على سبيل حسن الصحبة والتألف وترك التشويش لكان ذلك حسنا. وكذلك ينبغي أن يحترز مما أحدثه بعضهن في ليلة السابع وهو أن يكون عند رأس المولود الختمة واللوح والدواة والقلم ورغيف من الخبز وقطعة من السكر ان كان مقلا ومن كان له سعة عمل رغيفا كبيرا من الكماج وأبلوجة من السكر وطبقا من الفاكهة وقفه من النقل وشمعا ومن كان فقيرا أخذ من كل واحد من ذلك شيئا ما فاذا كانت صبيحة تلك الليلة فرقن كل ما اجتمع عند رأسه من ذلك ويزعمن أنه بركة لمن أخذه وأنه ينفعه من الصداع ويعلن ذلك أيضا بأن الملائكة تكتب بالدواة والقلم ما يجري على المولود في عمره الى حين موته وذلك كله كذب محض وافتراء من قبل أنفسهن وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهن من كتب عصابة المولود بالزعفران يكتبون

فيها سورة يس أو غيرها من القرآن ويعصنه بها في يوم سابعه . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهن من جعل السكين التي قطعت بها سرّة المولود عند رأسه مادامت أمه جالسة عنده فإذا قامت حملتها معها تفعل هذا مدة أربعين يوماً ويعلمن ذلك لثلا يصيها شيء من الجان . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهن من أن المولود اذا غابت عنه أمه لضرورة في البيت ولم يكن عندها من يقعد عند المولود تجعل عنده كوزاً مملوءاً ماءً وشيئاً من الحديد . وكذلك يحذر مما أحدثه بعضهن من أخذهن شيئاً من الملح ويصبغن بعضه بالزعفران وبعضه بالنجار غالباً ويخلطن فيه شيئاً من الكمون الاسود ويوقدون الشمع الذي كان عند رأسه وتلبس أم المولود ثياباً حسناً ويدرن بها وبولدها البيت كله والقابلة أمامها حاملة للمولود وامرأة أخرى أمام القابلة معها طبق فيه الملح المذكور وينثره في البيت يمينا وشمالاً وفي الطبق شيء من البخور بخور مخصوص بالولادة ويزعمن أنه ينفع من الأمراض والكسل والعين والجان والشر كله وهذا منهن كذب وافتراء وبدع ليست من الشرع المطهر في شيء . فالليب من سلم نفسه وأهله وولده الى الشرع الشريف وترك كل ما أحدثه المحدثون لأن كل من أحدث شيئاً فالغالب أنه يعلمه بتعاليل لا يقوم منها شيء على ساق لكن لا يظهر باطلها الا لأهل العلم والبصيرة والتمييز غالباً فليحذر من العوائد الرديئة كائنة ما كانت وحيث كانت فالحير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع . أسأل الله أن يمن علينا بالاتباع وترك الابتداع بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم . وينبغي لولي المولود ان كانت له قدرة أن يعق عنه في سابعه لأنها سنة مؤكدة وحكمها حكم الأضحية في السن والسلامة من العيوب . وقد سئل عليه الصلاة والسلام عما يتقى في الضحايا فأشار بيده الكريمة وقال أربع العرجاء البين عرجها والعوراء البين

عورها والمريضة البين مرضها والعجفاء التي لاتنقى (١) و وقتها طلوع الشمس من
اليوم السابع فان ولد المولود في أثناء اليوم طرح ذلك ولا يحسب و يتحفظ فيها كما يتحفظ
في الأضحية فلا يعطى الجزار أجرته من لحمها ولا جلدها وكذلك القابلة لأن
ذلك عوض فيدخل ذلك في قسم البياعات ولحم الأضحية والعقيقة لا يجوز بيعهما
ومن هذا الباب ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان وهو أن يأتي بما يذبحه في
العقيقة الى المسقط فيعطى جلدها ورأسها وأطرافها للصانع الذي يعملها وذلك
محرم لا يجوز . هذا ان عملها سليخا وأما ان عملها سميطا فقد تقدم ما في ذلك من
المفاسد فأغنى عن اعادته . وينبغي أن لا يعمل بها وليمة ويدعو الناس اليها لأنه
لم يكن من فعل من مضى . وقد سئل مالك رحمه الله أيصنع منها طعام ويجمع
عليه الاخوان فانكر ذلك وقال تشبه بالولائم وقال انما تطبخ وتؤكل ويطعم
الجيران . وينبغي ان كان المولود ممن يعق عنه أن لا يوقع عليه الاسم الا حين
يذبح العقيقة ويتخير له في الاسم مدة السابع فاذا ذبح العقيقة أوقع عليه الاسم
وان كان المولود ممن لا يعق عنه لفقر وليه فيسمونه في أى وقت شاؤا . ثم العجب
من يدعى الفقر منهم ويعتل به على ترك سنة العقيقة و يتكلف لبعض العوائد
التي أحدثوها ما يزيد على ثمن العقيقة الشرعية . فمن ذلك ما يفعله بعضهم في اليوم
السابع من عمل الزلاية أو شرائها وشراء ما تؤكل به مائمه أضعاف ما يفعل به
العقيقة الشرعية . هذا ما يفعله بعضهم في اليوم السابع مع وجود النفقة الكثيرة
فيه لغير معنى شرعى بل للبدعة والظهور والقبيل والقال . وبعضهم يفعل ذلك أيضا
في اليوم الثاني من الولادة . وبعضهم يفعل ذلك في اليوم السابع وفي اليوم الثاني
والثالث من الولادة . وبعضهم يقتصر على أحدهما ويغتولون في ذلك بكونهم
لا يقدرون على العقيقة والعقيقة الشرعية ثمنها أيسر وأخف من ذلك بل لو

(١) لاتنقى بضم التاء وسكون النون أى التي ليس لها نقى بكسر فسكون «أى شحم»

اقتصر على ترك ما أحدثوه في العصيدة من البدعة لكان فيه ثمن العقيدة الشرعية وزيادة لأن العصيدة لا يحتاج إليها إلا النفساء وحدها فزبدية واحدة أو دونها تكفيها وهم يعملون العصيدة ويشتركون ماتوا كل به ويفرقون ذلك على الأهل والجيران والمعارف وهذا شيء لم يتعين عليهم ولم يندبهم الشرع إليه وإن كان أطعم الطعام مندوبا إليه في الشرع الشريف لكن ما لم يعارض ذلك ترك سنة وهم لو اشتروا بثمن العصيدة وماتوا كل به ما يعق به على الوجه الشرعي لكان فيه الكفاية وزيادة. ثم يزيدون مع ذلك ما يتخذونه من النقل ليلة السابع ويفرقونه في يومه كما تقدم ^{أصله} بيانه. وهذا في حق الفقير منهم. ومنهم من يعوض عن النقل المذكور حلاوة على صفة معلومة تشبه النقل يسمونها بالمغزدرات وبعضهم يسمونها بالنشور وذلك من باب السرف والبدعة وحجة الظهور والخلاء وترك السنن والاهتبال (١) بأمرها واغتنام بركتها. ثم مع ذلك زادوا عادة ذميمة وهو أنهم لا بد أن يجددوا كسوة لأهل البيت وكذلك كل ما يحتاج إليه البيت حتى الحصير لا بد من تجديدها إلى غير ذلك مما اعتادوه فانظر رحمة الله تعالى وإياك إلى صرف هذه النفقات وكثرتها وتشعبها ثم أنهم مع ذلك يعتلون لترك العقيدة الشرعية بعدم القدرة عليها. وبعضهم يتدأبن لتلك العوائد ولبعضها ويعتلون بأن العقيدة لا تجب عليهم فلا يشغلون ذمتهم بالدين لاجلها ويشغلون ذمتهم بالدين لاجل تلك العوائد عكس ما يتدبون إليه ويطلب منهم في الشرع الشريف. ثم إن التدأبن لأجل العقيدة الشرعية يخلف على المنفق عليها ويسر عليه وفاء دينها كالأضحية لبركة امثال السنة فيها وكذلك في جميع أمور الامثال ولا شك أن الشيطان اللعين ألقى إليهم ذلك حتى يحرمهم بركة امثال السنة لاجل أن فعلها بركة وخير وغنيمة وهي

(١) الاهتبال الاهتمام

بالنسبة الى ما يكلفهم من العوائد يسيرة النفقة وفيها الثواب الجزيل وفي العوائد ضد ذلك ولو لم يكن من فعل البدعة من الذم الا ان النفقة فيها لا تخلف ولا يثاب عاينها مع تعبها لاجلها ففيها التعب دنيا وأخرى . وفي فعل العقبة من الفوائد أشياء كثيرة منها امثال السنة واخماد البدعة ولو لم يكن فيها من البركة الا أنها حرز للمولود من العاهات والآفات كما ورد فالسنة مهما فعلت كانت سببا لكل خير وبركة والبدعة بضد ذلك . وقد حكى عن بعضهم أنه دخل عليه بعض أصحابه فوجأوا بالذهب والفضة مشورين في بيته وأولاده ذاهبون وراجعون عليها فقالوا له ياسيدنا أما هذا اضاءة مال قال بل هي في حرز قالوا له وأين الحرز قال لهم هي مزكاة وذلك حرزها فكذلك فيما نحن بسبيله من حق عنه فهو في حرز من العاهات والآفات وأقل آفة تقع بالمولود يحتاج وليه أن ينفق عليه قدر العقبة الشرعية أو أكثر منها فمن كان له لب فليبدل جهده على فعلها لأنها جمعت بين حرز المال والبدن أما البدن فسلامة المولود سيما من الآفات والعاهات كما تقدم وأما كونها حرزا للمال فان النفقة في العقبة نزر يسير بالنسبة الى ما يتكلفونه من العوائد المتقدم ذكرها وغيرها من النفقات فيما يتوقع على المولود من توقع العاهات والآفات وفيها كثرة الثواب الجزيل لأجل امثال السنة في فعلها وتفريقها سيما في هذا الزمان فان فيها الأجر الكثير لقلة فاعلها . لقوله عليه الصلاة والسلام (من أحيأ سنة من سنتي قد أميتت فكأنما أحيأني ومن أحيأني كان معي في الجنة) فقد شهد عليه الصلاة والسلام لمن أحيأ سنة من السنن اذا أميتت بالمعية معه عليه الصلاة والسلام في الجنة . والعقبة في هذا الزمان قل أن تعرف وان عرفت عند بعضهم فبالاسم ليس الا في الغالب منهم لانهم يفعلون فيها أفعالا تخرجها عن الوجه المشروع فيها . فمنها مخالفة وقتها الشرعي الذي تدبج فيه

لان بعضهم يؤخرها عنه وليس ذلك من السنة وان كانت تجزى عند بعضهم لكن فوت نفسه فضيلة امتثال السنة في الوقت الموضوع لها ومنها عدم التوفية بشروطها اذ أنهم يعطون من لحمها وجلدها للصانع كما تقدم بيانه . وقد قال علماءنا رحمة الله عليهم فيمن كان له ثوب للجمعة ولافضل عنده غيره فانه يبيعه حتى يضحى فكذلك يبيعه حتى يعق عن ولده وكذلك قالوا انه يتداين للاضحية فكذلك يتداين للعقيقة سواء بسواء واذا اختاروا له الاسم من حين ولادته الى سابعه كما تقدم فينبغي أن يختاروا له من الأسماء ما كان سالما من التزكية والكنى المنهى عنها في الشرع الشريف وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية وله في التسمية بأسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأسماء الصحابة رضى الله عنهم مقنع وبركة وخير فيقتصر على ذلك دون غيره . وقد وقع لسيدى أبى محمد رحمه الله وهو بمدينة تونس أنه لما أن ازداد له مولود طالبوه ببعض عوائدهم الجارية فأبى عليهم وقال السنة أولى قال وكنت مريضا لا أقدر على الحركة فلما أن عزمت على العقيقة وجزمت بها رأيت فيما يرى النائم أنى ماش على طريق ومعى شخص فينما نحن نمشى فى الطريق واذا بجيفة قد عرضت لنا فى وسطها فقال لى ذلك الشخص الذى كان معى عسى أنك تعينى على زوال هذه الجيفة عن الطريق لأن النبى صلى الله عليه وسلم يعبر من ههنا الساعة قال فقلت له نعم فأزلنا الجيفة عن الطريق ونظفناه واذا بالنبى صلى الله عليه وسلم قد أقبل فسلمت عليه فقال لى وعليك السلام يافقيه ورحمة الله وبركاته فانتهت من نومي فوجدت العافية فى الوقت فأصبحت وخرجت واشترت الذبيحة للعقيقة بنفسى فلما أن عملتها جمعت بعض الاخوان وحدثهم بما جرى فاشتهر الأمر وكانت العقيقة اذ ذاك قد دثرت عند بعض الناس حتى كأنها لا تعرف فاشتهرت بعد ذلك فى البلد . وهذا هو نص الحديث

الوارد عنه عليه أفضل الصلاة والسلام حيث قال من أحيا سنة من سنني وقد تقدم فأولت الجيفة على العوائد وأولت ازلتها وتنظيف الطريق على امثال السنة . والله الموفق

الختان

(فصل) وأما الختان فقد مضت عادة السلف أنهم كانوا يختنون أولادهم حين يراهقون البلوغ . لكن قد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم ختن الحسن والحسين يوم السابع أو نحوه والأمر في ذلك قريب فأى شيء فعله المكلف كان ممثلاً وذلك راجع الى مقتضى التعليل لان الصغير ليس بمكلف والتقطع منه قبل تكليفه فيه ايلام له بما لا يلزمه في الوقت وأما ختانه حين المراهقة فهو متعين لان كشف عورته بعد البلوغ محرم لكن يدخل عليه في ذلك الألم الشديد والبطء في البرء بخلاف الصغير فان ألمه خفيف وبرأه قريب . واختلف ان ولد محتونا هل يختن أم لا على قولين . فمنهم من قال هذه مؤنة كفانا الله اياها فلا حاجة تدعو الى فعلها ولان كشف العورة من كبير وصغير لا يباح الا لضرورة شرعية والضرورة معدومة والحالة هذه وقال بعضهم لا بد من اجراء موسى عليه ليقع الامثال . والسنة في ختان الذكر اظهاره وفي ختان النساء اخفاؤه . واختلف في حقهن هل يخفضن مطلقا أو يفرق بين أهل المشرق وأهل المغرب فأهل المشرق يؤمرون به لوجود الفضلة عندهن من أصل الخلقة وأهل المغرب لا يؤمرون به لعدمها عندهن وذلك راجع الى مقتضى التعليل فيمن ولد محتونا فكذلك هنا سواء بسواء

تم الجزء الثالث من كتاب المدخل لابن الحاج
ويليه الجزء الرابع . وأوله فصل في صفة الفلاحة

فهرس

الجزء الثالث من كتاب المدخل لابن الحاج

صفحة	
٢	آداب المجاهد وكيفية نيته وهديه
٣	الغنيمة . الأسارى . الجزية . حكم المرتدين
٤	قتال الفئة الباغية . حكم المحاربين
١٦	الرمى وفضيلته
١٨	الرباط وفضله وذكر الخيل وفضلها
٢٠	الشهادة
٢٦	آداب الفقير المنقطع وكيفية نيته وهديه
٣٩	المعرفة
٤١	فصل فى الرياء
٤٩	مكائد الشيطان
٥١	أصناف العاملين
٥٢	علامة المرید
٥٦	تأسيس التقوى
٥٧	التوبة الصحيحة
٥٨	آفة الحسنات
٥٩	وجوب اصلاح الباطن

صحيفة

- ٦٠ الصدق والعقل
٦٤ قبح الطمع
٦٦ التزين
٦٩ الغيبة والنميمة . الاستدراج
٧٠ اليقين
٧١ العجب . التواضع
٧٣ النية والعبادة
٧٤ العلم
٧٦ عيوب النفس
٧٧ الحزن والخوف
٧٨ الزهد والخلوة
٨٣ الأشياء التي يتفرع منها فنون الخير
٨٤ تهوين سلوك الطريق والوصول اليه
٩٣ السماع وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز
١١٤ الاجتماع بالمردان
١١٥ حد اللواط
١١٧ الدف والرقص
١١٨ الغناء
١٢٣ زهد الفقير
١٢٩ مواطن اجابة الدعاء
١٣١ آداب المرید
١٣٨ الكيمياء
١٤٧ دخول المرید الخلوة

صحيفة

- ١٥٨ بعض آداب السلوك
١٦٣ الاجتماع بالاخوان خلال الخلوة
١٦٥ آداب صحبة الأعضاء
١٦٧ أقسام الاخوان
١٧٠ آداب النفس
١٧٣ كيف يصنع المرید اذا أودى
١٧٧ نصائح للمرید
١٨٤ قدوم المرید من السفر ودخوله الرباط
١٩٣ بعض المتشبهين بالمشايخ وأهل الارادة
٢٠٥ النهى عن أخذ السبحة بلا تسبیح
٢٠٦ ترك السيئات أوجب من فعل الحسنات
٢٠٧ الأفضل التسبیح على الأصابع
٢٠٨ حقيقة أخذ العهد
٢١٨ مكاتبه الفقیر لأخيه
٢١٩ صرف همم المرید الى الآخرة
٢٢٠ آداب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
٢٢٣ مزاحه صلى الله تعالى عليه وسلم
٢٢٩ المحتضر وما يحتاج اليه من الآداب
٢٣٠ فتنة المحتضر
٢٣٢ النهى عن السخط والتضجر عند حلول المصيبة
٢٣٤ النياحة على الميت
٢٣٥ ما يجب أن يفعل بالميت وقت موته
٢٣٧ غسل الميت

صحيفة

- ٢٤٠ تكفين الميت
٢٤٥ آداب المغسل
٢٤٦ النهى عن العوائد القبيحة عند الموت
٢٥١ صلاة الجنازة
٢٥٢ الدعاء في الصلاة على الميت
٢٥٤ التعزية
٢٥٥ تشييع الجنازة
٢٥٨ صفة القبور
٢٦٠ دفن الميت
٢٦٢ الدعاء للميت وقت الدفن
٢٦٣ صفة القبر
٢٦٥ تلقين الميت
٢٦٦ أجر من صبر على فقد ولده
٢٦٨ كراهة الدفن في الفسقية
٢٧٣ النهى عن الكتابة على القبور
٢٧٥ طعام أهل الميت
٢٧٦ البدع المحدثه في المآتم
٢٨١ النفاس وما يفعل فيه
٢٩١ العقيقة
٢٩٦ الحتان

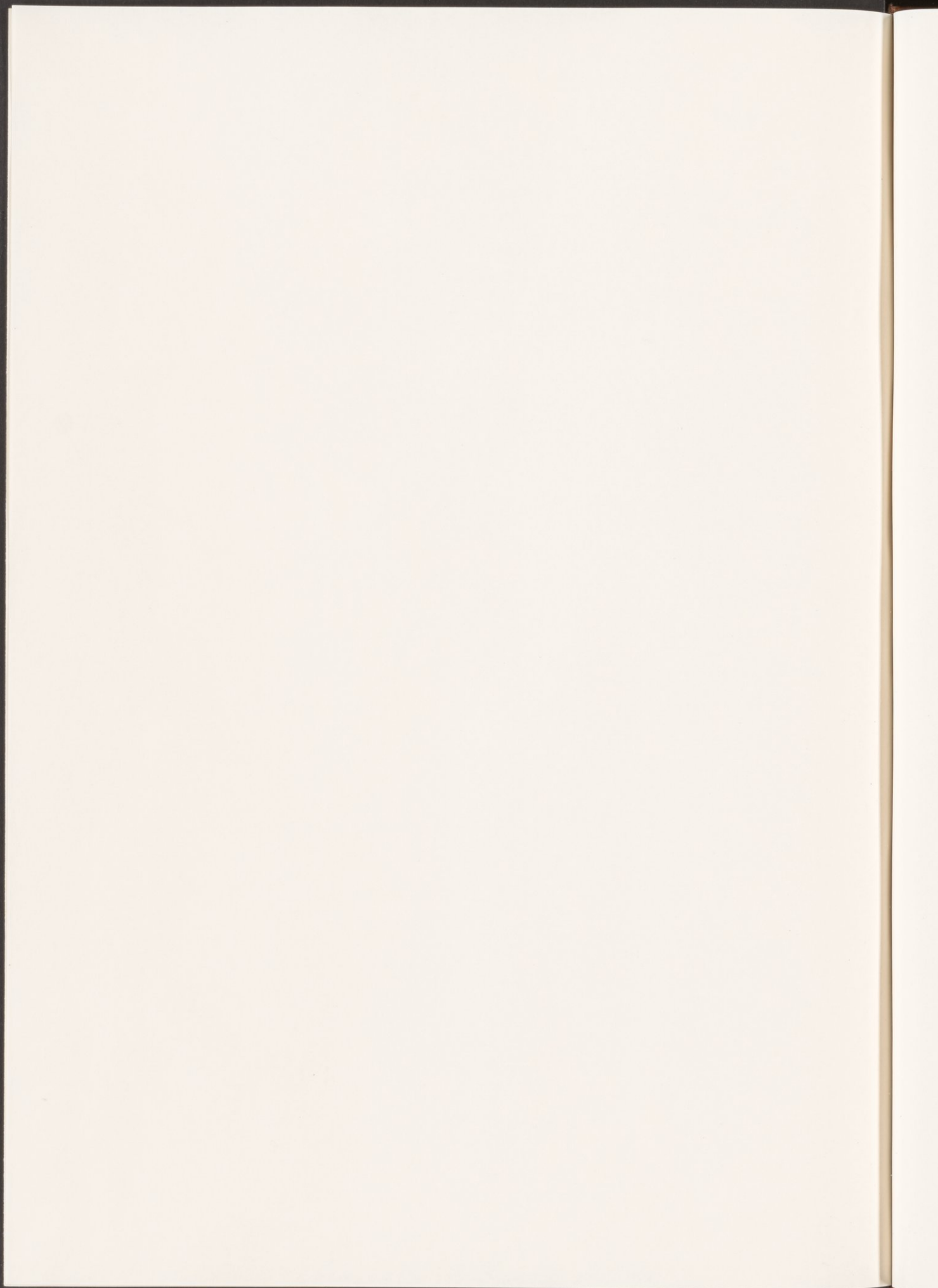
This preservation photocopy
was made and hand bound at BookLab, Inc.
in compliance with copyright law. The paper,
Weyerhaeuser Cougar Opaque Natural,
meets the requirements of ANSI/NISO
Z39.48-1992 (Permanence of Paper).

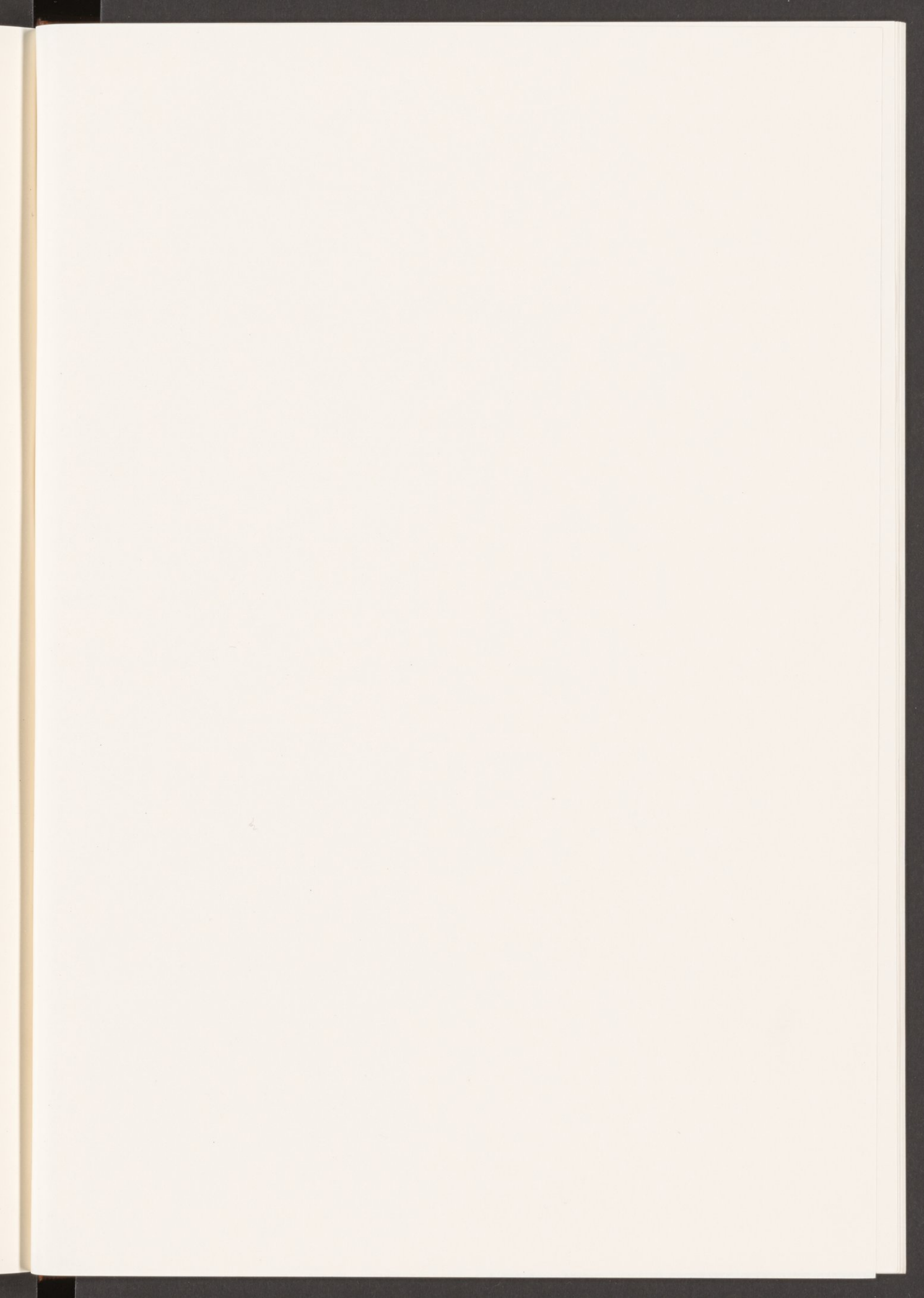


Austin 1994















Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

